

مكتبة التراث العربي وركن السيرة

للأستاذ

أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تدقيق وفهرسة

أ. أيمن البحسري

طبعة جديدة منقحة ومفهرسة مع إخراج جديد

مؤسسة الكُتُب الثقافية

بُسْتَانُ الْوَالِيعِظِينَ

وَرِيَاضُ السَّامِعِينَ

لِلْأَمَّاؤِ

أَبِي الْفَرَجِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الْجَوَازِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٧ هـ

تَدْقِيقٌ وَفَهْرَسَةٌ

أَيْمَنُ الْبَحْيَرِيِّ

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُنْقَحَةٌ وَمُفَهَّرَةٌ مَعَ إِخْرَاجِ جَدِيدٍ

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط
الطبعة الثانية



مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع . بناية الاتحاد الوطني . الطابق السابع . شقة ٧٨

هاتف المكتب : ٠٠٩٦١١ / ٧٣٩٢٥٨ / ٧٣٩٢٥٠

خليوي - جوال : ٠٠٩٦١٣ / ٨١٠٥٦١

أونيسكو - بيروت : ١١٠٨٢٠١٠

رقم العلبة البريدية : ١١٤ / ٥١١٥

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾.

أما بعد، فقد أنعم الله على المسلمين أن جعل فيهم من يحفظ لهم دينهم، ونحن الآن أمام أحد هؤلاء الحفظة الذين من الله بهم علينا، وهو الإمام العالم الجليل إمام عصره وقدوة زمانه وحافظ وقته، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، ومع أحد مؤلفاته وهو كتاب [بستان الواعظين ورياض السامعين] وهو بحق بستان ورياض لكل من يعتلي منبر رسول الله ﷺ لكي ينهل منه الحكم والمواعظ التي اشتهر بها الحافظ ابن الجوزي، وتجد من النكت الظراف بين ثنايا الصفحات.

ونرجو الله عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

* عملنا في هذا الكتاب:

١ - ضبط النص وعزو الآيات في متن الكتاب.

٢ - تخريج الأحاديث النبوية وبعض الآثار.

٣ - قمنا بتفكير الكتاب على أساس المواعظ [أي تفكير كل موعظة على

حدة].

٤ - عمل الفهارس اللازمة للكتاب، وهي:

أ - فهرس الآيات.

ب - فهرس الأطراف، ويشتمل على الأحاديث النبوية والآثار وأقوال العلماء.

ج - فهرس الغريب مع شرح معنى الكلمة.

د - فهرس الأعلام مع بعض التراجم ملحقة بالفهرس.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

ترجمة الإمام ابن الجوزي

الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق [جمال الدين أبو الفرج] عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم، وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة سواها. ولد تقريباً سنة عشر وخمس مائة أو قبلها، وأول سماعه في سنة ست عشرة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ووعظ في حدود سنة عشرين وخمس مائة إلى أن مات.

ومن تصانيفه كتاب (المغنى) في علوم القرآن كبير جداً، وكتاب (زاد المسير) أربع مجلدات، و (تذكرة الأريب) في اللغة و (الوجوه والنظائر) مجلد، و (فنون الأفنان) مجلد، و (جامع المسانيد) سبع مجلدات، و (الحدائق) مجلدان، و (نقى النقل) مجلد كبير، و (عيون الحكايات) مجلدان، و (التحقيق في مسائل الخلاف) مجلدان، (مشكل الصحاح) أربع مجلدات و (الموضوعات) مجلدان و (الواحيات) ثلاث مجلدات و (الضعفاء) مجلد و (تلقيح فهوم أهل الأثر) مجلد و (المنتظم في التاريخ) عشر مجلدات كبار و (المذهب في المذهب) مجلد و (الانتصار في مسائل الخلاف) مجلدان و (الدلائل في مشهور المسائل) مجلدان و (المواقيت في الخطب الوعظية) مجلد و (نسيم السحر) مجلد و (المنتخب) مجلد و (المدحش في المحاضرة) مجلد و (صفوة الصفوة) أربع مجلدات و (أخبار الأخيار) (أخبار النساء) مجلد و (مثير الغرامه الساكن إلى أشرف الأماكن) مجلد و (المقعد المقيم) مجلد و (ذم الهوى) مجلد و (تلبيس ابليس) وغيرها من المؤلفات النافعة. ولما ترعرع حملته عمته إلى الحافظ ابن ناصر فاعتنى به واسمعه الكثير، حصل له من الحظوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط

وحضر مجالسه ملوك ووزراء بل وخلفاء من وراء الستر ويقال في بعض المجالس حضره مائة ألف فيما قيل، والظاهر أنه كان يحضره نحو العشرة آلاف مع أنه قد قال غير مرة إن مجلسه حرز بمائة ألف، فلا ريب إن كان هذا قد وقع فإن أكثرهم لا يسمعون مقالته. قال سبطه: سمعت جدي يقول على المنبر: كتبت بأصبعي ألف مجلد وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألفاً. وقال: وكان يجتم في كل اسبوع ختمة ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس. ومن بدائع كلامه: عقارب المنايا تلسع وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس وماء الحياة في إناء العمر يرشح بالأنفاس. وقال لولي أمر: اذكر عند القدرة عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك. ومن كلامه كذلك: من قنع طاب عيشه ومن طمع طال طيشه. وقال في وعظه: يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك وإن سكت خفت عليك فأنا أقدم خوفاً عليك على خوفاً منك، أقول قول الناصح إتق الله خير من قول القائل أنتم أهل بيت مغفور لكم. وقال: يفتخر فرعون ملك مصر بنهر ما أجراه. وإليه المنتهى في الشر والنظم الوعظي وقد نالته محنة في أواخر عمره وشوا إلى الخليفة عنه بأمر اختلف في حقيقته فجاءه من شتمه وأهانته وختم على دأبه وشتت عياله ثم أخذه في سفينة إلى واسط فجلس بها في بيت وبقي يغسل ثوبه ويطبخ ودام على ذلك خمس سنين وما دخل فيها حماماً.

قال الموفق عبداللطيف: كان ابن الجوزي لطيف الصورة حلو الشمائل رخم النعمة موزون الحركات والنغمات لذيد المفاكهة يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون لا يضيع من زمانه شيئاً يكتب في اليوم أربعة كراريس، وله في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية وله في الطب «كتاب اللقط» مجلدان وكان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة، جُلْ غذائه الفراريج والمزاوير ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجنات، ولباسه أفضل لباس الأبيض الناعم الطيب وله ذهن وقاد وجواب حاضر ومجون ومداعبات حلوة ولا ينفك من جارية حسناء. قرأت بخط الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلاذر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات، وكان كثير الغلط فيما يصنفه فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا

يعتبره . قلت : نعم له وهم كثير في تواليفه يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنف آخر ومن أن جُل علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي . وكانت جنازته مشهورة شيعه الخلائق يوم الجمعة ثالث عشر شهر رمضان إلى مقبرة باب حرب سنة سبع وتسعين وخمس مائة وقد قارب التسعين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

مجلس في الاستعاذة

[١] تفسير الاستعاذة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿فإذا قرأت فاستعذ بالله﴾ [النحل: ٩٨] المعنى، فاستعذ بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن، أعوذ بالله ملاذاً وعياداً، ويقال هذا عوذ لي مما أخاف منه، أي مجيري والدافع عني وتسمى المرأة عائداً لأنها تعود بولدها. والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان. وكان النبي ﷺ يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار.

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل، والجبن، والهزم، والكسل، وعذاب القبر، وفتنة الدجال فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم. أعوذ بالله وأحتمي بالله وأستكفي بالله، يا قارىء يا تالي بمن تعوذ، بمن تلوذ، بمن تستغيث، بمن تستجير، بمن تستنصر، بمن تعتصم، بمن تحتمي، بمن تستكفي؟ إلا بالله!

[٢] نصائح

اعلم أن المستعيز بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين.

[١] حديث «كان يتعوذ من البخل».

البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال (٦٣٦٣) من حديث أنس. مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل (٢٧٠٦ / ٥٠).

[٢] حديث «من استعاذ بالله».

ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٤٣٤) من حديث أنس. وقال الهيثمي في المجمع (١٤٢ / ١٠): فيه ليث بن أبي سليم، ويزيد الرقاشي وقد وثقا على ضعفهما وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

أعوذ بالله من الذنوب والعصيان، أعوذ بالله من الضلال والخذلان،
أعوذ بالله من سخط الرحمن.

اعلم يا أخي أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر
الظالمين ، فأحرى أن يسلم المستعيز برب العالمين من الشيطان العدو اللعين .

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات
من الشيطان الرجيم وكَلَّ الله به ملكاً يذود عنه شر الشيطان كما تذاذ الغريبة من
الإبل عن الحوض» فكيف لا يسلم المستعيز بالله من الشيطان والملك يذود عنه
بأمر الملك الديان؟! .

[٣] كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام، أعوذ بالله
من ارتكاب الكبائر والآثام، أعوذ بالله من سخط الملك العلام. أعوذ بالله من عدم
التوفيق لحسن العمل، أعوذ بالله من الركون إلى طول الأمل، أعوذ بالله من تمزيق
الأعمار، في مخالفة هدى الأبرار، ونستعينه على تطهير القلوب من طوابع
الارتياح، وجنابات الاغتيال، فإنه داء قد أعا دواؤه، وتعار شفاؤه، وعمّ بلاؤه،
وكما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا فإن حب الدنيا رأس كل
خطيئة وأصل كل بلية، فلذلك نسأله علماً نافعاً، وعملاً متقابلاً، وإيماناً صريحاً،
ويقيناً صحيحاً. أعوذ بالله من رأي يكون ضلالاً، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة
ووبالاً، أعوذ بالله من نية تعقب وزراً، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شراً أعوذ بالله
من عدم التوفيق، أعوذ بالله من ترك التحقيق، أعوذ بالله من ترك السعة والرجوع
إلى الضيق.

[٤] تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا في إخراج أبيكم آدم من الجنة دار الأمان، وهبوطه إلى دار
الذل والهوان، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان. وقد نهاكم مولاكم عن طاعته،
وأمركم بمعصيته، فإن في طاعته سخط الرحمن، ومعصيته توجب سكنى الجنان،
ونزول محل الرضوان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾

[البقرة: ٢٦٨] فمن أطاعه خذله وصدّه عن الهدى، وفتح في قلبه أبواب الضلالة والردى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]
أعوذ بالله من وسواس الصدر، أعوذ بالله من المكر والغدر، أعوذ بالله من شتات الأمر، أعوذ بالله من قلة الشكر، أعوذ بالله من عذاب القبر، أعوذ بالله من ترك المتاب، أعوذ بالله من شدة العذاب، أعوذ بالله من مناقشة الحساب، أعوذ بالله من غضب رب الأرباب.

[٥] التعوذ عبادة

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم. الله الله لا تقروا عين عدوكم الشيطان، فإنه يؤدبكم إلى عذاب النيران، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان. أعوذ بالله من مرديات الأعمال، أعوذ بالله من الغي والمحال، أعوذ بالله من سخط ذي الجلال.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الأعداء، وصار في حرز ذي النعم والآلاء... ومن استعاذ بالملك الرحمن، سلم من شر العدو الشيطان.

والاستعاذة أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللثيم.

أعوذ بالله من شهادة الزور، أعوذ بالله من ركوب الفجور، أعوذ بالله من الغي والنفور، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور.

[٦] تعوذ النبي ﷺ

روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة، وقرين سوء وروح أذى» أعوذ بالله من شماتة الأعداء، أعوذ بالله من خيبة الرجاء، أعوذ بالله من عضال الداء، أعوذ بالله من مخالفة الهدى، أعوذ بالله من أفعال الردى، أعوذ بالله من سخط ذي النعيم والآلاء، أعوذ بالله من عثرات اللسان،

أعوذ بالله من النسيمة والخذلان، أعوذ بالله من الغيبة والبهتان، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان.

[٧] أحاديث في عذاب القبر

روي عن النبي ﷺ أنه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثم قال: «الآن أقعدوه، والآن سألوه، والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً» ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول، ثم قال ﷺ لأصحابه: «ولولا أنني أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع» فقالوا: يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين؟ فقال عليه السلام: «أما أحدهما فكان يمشي بالنسيمة بين الناس وكان الآخر لا يستتره من البول».

[٨] أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يعذب أحدٌ في قبره إلا بإحدى ثلاث، في الغيبة والنسيمة والبول» فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنسيمة والبهتان، وأذى الجيران، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن، ويقرب من الشيطان، ويصد عن الجبان، ويؤدي إلى النيران. أعوذ بالله من علة الدين، أعوذ بالله من ضعف اليقين، أعوذ بالله من الشيطان اللعين، أعوذ بالله من سخط رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان المشبور، أعوذ بالله من عذاب القبور، أعوذ بالله من ترك التعميم والسرور، أعوذ بالله من الصد من دار الحبور، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور.

[٩] القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم، وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس في أي كثيرة من القرآن.

[٧] حديث «مر على البقيع».

البخاري: كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر (١٣٦١) من حديث ابن عباس.. مسلم: كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول (١١١ / ٢٩٢) من حديث ابن عباس.

فمن استعاذ بالملك الوهاب، من شر الشيطان الكذاب، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب. والقرآن شافع لمن عمل به، وخصم على من لم يعمل به.

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتزليل، ويبعدكم عن الملك الجليل، ويلقيكم في معصيته لتصيرون إلى العذاب الدائم الطويل، في اليوم الهائل العبوس الثقيل.

[١٠] لكل أحد الشيطان

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله ما من أحد إلا ومعه شيطان؟ قال: «نعم» قالت: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم» أعوذ بالله من خشوع النفاق، أعوذ بالله من البعد والفراق، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق. وأنشدوا:

ويحك عُدْ بالله ذي الجلالِ والمجد والنعماء والإفضالِ
ثم اتلُ آياتِ من القرآنِ ووَحِّد الله ولا تبـالِ

أعوذ بالله من عبدٍ شارد، أعوذ بالله من شيطان مارد، أعوذ بالله من عدو حاسد، أعوذ بالله من قلب فاسد، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد.

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيراً أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشّطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه، وأعرض عمن سواه، وآثر رضاء سيده على هواه، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه.

وإذا أراد بعبده شراً مكّن منه شيطانه وسلّطه عليه فأبعد عنه طاعة الجبار، وكسّله عن عمل الأبرار، وحبّب إليه، أعمال أهل النار، وبغّض إليه أعمال أهل دار القرار.

[١٠] حديث «ما من أحد...».

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١٠/٨) من حديث شريك بن طارق.

[١١] فرح الشيطان بالعاصي الجاهل

روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال: فديت وجهاً لا يفلح أبداً» فإنَّ الله وثاب عليه واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات الجهالة يقول الشيطان - لعنه الله - وأويله قطع عمره في الضلالة فأقر بالمعصية عيني، ثم أخرجني الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزني.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان، وارجعوا بالتوبة إلى مولاكم الرحمن، فعساه أن يستر ذنوبكم ويعيوكم بستر الغفران، إنه كريم متفضل مثَّان.

أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة، أعوذ بالله من الغرة بعد الإرادة، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة. أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان. أعوذ بالله من القطيعة والحرمان، أعوذ بالله من طاعة الشيطان، أعوذ بالله من العقوبة والهوان، أعوذ بالله من نقض العهود، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود، أعوذ بالله من سخط ذي الكرم والجود.

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب، بصير بإلقاء العبد في الذنوب، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعينوا من شره بمولاكم علام الغيوب.

أعوذ بالله من قلب لا يخشع، أعوذ بالله من عين لا تدمع، أعوذ بالله من دعاء لا يسمع، أعوذ بالله من عمل لا يرفع، أعوذ بالله من علم لا ينفع.

أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزير بمعصيته.

أعوذ بالله من زيغ القلوب، أعوذ بالله من تتابع الذنوب، أعوذ بالله من ترادف العيوب، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب. أعوذ بالله من مُضِلَّاتِ الفتن، أعوذ بالله من البلاء والمحن، أعوذ بالله من سخط ذي الجود والمنن.

أعوذ بالله من النقص بعد التمام، أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام.

[١٢] جنود إبليس

ذكر في بعض الأخبار أن إبليس - لعنه الله - يبعث في كل يوم ثلاثمائة وستين عسكرياً لإضلال المؤمنين، والله تعالى ينظر في قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففي كل نظرة من نظراته تهلك عسكرياً من عساكره فأني تبقى عسكر للشيطان في جنب نظرة الرحمن؟.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع، وأسئلوا على ما فرطتم غزير الدموع. أعوذ بالله من عواقب الخلاف، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف.

أعوذ بالله من الباطل وشره، أعوذ بالله من الشيطان ومكره، أعوذ بالله من العصيان وذكره.

أعوذ بالله من فساد القلب، أعوذ بالله من ترادف الذنب على الذنب، أعوذ بالله من سخط الملك الرب.

[١٣] محاورة إبليس لموسى

روي أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه: لا تخلون بامرأة غير ذي محرم فأكون ثالثكما، ولا تقضين فأنال منك، وإذا هممت بصدقة فبادر إليها، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك في ذلك سبعين باباً من الفقر أمنعك بها من الصدقة.

وقيل في قول الله عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية. أي: يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك، وقيل يعدكم الفقر في طلب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذي يؤدي صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد. وقيل يعدكم الفقر في البذل والعطاء في مرضاة الله عز وجل وهو الغني لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلاً فينبغي للعبد أن يذكر ممن الله تعالى عليه، وإحسانه إليه، وإفضاله لديه.

[١٤] أصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال في محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح. واعلم أن البخل شجرة في النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهي شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قاده إلى النار. وكذلك الكرم شجرة في الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم، والكرم من أخلاق الملك الكريم، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم. ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً قط إلا وهو كريم، ولا رأيتم عبداً صالحاً إلا وهو كريم. قال: فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين، وهو من أخلاق رب العالمين، فاستعملوه بينكم يا معاشر المؤمنين، والمؤمنات يا أمة محمد خاتم النبيين. أعوذ بالله من عين لا تبكي عليه، أعوذ بالله من قلب لا يشتاق إليه، أعوذ بالله من دعاء لا يصل إليه، أعوذ بالله من الذل إلا إليه.

[١٥] نجاة المستعيز من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيز بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ [٢٦٨] وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] أعوذ بالله من اللهو والغفلات أعوذ بالله من العذاب والحسرات، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسماوات.

إخواني أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين الذليل، واعملوا بالسنة والتنزيل.

[١٦] خصال الخير عن الإمام علي

روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً، أولها من عرف الله فاطاعه، والثانية من

عرف الشيطان فعصاه، والثالثة من عرف الحق فاتبعه، والرابعة من عرف الباطل فاجتنبه، والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها، والسادسة من عرف الجنة فطلبها. فالله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم. واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم.

[١٧] من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لي: يا أبا سعيد أما علمت أي لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة، قال: فقلت له: يا ملعون فما الذي تخافه؟ قال أخاف من شيئين: أحدهما استعاذة المستعيزين، والثاني شعاع معرفة الصادقين. أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه، أعوذ بالله ممن لا يبكي على رمسه، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه.

حكى عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: رأيت إبليس في المنام عرياناً يتلاعب بالناس فقلت: أما تستحي من الناس؟ فقال الملعون: بالله عليك هؤلاء عندك ناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة، فقلت له: يا ملعون ومن الناس؟ قال: ثلاثة نفر بمسجد الشيرازي - كذا سمي المسجد - أمرضوا كبدي، وأنحلوا جسمي، كلما هممتُ بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أن أحترق، قال الجنيد: فانتبهت وقد بقي من الليل بقيةً فخرجت إلى المسجد الذي ذكر الملعون فدخلته فإذا بثلاثة نفر قعود رؤوسهم في مرقعاتهم فقال لي أحدهم: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئاً تقبله! يا أخي اعلم أن من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين: ﴿لَأَقْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قُطَّاعُ لطريق الدنيا على المسلمين، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبي ليصدكم عن الحق والهدى، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين.

[١٨] وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

[الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾
[النحل: ٩٩] الآية وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا في الصلاة سبع عشرة مرة في
سبع عشرة ركعة وهي عدد ركعات الفرض: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
[الفاتحة: ٦] فَأَنَّى يَضْرُكُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ١٩.

إعلم يا أخي أن البيت المعمور كان في الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه
الصلاة والسلام فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء. وقلب
المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى، لأن
البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه،
فستان ما بينهما!

ذكر عن أبي سعيد أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] كأنه يقول إن كان لك عليهم أن تلقهم في معصية الله،
فليس لك عليهم أن تمنعهم من مغفرة الله.

وقول آخر، إن كان للشيطان سلطان في إلقاء العبد في المعصية، فأولى أن
يكون لمغفرة الله سلطان في تطهير العبد من الخطية، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة
من مغفرة الرحمن في قلوب أهل الإيمان. أعوذ بالله من كثرة الفساد، أعوذ بالله
من ظلم العباد، أعوذ بالله من غضب رب جواد، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد،
أعوذ بالله من القطع والبعاد. وأنشدوا:

أعوذ بالرحمن من موقف يشهده المؤمن والكافر
إن كنت بثس العبد يا سيدي فأنت رب سيد غافر

[١٩] ضعف الإنسان والشيطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الإنسان ضعيفاً، وقال في آية
أخرى: ﴿إِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] والضعيفان إذا اقتتلا ولم
يكن لواحد منهما معين لم يظفر بصاحبه، فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين
بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه ويعينه عليه. من كان في
معونته الإله العظيم، لم يضره كيد الشيطان الرجيم، من كان في معونته الملك
الوهاب، لم يضره كيد الشيطان الكذاب، من كان في معونته الملك القهار، لم

يضره كيد الشيطان الفرّار، من كان في معونته الملك الرحمن، لم يضره كيد الشيطان، وأنشدوا:

العبد في كنف الإله وحفظه من كل شيطان غوى ساء
إن عاذ بالرحمن عند صباحه وكذلك إن أمسى بذكر الله

[٢٠] دعاء يعصم من الشيطان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، قال قرينه: عوفي هذا العبد مني اليوم» شعر:

يا رجائي في بلائي لا تُزل عني خيرك
أنت ربي أنت حسبي أنا لا أعبدُ غيرك

أعوذ بالله من عدم الإخلاص، أعوذ بالله من هول يوم القصاص، أعوذ بالله من ترك الاستقامة، أعوذ بالله من العذاب والملامة، أعوذ بالله من هول يوم القيامة، أعوذ بالله من الحسرة والندامة، أعوذ بالله من حرمان الكرامة.

[٢١] لماذا حجب الله إبليس

يا أخي إن الله تعالى لما قُبِح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته، وأوحش هيأته وقامته، لطف بعباده حيث ستره عنهم، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم، ولذلك جعل المولى جل جلاله السَّاء موضع نظرهم، وزينها بعلامات الرسوم، وحفظها من الشيطان الرجيم برواصد النجوم، فكانه قال سبحانه: يا عبادي لا يصلح لأبصاركم ما كان مشوهاً قبيحاً، بل يصلح لها ما كان مزيناً مليحاً، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس في الدنيا فأولى أن يُلطف بالمؤمنين في العقبى، يضيئون أبصارهم عن النظر إلى النار الكبرى وهي الجحيم، ويكرمها بالنظر إلى الدار المزيّنة وهي جنة النعيم، أعوذ بالله من مخالفة الأحكام

[٢٠] حديث «من قال حين يصبح».

أبو داود: كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٦) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

أعوذ بالله من التماذي في الآثام، أعوذ بالله من معصية السلام، أعوذ بالله من عذاب الغرام.

[٢٢] زينة السماء

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها: تزيني فازينت، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون، فجعل الله تعالى السماء في الدنيا موضع نظرك، وجعل الجنة المزينة في العقبى موضع ترغبك، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون في الدنيا وغيبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد على رؤوس الأشهاد. لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال: «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» [الأعراف: ٢٧] فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن: أنا حبيبك الأعظم، وإن إبليس عدوك الأعظم، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها، وترادف همومها وغمومها، أهون عليك. وكان أيضاً يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم، ورؤيتك عدوك الأعظم، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك.

أعوذ بالله من التضييل والتسويق، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف.

حكى عن سهل بن عبدالله التسري رحمة الله عليه قال: رأيت إبليس اللعين في المنام فقلت له: أي شيء أشد عليك؟ فقال: استعاذة المستعذ برب العالمين الذي هو أرحم الراحمين.

[٢٣] طهارة العاصي ونجاسة المعصية

واعلم يا أخي أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راضٍ بقلبه، وإنما مثله كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه غدير ماء طاهر فيكون قلبه مع

[٢٢] حديث «لما خلق الله الجنة».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١٨٤) من حديث ابن عباس.

[٢٣] حديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم».

مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤ / ٣٢) من حديث أبي هريرة.

الماء وإن كانت نفسه في النجاسة، فيكون سبباً لطهارته. كذلك نفس المؤمن وإن كانت في نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سبباً لطهارته من المعصية. والأصل في هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان، وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان، هكذا المؤمن يعمل المعاصي بالإدمان لكنه لا يرضاها فترجو أن لا يعاقب. شعر:

إنني تعوذت بالعظيم الأول الآخر القديم
 ذي الطول والفضل والمعالي الماجد الواحد الكريم
 من شر نفسي ومن هواها وشر شيطانها الرجيم
 أعوذ بالله من شر لا يزول، أعوذ بالله من عذاب لا يحول، أعوذ بالله من مخالفة الرسول.

[٢٤] التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين، والتمسك بسنة خاتم النبيين، وبمخالفة الشيطان اللعين، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين. ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين، وتنتظروا إلى وجه رب العالمين. وأنشدوا:

أعوذ بالله الذي لم يتخذ ولداً وقدر الرزق قبل الخلق تقديراً
 أعوذ بالله العلي مكانه ذي العرش لم نعلم سواه مجيراً
 من حر نار لا تفتقر من لهب من حرها للظالمين سعيراً
 وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى يدعون فيها حسرة وثبوراً

أعوذ بالله من الملوك العاتية، أعوذ بالله من القلوب القاسية، أعوذ بالله من الهوام العادية، أعوذ بالله من اللصوص الضارية، أعوذ بالله من جور السلاطين، أعوذ بالله من كيد الشياطين، أعوذ بالله من أذى المساكين.

إخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة.

روي عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال: من ذرية إبليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته كل يوم. فالله عباد الله لا تبذلوا

مهجتكم للنيران. ولا ترضوا بالزيادة والنقصان، في المكيال والميزان، فإن ذلك يؤدي إلى عذاب النيران.

[٢٥] كيف أهلك النبي عفرينا

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه، فجعل النبي ﷺ يقرأ، فإذا بعفريت قد أقبل من مَرَدَةِ الجن وفي يده شعلة نار وهو يقرب من النبي ﷺ، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته؟ قال له: قل أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شرٍّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق النهار إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. فقالها النبي ﷺ فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلته.

[٢٦] سليمان وإبليس

وذكر أن إبليس لعنه الله لقي سليمان ﷺ فقال له سليمان: يا ملعون ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ؟ فقال له الملعون: يا سليمان لأدعونهم حتى تكون الدنيا والدرهم أشهى عندهم من شهادة أن لا إله إلّا الله. فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فإنها حبائل الشيطان.

[٢٧] نصائح من خطبة الوداع

روي عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «أيها الناس إني لكم ناصح أمين، ألا وإن إبليس قد يش منكم لا تعبدون صنماً أبداً، ولكن والذي بعثني بالحق ليجعلنكم إبليس لعنه الله أن تعبدوا ألف إله، يعبد الرجل إبله، والآخر امرأته، والآخر غنمه، والآخر حرثه، والآخر تجارته، والآخر صنعته، والآخر مركبه، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل: كيف حالك؟؟ فيقول له: لولا تجارتي ما كان لي حال، والآخر يقول لولا حرثي والآخر يقول لولا امرأتي والآخر يقول

[٢٥] حديث ابن مسعود «كنت مع رسول الله» .

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤١٩) من حديث عبدالرحمن بن خنيس التميمي .

لولا مركبي، والآخر يقول لولا صديقي، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه في دنياه، ويقطعه عن أخراه».

يا ابن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك، وما احتقارك بمن إليه افتقارك، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائماً، وبالليل نائماً، متى ترضي من كان بأمرك قائماً؟ يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق، الذي يتكفل بقسمة الأرزاق، توكل يا أخي عليه، وأسند أمورك إليه، فإنه لا يملكها غيره.

[٢٨] أعوان الشيطان من بني آدم

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للشيطان أعواناً من بني آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويحبب إليهم كسب السحت والحرام والذي بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الأوثان» أعوذ بالله من الركون إلى الهوى، أعوذ بالله من الضلالة والردى. أعوذ بالله من معصية إله السما.

[٢٩] آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبدالله بن سهل التستري رحمه الله قال: لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والأمان وأنزله إلى دار الذل والهوان والبلاء والامتحان، قال الله تعالى: يا ابن آدم أسكنتك في جوارى فعصيتني، وأطعت الشيطان وتركتني، وعزتي وجلالي لأسكننك في جواره لتطيعني وتعصيه، وتحبني وتبغضه، فإذا كان يوم القيامة أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة.

جاء في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه أربعة أشياء وهي المعرفة، والعقل، والإيمان، واليقين. فصار خزانة لهذه الأشياء وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم إبليس، والهوى والنفس، والدنيا وضمن إبليس لأصحابه الوصول إليها كما قال تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة قدرته على مدافعة علمه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهي: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، فكأنه قال تعالى: يا ابن آدم أنا الأول احفظ معرفتك لي من بين يديك، وأنا الآخر احفظ

عقلك وأنا الظاهر احفظ إيمانك عن يمينك، وأنا الباطن احفظ يقينك عن شمالك .

[٣٠] اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء، ما الحكمة في أن لم يعط إبليس اثنان من ابن آدم وأعطى أربعة؟ أعطي من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع، لم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ قال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين، عصمنا الله وإياكم من فتنه عصمة يدخلنا بها في رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مجلس في ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها

[٣١] سورة الزلزلة وما تشير إليه

قال الله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة ليتتهوا عما نهاهم عنه من العصيان، ويمثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها. قال الله سبحانه وبحمده: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل في بطنها جميع ما خرج منها. وزلزلتها من شدة صوت إسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها. وذلك إذا حمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم، وترك الجهاد، وظهر الفساد، وفشا الربا، وكثر اللواط والزنا، وركبوا الفواحش والفجور، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمر، وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم، وقرئ القرآن فلم يعمل به، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب، وتزيّن الفساد بالمعاصي والذنوب، فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله: يا إسرافيل انفخ الصق فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغربها، وذلك من غصبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار.

[٣٢] صفة إسرائيل

وإسرافيل عليه السلام ملك عظيم جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بخمسائة عام والسموات السبع إلى ركبتيه، وعنقه ملوي تحت العرش والعرش على كاهله. وقد مدَّ الرجل اليمنى وآخر اليسرى، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ في الصور والصور قرن من نور.

قال النبي ﷺ: «الصور قرن من نور، والذي نفسي بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والأرض».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ في الصور فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلا أربعة أملاك فإنهم لا يموتون إلا بعد موت الخلائق وهم، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فمن شدة صوت إسرائيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى مغربها فلا يبقى بناء إلا انهدم إلا المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى، لما عُبدَ فيها ووحد وقرئ كلامه فيها وذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] جاء في التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملاً يراد به وجه الله تعالى، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بنيت لوجه الله تعالى.

[٣٣] خشية النبي من هبوب الريح

روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة وزلزلة الأرض، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله فكيف بمن أفنى عمره في السهو

[٣٢] حديث «كيف أنعم وصاحب الصور».

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرفائق باب ما جاء في شأن الصور (٢٤٣١) من حديث أبي سعيد. والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٢٦) من حديث ابن عباس.

[٣٣] حديث «كان إذا هبت الريح».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٥٩) من حديث أنس.

والغفلات، وقطع أيامه باللهو والبطلات، وضع أوقاته في العصيان حتى مات؟؟ وأنشدوا:

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ وليلك نومٌ والردى لك لازمٌ
وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ
وفعلك فعل الجاهلين بربهم وعمرك في التقصان بل أنت ظالمٌ
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في الثَّوامِ ناجٍ وسالمٌ
تسر بما يقنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالمٌ
فلا تحمد الدنيا لكن قذمها ولا تكثر العصيان إنك ظالمٌ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «انتهيت ليلة أُسري بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلاً وأخر أخرى والعرش على منكبه والصور في فيه بين شديقه وقد تهيأ للنفخ في الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيئته للنفخ».

اسئل رسول الله ﷺ عن إسرافيل فقال: «له جناح بالشرق وجناح له بالمغرب، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله وإنه ليفكر في كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى فيبكي من خوف الجبار حتى تجري دموعه كالبحار فلو أن بحراً من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع» والوضع طير صغير يشبه العندليب، والعندليب أصغر ما يكون من الطير، فالله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال وتنقلع الشجر وتهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلا دخل في جوفها.

قال عكرمة: إنما تقوم الساعة على شر الخلق.

[٣٤] متى ينفخ في الصور

قال حذيفة: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني، فكان النبي ﷺ يقول: «في آخر الزمان فتنٌ كقطع الليل المظلم

فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرائيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ومنهم من هو في سوقه ومنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق. ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم.

وإسرائيل لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها، ويدخل الكلُّ بعضه في بعض في بطن الأرض والناس خمود صرعى فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يتلعها وتقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتستوي بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات، والحجب والسرادات، والصادقون والمسيحون وحملة العرش والكرسي وأهل سرادات المجد والكروبيون وبقى جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك الموت عليه السلام.

[٣٥] كيف يموت جبريل

يقول الجبار جل جلاله: يا ملك الموت من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول ملك الموت: سيدي ومولاي أنت أعلم بقي إسرائيل وبقى جبريل وبقى ميكائيل وبقى عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال. فيقول له الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى جبريل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راکعاً فيقول له: ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسي والسرادات وسكان سدة المتهى وقد أمرني المولى بقبض روحك! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى: يا الله هوّن عليّ سكرات الموت. فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله: من بقي يا ملك الموت؟ - وهو أعلم - فيقول: مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرائيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

[٣٦] كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله: انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيّله على السحاب فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! ما بقي لبني آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادات وحملة العرش والكرسي وفرادات المجد والكروبيون والصادقون والمسيحون وقد أمرني ربي بقبض روحك، فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهوّن عليه سكرات الموت، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعاً ميتاً لا روح فيه، فيقول الجبار جل جلاله: من بقي؟ - وهو أعلم - يا ملك الموت. فيقول: مولاي وسيدي أنت أعلم بقي إسرائيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

[٣٧] كيف يموت إسرائيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى إسرائيل فاقبض روحه، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرائيل فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! قد ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض روحك، فيقول إسرائيل: سبحان من قهر العباد بالموت، سبحان من تفرد بالبقاء، ثم يقول: مولاي هوّن علي مرارة الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتاً صريعاً، فلو كان أهل السموات في السموات وأهل الأرض في الأرض لماتوا كلهم من شدة رجة وقعته.

[٣٨] كيف يموت ملك الموت

فيقول الجبار تبارك وتعالى: من بقي يا ملك الموت؟ - وهو تعالى أعلم - فيقول: مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي، بقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى: وعزّي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار ومّت، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا من عند آخ هم من شدة صيحته فيموت، فتبقى السموات خالية من أملاكها، ساكنة أفلاكها، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنّها وطيرها وهوامها

وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً، ولا تحس حسيساً، قد سكنت الحركات، وخمدت الأصوات، وخلت من سكانها الأرضون والسماوات.

[٣٩] لمن الملك اليوم؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول: يا دنيا أين أنهارك؟ وأين أشجارك، وأين سكانك، وأيت عمارك، أين الملوك وأبناء الملوك، وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة، أين الذين أكلوا رزقي؟ وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى: الملك لله الواحد القهار، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول: يا دنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى: لله الواحد القهار فتبقى الأرضون والسماوات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك، وقد قيل تبقى أربعين يوماً وهو مقدار ما بين النفختين، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماؤه يشبه مني الرجال ينزله ربنا أربعين عاماً فيشوق ذلك الماء الأرض شقاً فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتنبث بذلك الماء كما ينبث الزرع بالمطر.

[٤٠] كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧] إلى قوله: ﴿كذلك يخرج الموتى﴾ [الأعراف: ٥٧] الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماء الحياة، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل عضو إلى مكانه الذي كان فيه في دار الدنيا فتلتئم الأجساد بقدرة الجبار جلّ جلاله وتبقى بلا أرواح، ثم يقول الجبار جل جلاله: ليعثن إسرائيل، فيقوم إسرائيل عليه السلام حياً بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار: يا إسرائيل اتقم الصور وازجر عبادي لفصل القضاء، فأول ما يحيي الله تبارك وتعالى إسرائيل ويأمره أن يلتقم الصور.

[٤١] صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد فتجتمع الأرواح كلها فتجعل في الصور.

[٤٢] أين يقف إسرائيل

ويأمر الجبار إسرائيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادي في الصور وهو في فيه قد التقمه والصخرة أقرب ما في الأرض إلى السماء وهو قوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ [ق: ٤١] ويقول إسرائيل في ندائه: أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والأشعار المتبددة والعروق المتمزقة، لتقمن إلى العرض على الملك الديان ليجازيكن بأعمالكن فإذا نادى إسرائيل عليه السلام في الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر، وإسرائيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض ثم تدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فيدخل كل روح إلى جسده الذي فارقه في دار الدنيا، فتدب الأرواح في الأجساد كما يدب السم في الملسوع حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت في دار الدنيا، ثم تنشق الأرض من قبل رؤوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وإسرائيل عليه السلام ينادي بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة.

[٤٣] ملازمة الأعمال للأجساد

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا لأن عمل كل إنسان يصحبه في قبره، فإن كان العبد مطيعاً لربه وعمل عملاً صالحاً كان أنيسه في الدنيا، ويكوّن أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم القيامة وكروبها، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو إلى هول من أهوال القيامة جزع فيقول له عمله: يا حبيبي ما عليك من هذا شيء، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذّب بآياته واتبع هواه، وأنت كنت عبداً

مطيعاً لمولاك، متبعاً لنبيك تاركاً لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حتى تدخل الجنة.

[٤٤] العمل السوء وهياته

وإذا كان العبد خاطئاً وعاصياً لذي الجلال ومات على غير توبة وانتقال، فإذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي عمل في دار الدنيا وكان قد صحبه في قبره، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه رآه أسوداً فظيعاً فلا يمر على هول ولا نار ولا شيء من هموم القيامة إلا قال له عمله: يا عدو الله هذا كله لك وأنت المراد به، وأنشدوا:

أي يوم يكون يوم النشور	يوم فيه يفوز أهل القبور
يوم فيه الجزاء جنّة عدن	لمطيع ومن عصى في سعيه
خاب من قد عصى وفاز مطيع	راقب الله في جميع الأمور
قام في الليل لئله ذليلاً	ليس يخلو من خوفه للتقدير
خاف من عظم يوم هول شديد	شدة الهول من عذاب الزفير

فالله عباد الله، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام، واهجروا الفواحش والآثام، وارجعوا إلى طاعة الملك العلّام، من قبل أن يأتي يوم تشقّق السماء فيه بالغمام.

[٤٥] إخراج الأرض ما فيها

قال الله تعالى: ﴿وأخرجت الأرض أنقالها﴾ [الزلزلة: ٢] يعني ما فيها من الموتى والكنوز، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم من أعمال الطاعة وأعمال العصيان. فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره، فإن كان عمله صالحاً وجده نوراً يستره ويحجبه، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة، وإن كان عملاً سيئاً وجده ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة.

هذا كله في النفخة الثانية، وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة، فهو قوله: ﴿أخرجت الأرض أنقالها﴾.

فمثل لنفسك يا مغرور وقد ترادفت عليك الهموم والكروب، وأحاطت بك
الأهوال والخطوب، وأظهرت لك القبائح والعيوب، وأثقلت ظهرك الأوزار
والذنوب وأنشدوا:

قد سَوَّدت وجهي المعاصي وأثقلت ظهري الذنوب
أورثني ذكرها سقاماً فليس لي في الورى طيب
يا شؤم نفسي غداة حشري إذا أحاطت بي الكروب
وصوتُ داع دعا باسمي أين مفري وما أجيب؟
هذا كتاب الذنوب فأقرأ فعندها تظهر العيوب

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة ومملك من ملائكة
العذاب واقفٌ عليها، فإذا نظر إلى ما قدم في أيامه قال له الملك: يا عدو الله خذ
عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به في الدنيا ولم تراقب مولاك، وقد
علمت أنه مطلع عليك ويراك، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على
ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه إلى الموقف ومملك يسوقه سوقاً حثيثاً
بالعنف والانتهاز والإغلاظ عليه، وآخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه.
وأنشدوا:

كيف احتيالي إذا جاء الحساب غداً وقد حشرت بأثقالِي وأوزاري
وقد نظرت إلى صحفي مسودةً من شؤم ذنب قديم العهد أوطاري
وقد تجلّى لهتكِ الستِرِ خالقنا يوم المعاد ويوم الدّلِّ والعارِ
يفوز كلُّ مطيعٍ للعزیز غداً بدارِ عدنٍ وأشجارٍ وأنهارِ
لهم نعيمٌ خلودٌ لا نفاذَ لظلمةِ لا يخلِّدون بدارِ الواحدِ الباري
ومن عصى في قرار النار مسكنه لا يستريح من التعذيب في النارِ
فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم لا يستريح من التعذيب بدمعٍ واكفٍ جاري

فالله الله يا أولي الألباب، تفكروا في هول يوم الحساب، ولا تنسوا المطالبة
برد الجواب وأشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب، وأرجعوا إلى طاعة رب
الآرباب، وابكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب.

[٤٦] مدة النفخ في الصور

ذكر أن إسرافيل عليه السلام لا يقطع النداء في الصور حتى تُخرج الأرض

جميع ما فيها من الموتى وحما أرواحها الله تعالى من شيء. فلما كمل السنين
الموقوت بـكل أنس الأرض وجنتها ووعودها وبنائها وطيرها وأنعامها وقمرها
للبلية قطع إسرائيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض
والسنوات، ففي تبديلها قولان.

[٤٧] حياة أرض الحساب

أحدهما أن الأرض التي يحاسب العباد عليها هي أرض من فضة بيضاء لا
جبل فيها ولا بناء ولا بحار ولا أنهار ولا أشجار، ما سفك عليها دم ولا عصي الله
تعالى عليها يأتي بها من غامض علمه ويقول لها كوني فتكون، وقد أضرم تحتها
النيران وتكون هذه الأرض في عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء في الثور
الأسود.

وقد قيل: إن تبديل الأرض هدم مبانيها، وغور مياهها، وانقطاع أشجارها،
وتسجير بحارها، وتسيير جبالها، وتبديل السماء، وتكوير شمسها وقمرها،
وانكدار نجومها، وتعطيل أفلاكها، وتشققها. فهذه تبديل الأرض والسموات والله
أعلم بحقيقة ذلك.

[٤٨] كيف يقف الناس في المحشر

فإذا قطع إسرائيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى
السماء ولا يرتد إليه طرفه ولا يدري أحد من يقف بجواره لا رجل ولا امرأة ولا
يدري الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بابنها. كل إنسان منهم مشغول بما هو
فيه من عظيم الأهوال، وكل واحد منهم يفكر فيما قد جاء به من العصيان، وفرط
فيه من الطاعة والسموات، فالحكل ينظر إلى ما ينزل به الأمر من السماء من عقاب أو
سعادة.

[٤٩] مقدار زمن الحشر

ويقال والله أعلم: إن الوقوف يكون مقدار ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لا
خبر يتنزل ولا خبر يصعد. قد كثر الزحام فلا تسمع إلا همس الأقدام حيارى
نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم، يومئذ لا ينفع البكاء ولا الندم.
وأنشدوا:

ليس في الدنيا لمن آ من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدن يا جهول أو كفور
إنما الدنيا متباع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيه تمور

[٥٠] بكاء النبي من أهوال القيامة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَوَّفَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى أَبْكَانِي فَقُلْتُ لَهُ: حَبِيبِي جَبْرِيلُ أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لِتَشَاهِدَنَ مِنَ الْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا يَنْسِيكَ الْمَغْفِرَةَ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَّتْ دُمُوعُهُ لَحِيَّتَهُ، فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحِسَابِ وَقَدْ أَقَمَّهُ الْجِبَارُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ، وَوَعَدَهُ بِالْجَنَّةِ وَحَسَنِ الْمَأَبِ، فَكَيْفَ بِأَمْثَالِنَا الْمَسَاكِينِ؟ وَكَيْفَ بِمَنْ تَرَكَ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَخَالَفَ السَّنَةَ وَالْكِتَابَ، وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَأَفْنَى عَمْرَهُ فِي مَعْصِيَةِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ؟ وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ [الفجر: ٢١] هُوَ تَحْرِيكُهَا، وَقِيلَ دَكًّا دَكًّا إِذْهَابًا.

[٥١] معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين، دكاً دكاً وصفاً صفاً؟ فقال: تدكدك الأرض دكاً بعد دك، أي تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر. وقوله صفاً صفاً، تأتي الملائكة صفاً بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال. فإذا كثر زلزال الأرض: ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ٤١] حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد من بين قديم وجديد، فيأله من يوم ما أهوله ومن بلاء ما أطوله، ومن جبار ما عدله. قد أفنى العباد بالحمام فلا يرى أحد من الأنام. فإذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى السموات أن تنشق فتتنشق كل سماء وتنقطع مثل قطع السحاب، وقيل كما يتطاير القطن بين يدي القطانين إذا ندفوه.

فمثل لنفسك صوت انشقاقها في سمعك، وكيف يثبت له فؤادك، ويستقر لفظاعة هوله قدمك، فقدم في أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن الخلق في أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا من خير وشر، فمن عمل صالحاً وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم آمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه، ومن لم يقدم في دنياه عملاً صالحاً لأخراه لقينه صعاب الخطوب، وترادفت عليه الهموم والكروب، فيندم حين لا تنفعه الندامة إذا حل في أهوال القيامة.

[٥٢] الأمن والخوف

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى إذا خافني عبدي في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا آمنتني في الدنيا أخفته يوم القيامة» فإذا انشقت السموات بلغت القلوب الحناجر، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل في الظواهر والسرائر، إذا انشقت السماوات عظمت المصائب، وكثرت النوائب، وندم العبد على ما فرط في الدنيا وضيع من الثواب والرغائب.

فإذا انشقت السماوات عظمت الرزيات، وكثرت الآفات، وظهر العذاب وحلت العقوبات، وأظهر الله مخبات السريرات، وندم العبد المغرور على ما أذنب في الأيام والأوقات، وما جنى في الشهور والساعات.

فإذا انشقت السماوات كثرت الأحزان، وبرزت النيران، وأزلفت الجنان، وندم العاصي على ما عمل من العصيان، وعلى ما فرط فيه من طاعة الرحمن فاتنبهوا لهذه الأهوال يا معشر الأخوان، يا أهل الإسلام والإيمان، فإن الهول والله عظيم، والخطب كبير جسيم.

[٥٣] ملائكة سماء الدنيا

فإذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها، فإذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فرع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا: لا تجزعوا منا فإننا نخاف من الذي تخافون، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجننها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفاً، فتبقي العباد يموج بعضهم في بعض.

[٥٤] ملائكة السماء الثانية

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عدداً وأعظم خلقاً ممن اجتمع في الأرض سبعين ضعفاً، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في الأرض فيقولون لهم: لا تمزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخلف عما نخافون منه. فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفاً. وكان أهل كل سماء في صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما يبدو له. وأنشدوا:

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم	وقبل يؤخذ بالأقدام واللمم
والناس أجمع طراً شاخصون غداً	لا ينطقون بلبابكم ولا صمم
والخلق قد شغلوا والحشر جامعهم	والله طالبهم بالحل والحرم
وقد تبدى لأهل الجمع كلهم	وعُد الآله من التعذيب والنقم
وكل نفس لدي الجبار شاخصة	لا ينطقون بلا روح من الزحم

[٥٥] الجبابرة في الحشر كالذر

روي أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر أصغر الناس خلقاً لتجبرهم على العباد في الدنيا قد صارت العزة للغني الحميد، ولزمت الذلة كل جبار عنيد، وشيطان مريد قد ترادفت عليهم الهموم والأهوال، وظهرت لهم العقوبات والأنكال، وندم كل مذنب بطل، فحينئذ لا حيلة لمحتال (في يوم لا بيع فيه ولا خلال) شعر:

مقام المذنبين غداً عسير	إذا ما النار قربها القدير
وقد نصب الصراط لكي تجوزوا	فلا ينجس الكيسر ولا الصغير
وقد نسفت جبال الأرض نسفاً	ويست البحور فلا يحور
وبرزت الجحيم لكل عبد	على أهل المعاد لها زفير

عباد الله تفكروا واعتبروا، وابكوا وتباكوا. واستعدوا لليوم الثقيل، والهول الكبير، والخطب الجليل، والعذاب الشديد الطويل.

[٥٦] حديث في أهوال يوم القيامة

ذكر في بعض الأخبار عن النبي المصطفى المختار ﷺ وعلى آله الأخيار

دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال: «لَيَوْمِ الْقِيَامَةِ مِائَةُ أَلْفِ هَوْلٍ كُلِّ هَوْلٍ أَكْبَرُ مِنَ الْمَوْتِ مِائَةُ أَلْفَ مَرَّةٍ» فانددم يا مسكين على ما صنعت وفات، وأصلح بالتوبة النصوح ما هوأت، من قبل أن تأتي يومٌ لا مردَّ له من الله ليس للظالمين من نصير، ولا للعاصين من مجير، ولا لأحد من ملجأ ولا نكير.

[٥٧] شدة الحر والظل

فإذا تكامل أهل السموات، وأهل الحجب والسرادات، وحملة العرش والكرسي وجميع أهل الأرض في عرصة القيامة وازدحمت الخلائق واختلفت الأقدام، وشخصت الأحداق وتناولت الأعناق، واثنت من شدة العطش، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التي أنزلتهم عليها أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا، وقد زيد في حر الشمس ما يتضاعف - قيل حر عشر سنين - ولا ظل يومئذٍ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلا على قدر عمله، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس؟.

[٥٨] مطر الرحمة

وقد قيل: إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترمي جهنم شررها على طائفة أخرى، فكم من مستريح ببرد ماء الأمطار وبين ملتهب بحر شر النار؟ فمن قطع عمره في الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن، خلَّصه مولاة من جميع الهموم والأحزان.

[٥٩] ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب، وتقطعت السماوات وتطايرت مثل قطع السحاب، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول في أليم العذاب، وقد صارت العزة لذي البطش الشديد، ولزمت الذلة كل جبار عنيد، ثم رجعت السماء كالمهل وهو دردي الزيت الذي يجلس في قعر الإناء قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير الخلائق كالقراش وهو البعوض وقيل كالجراد

المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة. كذلك الخلق يموج بعضهم في بعض لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. قد اجتمعت القيامة بأحوالها ووضعت الحوامل أحمالها، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها، وشهد على الأمم بأعمالها. وشاب الوليد، وحضر الوعد وحق الوعيد، وعظم الهول الشديد، وذلل كل متكبر وجبار عنيد. قد خضعت الرقاب لرب الأرباب، وخاب كل كفار كذاب، واشتد الهول وعظم العذاب، فتفكروا فيما تسمعون يا معشر الأحباب، وانظروا لأنفسكم يا جماعة الأخوان والأصحاب، واستعدوا لأحوال القيامة يا أولى العقول والألباب. وأنشدوا:

مثل لقلبك أيها المنرور	يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت	حرأ على روس العباد تقور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها	فرأيتهما مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها	خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت	وتقول للاملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا	وعجائباً قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق	خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله	كيف المقيم على الذنوب دهور؟

[٦٠] جهنم في المحشر

فإذا اشتد الفرق، وسال العرق، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم أعاذنا الله وإياكم منها وزحزحنا وإياكم عنها برحمته، فيؤتى بها وأحوالها وأنكالها وسلاسلها وأغلالها، وقد اشتد جحيمها وغلا حميمها وكثر زقومها وغضب زبانيته وعظم سم حياتها وعقاربها واسودت جبالها وهاجت بحارها وتن غسليتها وغلى سمومها وقد اجتمعت مما خلق الله فيما من عظيم بلائها، فأبرزت للمخلائق وهم ينظرون إليها من مسيرة خمسمائة عام.

[٦١] وصف جهنم

قال الله تعالى: ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ [النازعات: ٣٦] فيراها

الخلائق كلها وهي تفتاظ على العباد، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله وتتغيط وتتسمر، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهي تريد أن تنفلت من أيديهم وتأتي على أهل الموقف والملائكة التي يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف، فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه، بيد كل واحد منهم أرزية من حديد من نار فيها إثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام ورؤوسها كرؤوس الأفاعي وهي أخف في يدي الملك من الريشة وأعينهم زرق وجوههم كliche قد خلقوا من نار السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدي الملائكة من غضب الجبار جل جلاله.

هذا كله قاله الضحاك عن الأئمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

[٦٢] بطش جهنم

فإذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفرع الأعظم فيخرج من نفسها وهجٌ شديدٌ ويسمع من جوفها دوي سلاسل الحديد. فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقاً ورأوا لها حريقاً، فإذا نظرت في أهل المعاصي ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاطت وتمحمت إليهم وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريد أن تنفلت من أيدي الخزان فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذاً ولا مكاناً يستغيثون إليه، ومنادى ينادي ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن: ٣٣] أي بحجة، ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله، فإذا انفلتت من أيدي الزبانية أرادت أن تقبض على كل من في الموقف فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول وكل نبي يومئذٍ بنفسه مشغول.

[٦٣] رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها، ويقبض على خطامها، فيردها على عقبها وهو ﷺ يقول لها: كفي عن أمتي، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه: أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم، خلّ سيلي من يدك، فما جعل الله لي ولا لغيري من سلطان

عليك فيناديها الملك الجليل الجبار، هذا محمد حبيبي سيد الأبرار، ووزير الأخيار، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة فعند ذلك تضع جهنم رأسها خاضعة كالحة كليلة تحت سكون وخمود بإذن الملك المعبود، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، والكرم والجود، وإقامة الحقائق والحدود. ولو تركها خاتم النبيين، وسيد المرسلين، لأهلك الخلائق أجمعين، غضباً لغضب رب العالمين. أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين.

[٦٤] جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها، إذا نظرت إلى الكفار والمنافقين والفجار، وأصحاب الخطايا والأوزار، زفرت زفرة فترمي شرراً على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورميل البر، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين. فلو كانت الدنيا باقية لأنهارت جبالها، وجفت أزهارها ويست عيونها وأنهارها، من شدة حر جهنم، ولو كان ثم موتٌ لمات الخلق كلهم.

[٦٥] الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى فلا تبقى دمعة في عين إلا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها، وتبلغ القلوب الحناجر، ولا يسأل أحد إلا نفسه البر والفاجر.

[٦٦] الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهي أعظم من الأولى والثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صديق إلا جثا على ركبته حتى إبراهيم وجميع المرسلين إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبيين فإنه لا يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها.

[٦٧] الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة وهي أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقي الزبانية على

وجوهم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هارين، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش وكل ملك يتادي: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها. ويقول أيضاً كل واحد منهم: بحرمة محمد وبقدر محمد ﷺ نجني من عذابك لما يرون من حرمة وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فإذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتي عليهم وقد غلا بعضها في بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب إلا ألفت الكل على منها.

[٦٨] بمأذ: نحمد النار

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقي يده في زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العلي المجيد وهو يقول: يا سلام سلّم أمتي من العذاب الشديد. وأنشدوا:

الدمع في خد من عصي حسن حسب الفتى من دموعه الحزن
يا من شكى حافظاه حلوته لما خلا والعباد ما فطن
قد كان ربي عليك مطلعاً وأنت لاهي الفؤاد مفتتن
لم تهتك السر إذ خلوت به ولا انقضت من عطائه المنن
النار تسعى إلى العضاة غداً لم يعلم المذنبون ما وسن
يا قوم العجب من القلوب التي بليت بالعباد، وغفلت عن أهوال يوم المعاد، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد.

يا أخي كأن المراد بهذا كله غيرنا. ليعثن الجبار الذليل والحقير، ويسألهم عن الفتيل والنقير، وعن الذرة والقطمير، وعن القليل والكثير، في اليوم المهور العبوس العسير، الذي يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير، رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير.

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها: الله تعالى يقول لك الطاعة فتقول: وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقم اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته. ثم تقول: يا جبريل هل خلق الله خلقاً يعذبني به؟ فيقول جبريل: لا ما خلقك الله إلي إلا نعمة لمن عصاه. فتقول جهنم عند ذلك: الحمد لله الذي جعلني نعمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم مني. عند

ذاك والله تعظم الخطوب، وتظهر القبائح والعيوب، ويندم أهل المعاصي والذنوب. وأنشدوا:

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور
فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه في سوق الخسران، وترك العز
ورضي بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران، وبارز بالخطايا الملك الديان.

[٦٩] من أسباب غفران الذنوب

حكى عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال: حضرت سنة من السنين الوقوف
بعرفات فإذا بضجة الناس، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فأردت أن
أحلف أن الله قد غفر لكل من في الجمع فذكرت أنني فيهم فأمسكت. وأنشدوا:

يا كثير الذنوب أقصر قليلاً قد بلغت المدى من الإسراف
فإذا اشتد بالخلاتق الهلع، وكثر منهم الخوف والجزع، وبلغت القلوب
الحناجر، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر، نادى الملك الرحمن: يا عبادي لا
خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. فإذا سمعت الخلاتق هذا النداء طمع كل
منهم فيه. فيقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩]
فعند ذلك يأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجار، ويطمع فيها من آمن
بالواحد القهار، وأتبع سنة محمد المختار. عند ذلك تنشر الدواوين، وتوضع
الموازين وتطايير الصحف في الألف فكل امرئ بما اكتسب معترف، فندم الظالم،
وخسر الآثم، وظهرت في الصحف الفضائح، وكثر الخجل واشتد الوجل وبدت
الفضائح، وشهدت على كل امرئ حفظته والجوارح. وأنشدوا:

طال والله بالذنوب اشتغالي	وتماديت في قبيح فعالي
ليت شعري إذا أتيت فريداً	والموازين قد نُصِبْنَ حيالي
والدواوين قد نشرن وجئنا	والنيون يشهدون سؤالي
ما اعتذاري وما أقول لربي	في سؤالي وما يكون مقالي
أورثتني الذنوب دار هموم	لست أبقى لها ولا تبقى لي
يا عظيم الجلال مالي عذراً	بل حقيق أنا بنار السفالي
غير أن الرجاء فيك مكين	فأرحم العبد يا جميل الفعال

وتفضل على عبد مسيء ليس يرجو سواك يا ذا الجلال

[٧٠] هذا يوم الدين

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى مناد هذا يوم الدين، هذا يوم الفصل الذي كُتِم به تكذبون» فانظر لنفسك يا مسكين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين. وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين، التاركين لسنن سيد المرسلين وخاتم النبيين. ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين، لو خفت من عذاب يوم الدين، لعملت بالقرآن المبين، ولو كنت من المؤمنين المصدقين، لأطعت رب الأولين والآخرين. فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب، وهتك مشترك من القبائح والعيوب. وأنشدوا:

يا طيب الذنوب والآثام	هل دواء أبرأ به من سقامي؟
إن داء الذنوب أضعف جسمي	ومشيبي موكلٌ بحمامي
وشفائي أعياء الأطباء إنني	قد تغذيتُ مدتي بالحرام
وركبتُ الذنوب سرّاً وجهراً	وتباعدتُ من محلّ الكرام
كيف بالطب أن يعالج سقمي	وكلامي يزيدُ قرحَ كلامي
أيها الناس قد علمتم ذنوبي	واغتراري وشقوتي واجترامي
وأنا أرغب السدعاء فجعدوا	في فكاكي من الذنوب العظام
واشتياقي إلى الطواف شديدٌ	والى الركن والصفاء والمقام
والى يشرب يحنُّ فؤادي	كي أزور النبي خير الأنام
فسلوا الله في الوصول فلاني	ذو اشتياقٍ لحج بيت حرام
فلعل الإله يغفر جرمي	وينجى من هول يوم القيام
وفيك المثبان عبداً ضعيفاً	مات خوفاً من العذاب الغرام

[٧١] موعظة كعب الأخبار

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: يا كعب خوفنا. فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعينه تدرقان دموعاً فقال: يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده أن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التي بأيدي الزبانية الذين يمسونها بها

حتى تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها، فلو كان لكل آدمي عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها. فعند ذلك يعرض لها النبي ﷺ وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها: كفي عن أمتي، كفي عن أمتي، ثلاثاً. فتقول له: يا أيها النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم، ما جعل الله لي عليك ولا على أمتك من سبيل. فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول: يا رسول الله أنقذني من عذاب الله. فيقول له: ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت؟ فيقول له العبد المذنب: يا رسول الله غلبت علي شقتي. فيقول ﷺ: لا شقوة على أحد من أمتي، ولا على من قال في الدنيا مخلصاً لا إله إلا الله محمد رسول الله. فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه. وأنشدوا:

ألا أكرم بأحمد ذي الأيادي	شفيع الناس في يوم التنادي
إذا نشر الخلائق من قبور	عراة يتغنون ندا المنادي
وقربت الجحيم لمن يراها	فيا الله من خوف العباد
وقد زفرت جهنم فاستكانوا	سقوطاً كالفراش وكالجراد
وقد بلغت حناجرهم قلوب	وقد شخصوا بأبصار حداد
فيا جبار عفواً منك فالطف	ويا رحمن رفقاً بالعباد
ونودوا للصراط ألا هلموا	فهذا ويحكم يوم المعاد
تسوقكم إليه سوق عنف	مقامع من زبانية شداد
ألا يا معشر الإسلام هبوا	من الإغفال في غمر الرقاد

[٧٢] حديث في الترهيب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

[٧٢] حديث: «كل عين باكية يوم القيامة».

أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار (٤٧٩٦) من حديث أبي هريرة. وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣) من حديث أبي هريرة.

فقدموا عباد الله في اليسير من الأيام، ما يقيكم الأهوال العظام، والخطوب
الجسام، والزلازل والطوام، والعذاب الغرام، فإن العمر يسير، والأجل قصير،
والزاد قليل، والهول جليل، والعذاب طويل، واليوم مهولٌ ثقیلٌ. فلنا لله وإنا إليه
راجعون على من قطع أيامه في العصيان، واستبدل الجنة بالنيران، والريح
بالخسران، وترك العز ورضي بالهوان، وغوّض عن الزيادة النقصان، ففكر فيما
تسمع أيها الإنسان، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا:

مقام المذنبين غداً ذليلٌ وقدر الطائعين غداً جليلٌ
إذا مدَّ الصراطُ على جحيم تصولُ على العصاة وتستطيلُ
ونادى مالكاً خذ من عصاني فإني اليوم لست لهم أجيلُ

[٧٣] سجود جهنم

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم أعادنا الله منها، وزحزحنا برحمته عنها،
تستأذن يوم القيامة في السجود فيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها:
ارفعي فترفع رأسها وهي تقول: الحمد لله الذي خلّني لستقم بي ممن عصاه، ولم
يجعل شيئاً من خلقه يتقم به مني.

إلهي قد اشتدّ بلائي وأخمدت ناري، وغلا حميمي وزقومي، وكثر ننتي
وغسليني - وأكل بعضي بعضاً. إلهي عجل علي بأهلي فوعزت لك لأنتقمن لك ممن
عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلهاً غيرك لا إله إلا
أنت. فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعاً ثم تغتاض علي أهل المعاصي فترمي
بشرر كعد النجوم في السماء وزيد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤوس
الخلائق فيقع على رؤوس العصاة فمن كان له عمل صالح صار حجاباً بينه وبين
شر جهنم، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضاً لشر جهنم أعادنا الله
منها وزحزحنا عنها برحمته يا رب العالمين آمين.

مجلس في ذكر الميزان والصراط

[٧٤]

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع، وما لآذانكم لا تسمع، وما لدعائكم لا يسمع، وما لعيونكم لا تدمع، وما لبطونكم من السحت، والحرام لا تشيع، وما لعملكم المحمود لا يرفع إخواني من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود؟ من خاف من ورود الناس وبش الورود والمورود؟

[٧٥] افتخار الوحوش على بني آدم

ذكر في بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها: ما هذا يوم السجود، فتقول: إنما سجدنا شكراً لله الذي لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا ممن يشهد فضائح بني آدم.

فالله الله يا إخواني اقبلوا النصيحة، قبل يوم الخجل والفضيحة.

فإذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام، وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا، أرق من الشعر، وأحد من موسى، وقيل أحد من السيف وأحر من الجمر وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدّها على متن جهنم عليه حسك وكلايب قد تعلق بكل كlob منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بأنسها وجثّها وجميع ما ذرأ الله فيها ولأذاب جبالها وجفف بحارها.

[٧٦] صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلا من كان له

نور، ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة، فمن عمل عملاً صالحاً نَجَّاه من النار، وجاز إلى دار الراحة والقرار. ومن لم يقدم في الدنيا عملاً صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار، وهوى في دار الندامة والبور. في دار عذابها سموم وشرابها حميم وظلها لا بارد ولا كريم، وطعامها الزقوم يتردى والله في دار عذابها أليم، ومسكنها جحيم، وساكنها أبداً في العذاب مقيم يتردى والله في نار قعرها بعيد وعذابها شديد، وشرابها صديد، ومقامها حديد، وما هي من الظالمين ببعيد. وأنشدوا:

أما آن يا أخ أن تستفيقا	وأن تتناسى الحمى والعقبا
وقد ضحك الشيب في عارضيه	ك ويانت مساويك فيه بروقا
وركب أتاها وقد عرضوا	على أتباع المنايا طروقا
أدارت عليهم كؤوس الحمام	صُبحاً (تلازمهم) أو غبوقا
وما زال فيهم غراب الحما	م فيسمعهم للمنايا نعيقا
ويحجل في عرصات القصور	روحى أعاد الفسيحات ضيقا
ألا فازجر النفس عن غيها	عساك تجوز الصراط الدقيقا
مقام به تذهل المرضعا	ت وتلقى الحوامل وعدا صدوقا
وتبرز للناس نار الجحيم	لها عنق تترامى حريقا
شرابهم المهل في قعرها	تقطع أمعاءهم والعروقا
إذا طبقت فوقهم لم يكن	لتسمع إلا البكا والشهيقا
أذلك خير أم القاصرا	ت تخال مباسمهن البروقا
قصرن على حب أزواجه	من فمشاقة تتلقى مشوقا
لقد فاز من كان للمصطفى	بدار المقامة يوماً رفيقا

[٧٧] حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيامانهم، ورأيت الباطلين في ظلمات البطالات وغمرات الجهالات. فالله الله يا جماعة الضعفاء، يا من قطع عمره في الخلاف والجفاء خذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط. لأن الصراط لا يجوزه آثم، ولا ينجو منه ظالم. والصراط حق رقيق، لا

ينجو منه من خالف التحقيق، وترك السنة ومنهاج الطريق الصراط طويل بعيد، لا يجوز إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد، واستقام على طاعة الولي الحميد. الصراط مهول مخوف، لا يجوزه إلا من أغاث الملهوف، وأطاع الرحيم الرؤوف الصراط صعب مهول، لا يجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول، وأطاع رباً لا يحول ولا يزول، الصراط كثير الزبانية لا يجوزه إلا من أطاع مولاه في الفانية، وراقب الله في السر والعلانية.

وذكر في بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر الدواوين، ووضع الموازين.

[٧٨] الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزاناً يوزن به عمله فمن عمل عملاً سيئاً خفت موازينه وهوى في النار وقد قيل: إن الميزان هو منصوب بين يدي عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد.

وكان الحسن رضي الله عنه يقول: لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية. وأما قوله تعالى: ﴿وأما من ثقلت موازينه، وأما من خفت موازينه﴾ [القارعة: ٨] فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله: ﴿ثقلت وخفت﴾ فقولته: ﴿ثقلت﴾ بقول لا إله إلا الله بالإخلاص، و﴿خفت﴾ من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة. لأن العبد قد يقول: لا إله إلا الله على معصية ويقول لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم، فإنما ذلك نفاق لأن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة» فقيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ فقال: «أن ترحزحكم عما حرم الله عليكم».

[٧٩] وزن الأعمال

ذكر في بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة

[٧٩] «حديث البطاقة».

الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩) من=

وتسعون سجلاً مملوءة بالسيئات فتوضع في كفة الميزان فيشتد همّ العبد وكرهه فيقول الجبار جل جلاله: لعبدى عندي ذخيرة ادخرتها له، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب، مات فلان وهو يشهد ويقول لا إله إلا الله مخلصاً.

[٨٠] كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى: ضعوها في ميزان عبدى فتوضع في ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا:

أشهد أن لا إله إلا الله	أعادت الله حين ألقاه
يرحماني في القيامة الله	أقولها للإله خالصة
يوم العقوبة يوم زاد بلواه	لعل يوم الحساب أنجُ بها
ويخسر الجاحدون نعماءه	يوم يفوز على الأشهاد قائلها
ومن عصى فالجحيم مأواه	فهي لدار الخلود قائمة
فهو الذي قد أتاه تقواه	من قالها للإله مخلصاً
الله قد خصّه فيها وأرضاه	وهو الذي في الخلد مسكنه
بدار عدن جوار مولاه	قد فاز عبد يكون ذاكرها
طوبى لمن قالها وطوباه	يحظى بدار الخلود قائلها
فاز بدنياء وأخراه	من كان عند الممات قائلها

فالله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يثبتكم على الكلمة المباركة الخفيفة في اللسان الثقيلة في الميزان، المزية للديوان، بها يرضى الملك الرحمن، وبها يسخط اللعين الشيطان، وبها ينجو العبد المذنب من النيران، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والآمان.

[٨١] فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال

= حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٠٠).

الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر، فإن تلك الصدقة توضع في الميزان بأمر الملك الخلاق فترجع على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا:

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كُلُّ ما استطعت وقدم للموازن
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلثُ مالي للمساكينِ

واعملوا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيامة، لأن العبد إذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه، وعظمت كروبه فلا تهدأ روعة العبد حتى يرى أيثقل ميزانه أم يخف، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه فقد خسر خسراناً مبيئاً، ولقى من العذاب أمراً عظيماً.

[٨٢] شفاعة الرسول

ذكر في الأخبار أن أمة محمد ﷺ إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبيهم، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم، ووزنت أوزارهم وذنوبهم، وضائق حيلهم، وتغيرت أحوالهم، فعند ذلك يأتيهم النبي الشفيع محمد ﷺ، فإذا نظر إلى أمة قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمة فينظر ﷺ إليها فترجع موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ.

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالشرق والأخرى بالمغرب، وأن الذرة والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع في الكفة فتميل بها بقدرة الله تعالى، فالله أعلم بحقيقة ذلك. فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن صغرت في عينه فربما ثقلت الميزان، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن صغرت فربما خففت الميزان. لأن الذنب الصغير في عين محتقره يأتي يوم القيامة وهو في الميزان أعظم من الجبال الرواسي.

[٨٣] ما يثقل الميزان

قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾

[٨٣] حديث «كلمتان خفيفتان على اللسان».

[الأنبياء: ٤٧] الآية. روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» وقيل جاء رجل إلى رسول الله تعالى فقال: يا رسول الله جئتك تعلمني علماً يدخلني الجنة وينجيني من النار. فقال له النبي ﷺ: «ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين في الميزان، خفيفتين على اللسان، ترضيان الرحمن؟ وتسخطان الشيطان، تقول سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربان من الجنة، ويبعدان من النار» فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق، فقد رد على الله في كتابه، وعلى رسوله ﷺ في سنته.

[٨٤] الرأس في الخير والرأس في الشر

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدي الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به دعي باسمه، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت ذنوبه.

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة: «يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لأدخله بها الجنة» فقالت: يا رسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد؟ فقال رسول الله ﷺ: «يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب» وإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الشر يأمر به ويدعو إليه دعي باسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار. فقال أصحابه رضي الله عنهم: يا رسول الله أما كانوا مسلمين؟ فقال ﷺ: «كانوا يصلون كما تصلون، ويصومون كما تصومون، ويزكون كما تزكون، ويقومون من الليل برهة، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا

= ١ - البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التيسير (٦٤٠٦) من حديث أبي هريرة. مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتيسير (٢٦٩٤/ ٣١).

عليه كالذئب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر في الميزان، لأن الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصاً. فالله الله عباد الله إذا عملتم عملاً فأخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصاً. وأنشدوا:

من كان يعلم أن الله باعته يوم الحساب لدى نشر الدواوين
فلا يزد بفعال البر أجمعها إلا الحساب وتثقل الموازين
فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن. قدموا للموازين بطاعتكم
لسلطان السلاطين.

إخواني وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازينه من الحسنات، وأمر به إلى العذاب والعقوبات. والويل ثم الويل لمن خفت موازينه من صالح الأعمال، وغضب عليه ذو الجود والإفضال، وأمر به إلى العذاب والنكال، وإلى السلاسل والأغلال.

[٨٥] وزن أعمال العباد

يا إخواني فإذا وزنت أعمال العباد، وخفت من خفث وثقل من ثقل؛ أمروا أن يمشوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه، فيزل من أول قدم يضعه فيهوي في النار، ومن الناس من يمشي القليل منه ويزل في النار، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب، ومنهم من يجوزه كالطير السريع في طيرانه، ومنهم من يهرول، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى، ومنهم من يكون كالمبطون الذي يمشي على يديه ورجليه، ومن الناس من يأتي إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوي به، كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها، وعلى قدر تثقل الموازين وتخفيفها. فإذا أتى العبد من أمة محمد ﷺ إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقي متحيراً لا يقدر على الجواز. فبينما هم في شدة الفرع من هول الصراط إذ أقبل محمد ﷺ.

[٨٦] نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه في الدنيا، فيستبق العباد في الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذي أخذه من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى في النور في وجه الحبيب محمد ﷺ فأكثرُوا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة إليه.

[٨٧] فضل الصلاة على النبي

قال النبي ﷺ: «أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم عليّ صلاة وأولاكم بشفاعتي أكثركم عليّ صلاة» فأكثرُوا من الصلاة عليه يا معشر المدنين، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه، والفائزين برحمته من عذابه، إنه منعم كريم. وأنشدوا:

ألا أكرم بأحمد ذي المعالي	شفيع الناس في يوم السؤال
إذا مُدَّ الصراط على جحيم	تصول على العباد باستطال
إذا كان النبي لنا شفيعاً	سننجوا من سلاسلها الطوال
ولو كانت خطايانا جساماً	تشبّه بالثقال من الجبال
لجزنا في الصراط بغير حزن	إلى دار الخلود مع الجلال

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزَّلَّالون والزَّالَّات كثير وأكثر ما تزل النساء» ذكر أن الصَّراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا في وجهه نوراً تركوه أن يتحول ويجوز، ومن لم يروا في وجهه نوراً كبكبه في النار، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح.

[٨٨] جسور جهنم

روى بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا: إن جهنم أعادنا الله منها عليها سبعة جسور وهي القناطر، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لا أحد ولا كيف تسليماً وإيماناً وتصديقاً.

[٨٩] القنطرة الأولى

والصراط أحدٌ من السَّيْف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الأولى: وقفوه إنهم مسؤولون، ما لكم لا تنصرون، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن صلاته تامة نجا من تلك القنطرة ومن لم توجد له صلاة تامة هوى في النار فينجو من نجا ويهلك من هلك.

[٩٠] القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الأمانة وهي أمانة الخالق وأمانة الخلق وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل الغنى في قلبه وجعله أميناً لله وأعانه على أداء الأمانات التي افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذي حق حقه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله فذلك العبد الذي ألهمه الله تعالى رشده، وبصّره عيوب نفسه وجعل غناه في قلبه.

تأدية الأمانة وتضييعها: وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين عينيه وفي قلبه وكسّله عن إداء الأمانات من المفترض الذي افترض عليه وعلى جميع عبادته، وغيّب عنه رشده، وسلّط عليه الشيطان فزين له سوء عمله وحَبَّب إليه عيوبه. فإذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه، ولا يكون همه إلا في دنياه وإصلاحها ولا يبالي بتلاف دينه فذلك العبد الذي قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها، وقرّبه من أبواب الشر كلها. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

[٩١] تضييع الأمانة

ذكر في بعض الأخبار أنه يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له: أد ما ضيعت فيقول: يا رب ذهبت عني الدنيا فمن أين أؤديها؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم أعادنا الله منها فيقال: إنزل إليها وأخرجها إلى صاحبها، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها، فإذا صار الشقي المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم، فيقال له انزل إليها فينزل مرة أخرى ويرفعها، فإذا صار إلى أعلا جهنم وقعت منه فلا يزال هذا عذابه إلى ما شاء الله تعالى من ذلك. هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم. وهذا العبد والله أعلم الذي ضيع أمانات الناس. وأنشدوا:

خرجت من الدنيا وقد خُنتَ أهلها وصرت إلى النيران بالوزر والإثم
وطالبني الجبارُ بالصدق والوفاء وبأن لأهل الجمع ما كان من جرمي
وقيل لكل الخلق هذا مضجع أمانة ربّ العرش والذكر والحكم

[٩٢] القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدنى من الرب جل جلاله - بلا تكليف
ولا تحديد - فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها .

[٩٣] صلة الرحم

ولمّ قطعوها والرحم يومئذ تنادي: اللهم من وصلني فصله، ومن قطعني
فاقطعه. فينجو من نجا ويهلك من هلك .

[٩٤] القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا
ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين
فقال جل اسمه وعز وجهه: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دِيكَ إِلَهِي الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]
فالله تعالى يقول في بعض كتبه المنزلة .

[٩٥] شكر الوالدين

أَرْضِي وَالِدَيْكَ فَإِنْ رَضَائِي فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطِي فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ،
فلو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقاً لوالديه ما نظر الله تبارك
وتعالى في شيء من عمله وكان مصيره إلى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة
ضحك في وجه والديه أو أحدهما إلا غفر الله له ما كان منه من الذنوب والخطايا
وكان مصيره إلى الجنة . وأنشدوا:

الوالدان إلى شكر الإله وصول والوالدان إلى دار السلام سبيل
صل والديك ولا تقطع حباً لهما ليجزينك في دار البقاء جليل

[٩٦] القنطرة الخامسة

ثم يحسبون على القنطرة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة
والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لا يعنيه

لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنباً من اللسان، لأن كلمة يتكلم بها العبد أو الأمة تكون سبباً لدخول النار.

[٩٧] ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحاً ودواة، وجعلهما بجواره فإذا تكلم كلمة كتبها في اللوح ويقول لنفسه: هكذا أثبتتها عليك الملك بأمر الملك، فإذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكي ويقول في بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه: يا نفس كأنني بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط، يا نفس تراك بأي كلمة من هذه تدخليني النار؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعاً: يا الله عفواً ورفقاً ولطفاً بعبدك. فلم يزل هذا دأبه حتى مات، فرآه بعض الصالحين في المنام في حالة حسنة فسأله عما لقي من الله تعالى فقال: ما يلقي من الكريم إلا الكرم، جعل محاسبي لنفسي في الدنيا بدلاً عن الحساب في الآخرة، وجعل دموعي التي بكيت في الدنيا أنهاراً ترويني يوم العطش الأكبر، وتفضل الكريم عليّ بدخول الجنة وبجواز الصراط، ومنّ علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم.

[٩٨] كلمة الشر وهذابها

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبد خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره».

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه، فقال له الرجل الذي سلم عليه: يا أخي لو كشفت لك عن حالي ما سلّمت عليّ! فقال له الرجل الذي سلم عليه: يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوبي ما يشغلني عن جميع عيوبك. فجلس كل منهما يبكي في ناحية حتى بلّ كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا.

[٩٨] حديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة...».

أخرجه ابن حبان في صحيحه: باب ما يكره من الكلام وما لا يكره (٥٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

[٩٩] شهادة الزور

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد شهادة زور على نبي أو مسلم أو من كان من الناس، علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم».

وفي بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة. ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما نظر الله إليه. وكذلك صاحب الغيبة والنعيمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة. وأنشدوا:

إذا ازدحم العباد لكبي يجوزوا	تساقط كل جبار أثيم
بقعر النار ليس لهم مغت	ولا للعاصي يوماً من حميم
ومن يطع الآله فسوف ينجو	من التعذيب في قعر الجحيم
إذا نُصِبَ الصُّراطُ على جحيم	في الله من هول عظيم
ألا يا معشر الإسلام توبوا	من العصيان للرب الرحيم

إخواني أطيعوا الله في السر والإعلان، واعملوا بالسنة والقرآن، واتركوا الأوزار والعصيان، واحذروا من هول الصراط المنسوب على سموم النيران.

[١٠٠] القنطرة السادسة

ثم يحسبون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه.

[١٠١] إكرام الضيف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»

[٩٩] حديث «شهادة زور».....

البيخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٤) من حديث أبي بكره. مسلم:

كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر (٨٧/ ١٤٣)

[١٠١] حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر».

البيخاري: كتاب الأدب، باب إكرام الضيف (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار (٤٧/ ٧٥).

وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له. فما أنفق على الضيف في الخمر أو مما لا يرضي الله تعالى به فإن ذلك الضيف يأتي يوم القيامة يتعلق هذا بهذا ويلعن هذا بهذا، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهما يلوم صاحبه ويقول له: لعنك الله الذي ساعدتني على الإنفاق في غير الله، ثم يقال لهما: جوزوا الصراط ففي أول قدم يضعان على الصراط يهويان في النار.

[١٠٢] البركة مع الضيف

وقال رسول الله ﷺ: «الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة».

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها في سبيل الله، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بألف كرامة وخلّصه من النار وأدخله الجنة».

وقد جاء في حديث عائشة - رضي الله تعالى - عنها أن النبي ﷺ كان يقول لها: «يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتملّيه» وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف.

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد منّ عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك».

[١٠٣] ينزل الضيف برزقه

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل».

[١٠٢] حديث «يا عائشة لا تتكلفي للضيف».

عزاه الزبيدي في (إنحاف السادة المتقين ٥ / ٢٣٨) إلى أبي عبدالله محمد بن باكويه الشيرازي والرافعي من طريق عياض بن أبي قرصافة عن أبيه.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يوماً ملكاً على صورة طائر ينادي: يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم في يوم كذا وكذا، والخلف من الله من باب كذا وكذا، فتقول الملائكة الذين وُكِّلوا بأهل الدار: وبعد الخلف ما يكون؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتاباً فيه مكتوب: قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا في ألف.

وفي حديث آخر أنه قال: ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفاً لوجه الله الكريم إلا نظر الله إليهم إن كانوا جماعة، فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان ربُّ المنزل من أهل النار، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه.

وفي حديث آخر، أن الضيف ورب المنزل - وأرباب المنزل إن كانوا جماعة - يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مئة ألف.

[١٠٤] إطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه، مخلوف، ومسلوف، ومتلوف، فالمخلوف الذي يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف، والمسلوف الذي تضيفه مرة ويضيفك أخرى. والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصي. والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجراً، والمتلوف هو حسرة وندامة يوم القيامة. وأنشدوا:

يا مُكْرَمَ الضيفِ للرحمنِ خَالِقِنَا عند الصَّراطِ ستلقى الخيرَ موفوراً
أَكْرَمَ ضيُوفِكَ كي ترجو الجواز غداً على الصَّراطِ وترجو الخلدَ مجبوراً

[١٠٥] حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يُسأل عن حفظه، فمن حفظ جاره جاز

[١٠٥] حديث «ما آمن بالله واليوم الآخر...».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٩). من حديث أنس. وحسنه الحافظ المنذري في الترغيب (٣/ ٣٥٨).

الصراط ونجا من العذاب الأليم، وصار إلى جنة الخلد وجار النعيم.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شعبان وجاره جوهران، لمو بات ريثان وجاره عيشان» ومن كرامة حفظ الجار أن توقظه من الغفلات تلهمه إلى الطلعات، وتأمره بإقامة الصلوات.

[١٠٦] تعلق الجار بالجار

ذكر في بعض الأخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب جاري هذا خانني في الدنيا. فيقول الله تبارك وتعالى: لم خنت جارك؟ فيقول: وعزتك وجلالك ما خنته لا في مال ولا في أهل وأنت أعلم بذلك. فيقول له جاره: ما فعلت ذلك ولكن رأيتني على المعاصي فلم تزجرني عنها فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما. وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسائة عام.

[١٠٧] الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أوصاني ربي لية أسرى بي بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه» وبعض العلماء يرى شفاعة الجار. فكل من حفظ الجيران، فقد أطاع الرحمن، وأسخط الشيطان، وعمل بالسنة والقرآن. روي أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة في سبعين من جيرانهما ويجوزأنهم على الصراط. عباد الله من حفظ الجار نجا من النار، وجاز الصراط إلى دار القرار، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب، وأطاع الملك الوهاب، وأسخط الشيطان اللعين الكلب، وما من جار يلتقي جاره المسلم فيسلم عليه إلا غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار. حفظ الجار قربة ووسيلة، ودرجة عند الله وفضيلة. وأنشدوا:

[١٠٧] حديث «لقد أوصاني ربي».

الحديث بهذا اللفظ لم نشر عليه والرواية المشهورة «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الوصية بالجار (٦٠١٤) من حديث عائشة. ومسلم: كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار (٢٦٢٤ / ١٤٠).

يا حافظ الجارِ ترجو أن تنال به عفو الإله وعفو الله مذكور
الجار يشفع للجيران كلهم يوم الحساب وذنب الجار مغفور

[١٠٨] القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار.

[١٠٩] الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة، وقد حُرِمَ نعيم الجنة.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ما جاء به، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزني بأمه».

[١١٠] كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء متتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد. الكذب نفاق، والكذب من الكبائر، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقدر أن يباشر شيئاً من محارم الله، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مئة عام - يعني على الصراط - ومن صدق عمل بكتاب الله، واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازاً على الصراط وأسرع الناس دخولاً الجنة. والكاذب في أول قدم يضعها على الصراط يهوي في النار، فلا ينجو من الجسر السابع - وهو أصعبها - إلا من صدق ويهلك من كذب، جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجوا. وأنشدوا:

أصدق يريك إله العرش جنته يوم المعاد ولا تولع بتكذيب
إن الصّدوق لدى الرحمن منزله دارُ الخلود بلا مَوْتٍ وتعذيب

[١٠٩] حديث «إذا كذب المؤمن».

الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب (١٩٧٢) من حديث ابن عمر وقال: حسن جيد غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

يومُ الجزاءِ على متن الصُّراطِ إلى دار النعيم بلا حزن وتكثيفٍ
 ذكر في بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا
 يهوله فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين، ولا تكونوا من الكاذبين، وتأثروا
 بخاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١١١] نجاة الصادقين

ذكر في بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحسبون
 بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نفوا
 وهذبوا أُذِنَ لهم بدخول الجنة. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أحدهم
 مسكنه في الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا» يا لها من كرامة، ويا لها من
 نعمة، ويا لها من منة، ويا لها من فرحة. فقدموا عباد الله في السير من الأوقات،
 والقليل من الساعات، ما يُجوزكم الصراط، ويقيكم الآفات. الصراط على متن
 جهنم ممدودٌ، لا يجوزه إلا من خاف من أهوال اليوم الموعود، وأطاع الملك
 المعبود، الغفور الودود.

[١١٢] الصلاة تجوز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من
 لياليها يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث
 مرات، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول: سبحان من
 كان ولا مكان، سبحان الموجود بكل حين وأوان، سبحان المعبود في كل أوان،
 سبحان المُسَبِّح بكل لسان، سبحان المنجي من الهلكات، سبحان خالق الأرضين
 والسموات، جَوَّزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق للخاطف، ولا
 يؤذيه حر النار ويمضي إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين، ويشقُّه الله
 تعالى في سبعين من أهله وجيرانه. وهي أفضل ما يصام من الشهر وهي يوم ثلاثة
 عشر وأربعة عشر وخمسة عشر.

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزَّالُّون والزَّالَات كثيرٌ
 وأكثر ما يَزَلُّ النساء، وجبريل عليه السلام أخذ بحجرتي إذا عصفت الريح بأمتي
 فصاحوا يا محمد! فلو لا أن جبريل عليه السلام أخذ بحجرتي لا غشت أمتي،

فيبادرون جوازاَ فلا يجوزُه ظالم، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائي لهم فيقول: جوزوا على الصراط بعفوي فيجوزوا» اللهم اغفر لنا جميعاً برحمتك. وأنشدوا:

لو علم الخلق ما يراد بهم	وأيما مورد غداً يردوا
ما استعذبوا لذة الحياة ولا	طاب لهم عيش إذا رقدوا
خوفاً من العرض والصراط على	نارٍ تَلْظَى وحرّها يقْدُ
والناس في هول موقف عسير	قد عاينوا هؤلاء الذي وعِدُوا
يا لك من موقف يفوز به	قوم هم للجنان قد وقْدوا
مع النبي قد اصطفاه خالقنا	صلى عليه المهيمن الصمدُ

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الأعمال، وبالقليل من الأفعال، وبالطيب من الأقوال، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الأهوال، يوم لا بيع فيه ولا خلال، بين يدي الكبير المتعال.

[١١٣] كيفية الجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين، والقسم الثاني كالبرق الخاطف، والقسم الثالث كالريح العاصف، والقسم الرابع كالطير المجذ، والقسم الخامس كالخيل في جريها، والقسم السادس كالماشي، والقسم السابع كالمهرول.

[١١٤] أقسام الناجين على الصراط

فأما القسم الأول فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم. والقسم الثاني هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها في أوقاتها.

والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم.

والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم.

روي عن النبي ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذي يمشي في

رياض الجنة، ولا يرى من أهوال الصراط شيئاً، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمنهم.

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله، وصانوا فروجهم عن الفواحش، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال ﷺ.

[١١٥] حديث في العناية بالنساء

«النساء ودائع الأحرار، ولا يعزهن إلا عزيز، ولا يذلهن إلا ذليل، والذليل عند الله في النار» وكذلك المرأة إذا عزت زوجها وأطاعته فيما يرضي الله تعالى.

والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام، وتجنبوا الخيانة في المكيال والميزان. وقد قال رسول الله ﷺ: «كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار».

[١١٦] آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يده من الربا ثعباناً من نار يخطفه من على الصراط ويهوي به في قعر جهنم مع اليهود، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى.

والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم في الله لومة لائم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأنشدوا:

أنتطمع بالنجاة وكيف تنجو	ولست على نجاتك بالحريص
ولو في نيلها أعملت حرصاً	لنلت الفوز بالثمن الرخيص
ولكنني أراك تريد عزاً	وحالك حال ممتهن نقيص
وليس لمن تعرض للمعاصي	- هديت - عن الضلالة من محيض

[١١٧] المتصدقين سرّاً وعلانية

يا أحبائي إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقاً كثيراً نساء ورجالاً قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون: من هؤلاء الذين سبقونا؟ فتقول لهم الملائكة: هؤلاء الرجال

الذين تصدقوا في السر ابتغاء وجه الله، وتصدقوا في العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين. وهؤلاء النسوة اللواتي أطعن أزواجهن، وحفظن فروجهن، وحفظن الستهن عن أذى الزوج وعن أذى الجيران، وتصدقن في السر والإعلان، تسبق هذه الزمرة جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسائة عام. ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا في شفاعتهم، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه.

[١١٨] آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء أهل النار في النار فيقول: سبحان الذي خلصني منك ونجاني من أهوال النار. فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكاً من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له: قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير من ماء على باب الجنة فيقول له الملك: اغتسل من هذه الماء واشرب منه، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كألوان أهل الجنة، ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له: قف هاهنا حتى يأتيك إذن من ربك، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال: يا رب اصرف وجهي عن أهل النار حتى لا أنظر إليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء ما رأى أحد قط مثلاً، ثم ينظر إلى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوماً للطير المسرع والله أعلم من أي الأعوام، يقول: يا رب قد أحسنت إليّ الإحسان كله جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وأدبني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني إليها ولا أسألك غير ذلك فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها.

[١١٩] باب الجنة

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل الأخضر، وحصباؤها من الياقوت الأحمر فسيستشق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الأطيار وخير تلك الأنهار وما لا تصفه السنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول: يا مولاي لقد أنعمت عليّ نعماً أكمل النعم جوّزني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار حتى لا أراهم، ولكن أسألك يا سيدي ومولاي أن تدخلني الجنة فاجعل هذا الباب بيني وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيهم ولا أرى عذابهم: فيأتيه ذلك الملك فيقول له: ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت، فيقول: وعزتك يا رب لا سألتك غيره. فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة، فلا يرى إلا الشجر المثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جني، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلوا ما رأى مثلها قط آدمي ولا جني ولا خطر على قلب بشر، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل، فيقول العبد: يا رب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتني من النار وأدخلتني الجنة وأعطيتني وأرضيتني، وإنما بيني وبين هذه الروضة قليل فبلغني إليها فوعزتكم لا سألتك غيرها. فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت؟ يا ابن آدم أين أقسمت به أما تستحي من الله؟.

[١٢٠] منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه، فيقول: يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره. فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له: يا ابن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه؟ فينظر بين يديه فإذا بمنزل كأنما المنزل الأول والثاني وجميع ما خلق ورآه حلماء فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلو نزل في أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده من الكراسي ما يجلسون ويتكئون عليها، ولكان عنده من الموائد ما يفضل عنهم، ولكان عندهم من الطعام والشراب

ما يأكلون، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ما أصاب رجل واحد ﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الشورى: ٣٦] وأنشدوا:

مقام المتقين غداً جليلاً يطيب لهم مع الحور المقيلاً
وأنوارٌ عليهم مشرقاً إذا ناداهم الملك الجليلُ

[١٢١] غائدة للجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويسلم عن كل ركعتين، فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال: سبحان الله من خلق ما شاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم جوّزني الصراط ونجني من هوله الله لا آله إلا أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله. فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوّزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة. فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب، وتحصنوا به من أليم العذاب، يا أولي العقول والألباب لأن الصراط حاد رقيق، وطريقه أبعد الطريق يا له من طريق، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق، إلا عمل صالح ورب رقيق.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب، والدنيا تفتنى وتخرب، والنفس تموت والمرد إلى الحي الذي لا يموت. فاستعدوا بكثرة الأنوار، وبالصلاة وفعل الخير في الليل والنهار، وبالطاعة للنبي السيف المختار، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار، وابكوا على هول الصراط المنسوب على متن النار، يسره الله لنا وهوته علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب.

[١٢٢] شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وأبناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه، والوالد في ولده، والجار في جاره، والرجل في زوجته، والمرأة في زوجها، والإمام في جماعته التي كان

يصلّي بها، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومترلته عند ربه.

روى قتادة عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله: يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة في حميمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحدٌ أحداً، عند الميزان حتى ينظر أثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا، وعند الصحف حتى ينظر أيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله» فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيب له ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس: ٣٧] هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته، ويهونها علينا بمنه ولطفه. وأنشدوا:

بكيت على هول الصراط وذكره	وهو زفير النار من أعظم الذكر
وكيف يطيق الصبر من كان عاصياً	لخالق كل الخلق في السر والجهر
ومن يك ذا خوفٍ شديدٍ لهوله	فإن له أمناً من الهول في الحشر
فليس لمن يبكي لهول صراطه	جزاء سوى دار النعيم مع الفخر
فياله من هولٍ فظيعٍ يجوزه	رجالاً أطاعوا الله في سالف العمر

عباد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد، وأطيعوا الجبار الولي الحميد.

[١٢٣] لا تقبل صلاة شرب الخمر

ذكر أن شرب الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهمي بهم إلى عين الخبال، وهي قبح أهل النار، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن. والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط لأنه ليس في وجهه نورٌ لأن النور لا يكون إلا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلا ممن صلّى، لأن الصلاة هي رأس الأعمال، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصراً على شرب الخمر فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوزوا إلا

من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى.

[١٢٤] التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني اعلّموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً ممن لم يشربها فالله الله يا معشر المذنبين، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين.

[١٢٥] فضل المؤذنين

ذكر في بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين ألفاً كلهم قد استوجبوا النار، ويجوز في نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة وفي حديث آخر: أن المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا إله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون ألفاً ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفراء أو موضع ليس فيه جماعة، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الأرض ما لا يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ويكتب الله له بعددهم حسنات، ويمحو بعددهم سيئات، ويرفع له بعددهم في الجنة درجات، لو دخل في أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم، ولكان فيها من الفرش والأسرة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاه اللذان يكتبان». وفي حديث آخر: «إذا أذن العبد المسلم في فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين، أخذ طرفي الصف بالمشرق والآخر بالمغرب، فإذا فرغ من صلاته ودعا آمنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات، ويرفع له تعالى بعددهم درجات، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر. فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلّوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدي أهله وبأيدي إخوانه الذين صحبوه وأحبوه في الله فيفرون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط في شفاعته ويمضون معه إلى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته شيئاً.

[١٢٦] فضل العلماء

ذكر في بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم ويبد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسمائة عام، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل من أحبه في الله ومناد ينادي: هؤلاء أحياء الله، هؤلاء أولياء الله، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء، هؤلاء الذين علموا عباد الله، هؤلاء الذين دعوا إلى الله، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله، هؤلاء مصاييح الدجى، هؤلاء أئمة الهدى. فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطى نورها نور الشمس، ولمات الخلائق كلهم عشقاً إلى رؤيتها، ولملات الأرض والبحار من رائحة المسك، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حرّ شرر جهنم ومن حرّ الشمس. وأنشدوا:

يا طالب العلم ترجو أن تنال به	عفو الإله وعفو الله موجود
اطلب بعلمك وجه الله خالقنا	إن الصراط على النيران ممدود
عفو الإله لأهل العلم نائلهم	وعفوه عند أهل الجهل مفقود
فاحرص هديت على التعليم مجتهداً	وأنت عند إله العرش محمود
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا	وأنت بين عباد الله مسعود

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ومن لا يعلم لا يتقي، وكيف يتقي من لا يدري ما يتقي. وقد قال رسول الله ﷺ:

«تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعْلَمَهُ اللَّهُ خَشْيَةً، وَطَلَبَهُ عِبَادَةً، وَمَدَارِسُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، بِهِ يَعْرِفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَبِهِ يَحْمَدُ اللَّهُ وَيُؤَخِّدُ»
هو إمام العمل والعمل تابعه، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهي إلى رأيهم. فقد بيّن رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله ﷺ: «به يعرف الله ويعبد» ويستوفي ذكر فضل العلم في قول الله تبارك وتعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» والمقصود في هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه.

[١٢٧] فضل حملة القرآن

ذكر في بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثران من مسك أسود وأنوار وجوهمهم تغشى بالابصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقفتهم الملائكة الذين وُكِّلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤوسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلاً من نور الجنة عليه سرج من المسك الأذفر والعنبر الأشهب أجمعها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعته كل واحد مائة ألف ممن قد استوجب النار، ومناد ينادي: هؤلاء أحباب الله، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب الله وعملوا به فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم في الدنيا أحبه الله، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم. وهذا إذا عملوا بالقرآن، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وآمنوا بمُحكّمه ووقفوا عند مثابته، وسارعوا إليه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمَ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] أولئك أولياء الله الصالحون، أولئك الذين رضي الله عنهم ووفّقهم وهداهم وآتاهم تقواهم.

[١٢٨] من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتي إلى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأراذب النار وتسود وجوهمهم على قدر ما ضيّعوا من العلم، فمن تعلم علماً للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب

عليه الرشا والبراطيل، وكنتمه ولم ينصح به عباد الله، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط. ثم يكون العلم للعامل نوراً وفرحة وسروراً وجنة وجوراً ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤوسهم منشورة، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيامانهم، والملائكة تنادي: أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وأنت في ظلمك حيران، أيقنت بالحلول في سموم النيران، إلا أن يتداركك بعفوه الملك الديان. وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادي عليك ولجام النار في فمك لو كان ذلك اللجام في الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادي عليك هذا الذي ضيع حدود الله، هذا الذي خالف أوامر الله، هذا الذي بدّل عهد الله، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وآثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء.

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلاً، واشتريت به ثمناً قليلاً، ولم تراقب مولى كريماً جليلاً وتركت وراءك يوماً هائلاً ثقيلاً وخسرت يا مغرور ملكاً كبيراً دائماً جزيلاً.

[١٢٩] فسقة حملة القرآن

ذكر في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران، فيقولون: ويبدأ بنا قبل عبدة الأوثان والنيران؟ فتقول لهم الملائكة: ليس من يعلم كمن لا يعلم» وفي حديث آخر «إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة القرآن الفساق أخذوهم

[١٢٩] حديث «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن».

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٢٨٦) من حديث أنس.

قال العجلوني: الحديث منكر أو موضوع كشف الخفا (١ / ٤٤١).

* حديث «يسأل حامل القرآن عما يسأل...».

قال العراقي في تخريج الإحياء (١ / ٢٤١) رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلًا.

وزجوا في أفقيتهم وألقوهم في جهنم أو يعف الله تعالى عنهم. اللهم اعف عنا وعن جميع إخواننا المسلمين، واجعل القرآن حجة لنا لا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين. وأنشدوا:

عظمت مصيبة حامل القرآن إن كان ملجأه إلى الثيران
فهو الجزاء لمن عصى ربّ العلا دار العذاب وموقف الخسران
عظمت خسارته وجلّ مصائبه عند الصراطِ بظلمة وهوان
يا ربّ عفواً عن قبيح فعالنا أنت الدليلُ لجنة الرضوان

فاتقوا الله معشر أهل القرآن في كتابه، وأشفقوا من أليم عذابه، واعملوا بالقرآن وارغبوا في جزيل ثوابه، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن تعملوا به ويلٌ وثبور ﴿فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور﴾ [لقمان: ٣٣].

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليّ الذنوب كلها فلم أر فيها ذنباً أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه». ومعنى تاركه تارك العمل به، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء» وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن: أما تستحي أنا معك وأنت تغضب، اقتد بي تنجو وأكرمني بالطاعة أنجيك من الأهوال وأجوّزك الصراط وأدخلك الجنة.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن نبي ولا ملك ولا غيره» فإنّا لله وإنا إليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان، وعصى مولاه وأطاع الشيطان، لقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وتبوا عذاباً شديداً. وبقي من الخير فريداً وحيداً. فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ومن حسرة ما أدامها.

[١٣٠] ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلف الصراط جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرب جل جلاله، وجسر عليه الرحمة» فيا أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار والمشكلات، سلّم الأمور لباريها، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها، وعليك بخويصة نفسك، واعمل ليوم رمسك وذلك الجسر عليه

السؤال، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدمت أسماؤه: عبدي عملت كذا في يوم كذا؟ فيقول العبد: نعم يا رب فلا يزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد: لإرسالك بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ. فيقول له جل وتعالى: يا عبدي بعيني إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيداً وملائكتي وأرضي، ولكن سترت عليك بحلمي وجودي، يا عبدي أنا سترتها في الدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك. غفر الله لنا أجمعين، وأما بنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ.

مجلس في قوله سبحانه وتعالى وتقدس أسماؤه ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾

[١٣١] هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ [الأعراف: ٤٦] هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحُبِسُوا على الأعراف، والأعراف هي مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهي الجسور بعضها أصعب من بعض، وبعضها أشد سؤالاً من بعض، وبعضها أكثر ارتفاعاً من بعض، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التي افترضها الله عليه في الدنيا. فنسأل الله التوفيق في الدنيا والتسهيل في الآخرة في تلك المقامات.

[١٣٢] سؤال العباد يوم القيامة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الأمانة، ثم بر الوالدين، ثم حفظ اللسان، ثم حفظ الجار، ثم صلة الرحم، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع ما نهى عنه، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط. فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور في بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه في بعضه والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت في الدنيا لأظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شدة الظلمة، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبين لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس ولجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ، وليظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمشون على الصراط

منصوب على متن جهنم، وتأتي الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيامانهم أي عن أيامانهم.

[١٣٣] ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرون، فإنهم يمضون في ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التي عملوا في حال الكفر في دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهون في النار فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتلقيهم في قعر جهنم، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم: انظرونا نقبس من نوركم فنمشي في ضوئكم، فيقال: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم قالوا للمؤمنين: انظرونا نقبس من نوركم قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فيظنون أن وراءهم نوراً يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب فيظنون أن في السرداب نوراً يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم، فإذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهافتوا في النار فزعوا مما حل بالمنافقين، فعند ذلك يقال لهم: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا العذاب الذي فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب.

[١٣٤] السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار، باطن ذلك الحائط في الرحمة وظاهره من قبله العذاب - يعني جهنم - والباطن فيه الرحمة - يعني الجنة - فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا عليهم ولم يلتفتوا إليهم، ورأوهم في حال السلامة والفوز. فيقول لهم المنافقون: ألم نكن معكم في الدنيا على التوحيد وكنا نصلي معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم - أي عذبتم - وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم

بألسنتكم ما ليس في قلوبكم، وتكذيبكم بقاء الله تبارك وتعالى، وكذبتكم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر، وغررتمكم الأمانى حتى جاء أمر الله، وغرركم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا - يعني لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء .

[١٣٥] صفة المنافق

فالكافر هو الذي كفر في السر والإعلان، والمنافق الذي كفر في السر وآمن في الإعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه، وقوله مأواكم النار، أي مرجعكم إليها ومستقركم فيها، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومنت على النفاق، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور رأوا سرداباً فيدخلون ذلك السرداب ويلعنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار فينتهي بهم إلى جب يقال له جب الحزن في ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار.

[١٣٦] بئر الهبهب

على تلك البئر صخرة من كبريت في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط، وهو أعلا الجسور من الصراط وهي الأعراف، وهي

المواضع المرتفعة واحدا عرف، وتسمى النشز من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفاً ومنها عرف الديك.

[١٣٧] أهل الأعراف

فإذا صار على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا، فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام، ومنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة سنة، وما يضيء مسيرة شهر، ومسيرة جمعة، ومسيرة يوم، ومسيرة ساعة، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه. على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم في الدنيا، فيستبقون في الجواز على قدر أنوارهم التي معهم فمن كان له نور كثير جاز في السعة، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق، على قدر ما أعطى الله لكل عبد، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة، والظلمة هي شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهل لجميعنا شدائدنا وظلمتها، وثبت على الصراط أقدامنا بمنته وفضله. والصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر، عليه من الحسك والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كlob من الزبانية عدد نجوم السماء إذا تكلم واحد منهم تثار النار من فيه، لو أن واحداً منهم بصق في البحار الزاخرة لجففها، وإذا تكلم واحد منهم فزع صاحبه منه، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجننها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه، ومن شدة صوته. وإذا صاح مالك خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته. والصراط مع دفته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون في النار، قال الله تعالى: ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ [الأعراف: ٤٧] وهم يستغيثون ويتضرعون إلى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ما هم فيه من صعوبة الصراط فيمكنون كذلك ما شاء الله تبارك

وتعالى مغموين مكرويين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون!! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله في الدنيا، فبينما هم كذلك إذ يلقي الله تبارك وتعالى ذكرهم في قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم، فيقول بعضهم لبعض: يا ليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الأعراف؟ فيقولون: ما لنا علم بما صنعوا ولكننا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا فينادون من قصورهم: يا معشر الملائكة الذين مع أصحاب الأعراف ما فعل أخواننا من أصحاب الأعراف؟.

[١٣٨] شفاعة أهل الجنة في أصحاب الأعراف

فيقول الملائكة: يا معشر أهل الجنة أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطعمون بدخولها قد قلَّ نورهم وطفئ سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٦] يعني نادى الملائكة أصحاب الجنة ﴿أَن سَلَامَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

[١٣٩] حياء آدم

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلي والحلل ويضعون التيجان على رؤوسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم عليه الصلاة والسلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم: يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته، إن ناساً من ولدك محبسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين فيقول آدم عليه السلام: لست هنالك أنا الذي عصيت ربي وأكلت من الشجر فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم يا بني بنوح الذي حملة الله في الفلك.

[١٤٠] حياء نوح

فيأتون نوحاً عليه السلام فينادون بأجمعهم: يا نوح فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح: يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له: يا نوح أنت الذي حملك الله في الفلك إن ناساً محبسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم

الدين، فيقول لهم نوح : لست هنالك أنا الذي خاطبت ربي فيما ليس لي به علم فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً، ولكن عليكم بإبراهيم الذي اتخذهُ الله خليلاً، وجعل النار عليه برداً وسلاماً، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم: يا إبراهيم أنت الذي اتخذك الله خليلاً إن ناساً محبوسون على الصراط قلّ نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم: لست هنالك، أنا الذي كذبت كذبتين - وقيل ثلاث - فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجّيه .

[١٤١] حياء موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له: يا موسى أنت الذي كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقاً ييساً في الأرض وأراك العجائب من قدرته، إن ناساً من إخواننا محبوسون على الصراط قلّ نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم موسى: لست هنالك أنا الذي وكزت الرجل فقتلته فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى بن مريم العذراء البتول البكر.

[١٤٢] حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو ﷺ في قصره فينادونه بأجمعهم: يا عيسى، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم: يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم، وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له: يا عيسى أنت الذي خلقتك الله من غير بشر. وأنت الذي جعلك الله آية للناس، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول، إن ناساً محبوسون على الصراط قلّ نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول: لست هنالك أنا الذي زعمت النصراني أنني قلت لهم اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فاستحي منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذي كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم، عليكم به فهو إمام المتقين، وسيد العالمين، وخاتم النبيين، محمد ﷺ.

[١٤٣] شفاعة محمد

فيأتون النبي ﷺ وهو في قصره خير قصور الجنة، فيقفون حول القصر

والقصر قد أشرق نوره وبهجته على جميع تصور أهل الجنة، فينادون بأجمعهم : يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد يا سيد العالمين يا إمام المتقين يا خاتم النبيين، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم؟ فيقولون له : أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين، إن ناساً من أمتك على الصراط محبوبون قلَّ نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين .

[١٤٤] دخوله جنة عدن

فيقول النبي ﷺ : أنا لها، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلبي والحللي ويضع على رأسه (التاج) صلوات الله وسلامه عليه، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال : من هذا؟ قال ﷺ : أنا أحمد فيفتح لي، فإذا خلف السرداق ملك يتلألاً نوراً فيهلني ما أرى منه فيؤنسي ويمسحني فيقول : يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك، ثم أمضي فأنتهي إلى سرداق ثاني فاستفتح فيقال من هذا؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي، فإذا خلف سرداق ملك عظيم أعظم خلقاً وأشد نوراً من الذي رأيت فيهلني ما رأيت من عظمه، فيؤنسي ويمسحني ويقول : يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نوراً من بعض حتى أنتهي إلى السرداق السابع فاستفتح فيقال : من هذا؟ فأقول : أنا أحمد فيفتح لي فإذا خلف السرداق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول : مرحباً بهذا الصوت لقد كنت إليه مشتاقاً فأمضي حتى أنتهي إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لي ربُّ العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فإذا نظرت إليه خرت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملكٌ من حملة العرش ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسل حيثُذ في ذلك المكان، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السراقات : إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع .

[١٤٥] سجوده بين يدي الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته : يا أحمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، قال رسول الله ﷺ : فأرفع رأسي من السجود فإذا نظرت إلى ربي جل جلاله خرت ساجداً وأحمده وأثنى عليه بمثل ما حمدته به في المرة الأولى،

فأفعل ذلك ثلاث مرات وربّي جلّ جلاله يقول لي في كل مرة: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب إن ناساً من أمتي محبسون على الصراط قلّ نورهم وطفئ سراجهم فأتهم لهم نورهم وأضيء سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ [التحریم: ٨] حتى تمضي كما مضى اخواننا إلى الجنة، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن، ثم يغمسون غمساً فيحيي الله نورهم ويضيء سراجهم، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [الأعراف: ٤٩] وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض: والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا في جهنم، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ [الأعراف: ٤٩] ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف.

[١٤٦] جاء المصطفى العظيم

فيقولون لهم: ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ [الأعراف: ٤٩] أي لا تحزنون ولا تموتون في الجنة أبداً، فيمضون والنور الذي جاءتهم به الملائكة في جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم وبنبيهم محمد ﷺ، وإنما حبسهم الجبار جلّ جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاء محمد ﷺ وفضله وحرمة ودرجته ومنزله ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقباه، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يا رب العالمين صلاة دائمة منتهى الآباد طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد، صلاة تنجيننا بها من حرّ جهنم وبئس المصير، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين آمين يا رب العالمين.

مجلس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾

[١٤٧] في حساب الملائكة والرُّسل واللوح المحفوظ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين فيغرقون على قدر أعمالهم».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا بني آدم انصتوا فطالما نصت لكم وفي رواية أخرى فقد نصتُ لكم من يوم خلقتكم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم، فانظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، احشروا عليّ عبادي فوعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم. فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب، يا مخالف السنة والكتاب، يا ظالماً لنفسه يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب، يا من تمادى في معصية رب الأرباب، ونسي الجنة وحسن المآب. وأنشدوا:

وهذا العمر يؤذن بالذهاب	إلى كم لا تفيق من التصابي
ويزهد في الكثير من الثواب	ويرضى بالقليل المرء حظاً
كما غر المحين بالشراب	فقدماً غرت الدنيا أناساً
وتخدعهم بآمال كذاب	تمنيهم غروراً باطلات

[١٤٧] حديث «تقف للعرض الأكبر».

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة (٢٨٦٤ / ٦٢). من حديث المقداد بن الأسود. والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص. (٢٤٢١) من حديث المقداد.

كَأَنَّكَ لَا تَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ
خَلَقْتَ مِنَ التُّرَابِ وَعَنْ قَرِيبٍ
وَتَحْيَا بَعْدَ مَوْتِكَ كَيْ تَجَازِيَ
فَإِنَّكَ تَكُ بِالْمَسِيِّ بِقَبْحِ فَعْلٍ
وَإِنْ كُنْتَ الَّذِي قَدَّمْتَ خَيْرًا
جَنَائِزَ تَسْتَحِثُّ إِلَى الْخُرَابِ
سَتَلْحَقُ - غَيْرَ شَكٍّ - بِالتُّرَابِ
بِمَا قَدَّمْتَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ
فَحَسْبُكَ بِالْعِقَابِ مَعَ الْعَذَابِ
جُزِيتَ بِهِ غَدًا حُسْنَ الْمَأْبِ

[١٤٨] تَبَكَّيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَبَابِرَةِ

ذَكَرَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْجَبَّارَ جَلَّ جَلَالُهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ فِي
عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ نَادَى سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ وَأَبْنَاءُ الْجَبَابِرَةِ؟ أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ
الْمُلُوكِ قَصِمَتْ الْجَبَابِرَةُ بِسُلْطَانِي، وَأَفْنَيْتِ الْمُلُوكَ بِعَظَمَتِي.

ذَكَرَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْجَبَابِرَةَ يَحْشُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورِ الذَّرِّ أَصْغَرَ
الْخَلَائِقِ خَلْقَةً لَتَجْبُرَهُمْ عَلَى الْعِبَادِ، وَالْجَبَابِرَةُ هُمُ الَّذِينَ تَجْبِرُوا عَلَى الْخَلْقِ وَعَنْ
اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقِيلَ الْجَبَابِرَةُ هُمُ الَّذِينَ جَبَرُوا الْمَسَاكِينَ وَالضَّعْفَاءَ عَلَى
مَا لَمْ يَطِيقُوا وَهَذَا الْأِسْمُ قَدْ اشْتَرَكَ فِيهِ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، فَالْخَالِقُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ
جَبَّارٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

[١٤٩] تَفْسِيرُ الْجَبَّارِ

وَتَفْسِيرُ الْجَبَّارِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَبَرَ عِبَادَهُ عَلَى مَا أَرَادَ، وَقِيلَ الَّذِي
يَجْبِرُ عَنْ ظَلَمِ الْعِبَادِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ لَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ الظُّلْمُ لِأَنَّ حَدَّ الظُّلْمِ
وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، لِأَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْجَبَّارُ مِنَ الْعِبَادِ
هُوَ الظَّالِمُ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ وَيُرْدِيهِ إِلَى مَا
قَدْ مَلَكَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِذَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِقَضَاءٍ فَهُوَ لَهُ خَيْرًا.

[١٤٨] حَدِيثُ «يَحْشُرُ الْجَبَابِرَةَ».

الترمذي: كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ بَابُ مَا جَاءَ فِي شِدَّةِ الْوَعِيدِ لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٢٤٩٢) مِنْ
حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ. وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٧٨ / ٢).

[١٤٩] حَدِيثُ «فِي قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرًا».

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى: كِتَابُ الْبَسِيرِ، بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (١٢١ / ٩) مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ
الزُّبَيْرِ.

لقول رسول الله ﷺ: «لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي قضاه الله عليه أو له خير له من الذي أراد لنفسه» وقال رسول الله ﷺ: «في قضاء الله تعالى خيراً إلا قضاء النار» وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه. ثم ينادي الجليل جل جلاله: ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [الزخرف: ٦٨] فإذا سمع الخلق هذا النداء رفعوا رؤوسهم وطمعوا كلهم في هذا النداء وقالوا كلهم: نحن عباد الله، ثم ينادي ثانية: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ [الزخرف: ٦٩] فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون، ثم ينادي ثالثة: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٣] أي كانوا يتقون الكبائر - فينكس أهل الكبائر من أهل التوحيد رؤوسهم ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحاً.

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر، وعصيت مولاك في الخفيات والظواهر، وأيقنت أنك مستول يوم تُبلى السرائر، ولاقي من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر. وأنشدوا:

عصيت الله ألوان المعاصي كأنني لست أوقن بالقصاص
فمالي لا أنوح على ذنوبي وأبكي يوم يؤخذ بالنواصي

[١٥٠] نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم، وزوال النعم، ونزول النقم، حيث لا ينفع الندم. فاستعد للسؤال، وتهياً للجدال، قال الله الكبير المتعال: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوَفَّى كل نفس ما عملت وهم لا يُظلمون﴾ [النحل: ١١١].

[١٥١] السائق والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديان، نشرت الدواوين ووضعت الموازين، وجيء بالنبين، ونصبت المنابر بالأنبياء والرسل فيجلس كل نبي على منبره وأمه قد أهدت به، ونصبت الكراسي

للصديقين والشهداء: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها، فالناس ينقسمون في السياقة على قسمين؛ قسم تسوقه الملائكة ببر وإكرام، وربي وإجلال، وتؤمنهم وتهدىء روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يُعذَّب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة: يا عبد الله ما أنت مثل هذا، هذا عصي الله وأنت أطعته. والقسم الثاني يساقون بالانتهاز والسطوة والإغلاظ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له: يا عدو الله هذا الحساب سوف تدري، كلما نظر المسكين إلى من يُعذَّب أو يُنكل قال له سائقه: الساعة تكون أنت مثل هذا، هذا عصي الله وأنت عصيته، أما علمت يا عدو الله أن الحساب والحشر أمامك؟ وأنشدوا:

كأنِّي بنفسي قد بلغت مدى عمري	وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهري
وطالبني مَنْ لا أقوم بدفعه	وحولت من داري إلى ظلمة القبر
وفاز بميراثي أناسٌ فشتوا	بإفسادهم ما كنت أجمع من أمري
وأغفلني من كان يبيدي محبتي	فأخلصه وُدِّي ويغمره برِّي
فلم يسخ لي منهم صديقٌ بدعوة	إذا ما جرى يوماً بحضرته ذكري
وأضحى لييتي ساكن مبهج به	وفي اللحد بيتي لا أقوم إلى الحشر
فيا شقوتي إن لم يجذ بنجاته	إلهي ولم يجبر برحمته فقري
فقد اثقلت ظهري ذنوبٌ لو أنها	على ظهرٍ طورٍ أثقلته في الوزر

فما أعظم مصيبتكم، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم، فاغتنموا التجارة في دار الفناء والذهاب، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب، فالحساب عظيمٌ عسيرٌ، والهول والله جليلٌ كبيرٌ، والناقد مميز بصير، واليوم عبوسٌ قمطير.

[١٥٢] اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ونُشِرت الدواوين، ونصبت الموازين، وأحضرت الأنبياء بأممها، وحضر الصديقون والشهداء، وحُشِر وحوش الأرض، وهوامها وطيورها وأنعامها، وسكانُ جبالها وبحارها.

ينادي منادٍ من قبل العرش: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى باللوح المحفوظ فيوقف بين يدي الجبار جل جلاله خاضعاً ذليلاً، فيقول له تبارك وتعالى: ما صنعت بالوحي الذي أنزلت فيك؟ واللوح من درة بيضاء، صفحته من ياقوتة حمراء، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، فيخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت ويعزّ ويذل، ويرفع أقواماً ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله ويخفض أقواماً ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ما قدروا الله حقّ قدره ولا عبدوه حقّ عبادته، لأنه جل جلاله أجل وأعظم من أن يؤفّى في العبادة والطاعة والمعرفة حقّه، ما قدر على هذا نبيّ مرسل ولا ملك مقرب، فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته. قال: فيقف اللوح بين يدي الجبار جل جلاله وعظمة قدرته فيقول له: أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذي أنزلته فيك؟ فيقول اللوح المحفوظ: سيدي ومولاي بلغته عبدك ميكائيل.

[١٥٣] رسالة ميكائيل

فينادي: أين ميكائيل فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحاً واحداً في الدنيا لما وسعته، فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى خاضعاً ذليلاً قد بلغت نفسه إلى حنجرتة فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الجبار جل جلاله، فيقول الله له: ما صنعت بالوحي الذي بلغ إليك اللوح المحفوظ، وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق في علمي أنني أسألك اليوم عبادي وجميع خلقي واستشهد بعضهم على بعض، فيقول ميكائيل: يا رب بلغني اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل وأنت أعلم.

[١٥٤] رسالة إسرافيل

فيرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له، ثم ينادي: أين إسرافيل؟ فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له جناحٌ بالشرق وجناحٌ بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على رأسه فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعاً ذليلاً قد ذهلت نفسه وتغير لونه، وارتعدت فرائضه واضطربت أوصاله واصطكت ركبته، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا

هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله : ما صنعت بالوحي الذي بلغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علّامُ الغيوب . فيقول إسرافيل عليه السلام : نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني وأنت أعلم وقد بلغته عبدك جبريل (عليه السلام) ، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام .

[١٥٥] رسالة جبريل

ثم ينادي : أين جبريل ؟ فيؤتى بجبريل ﷺ وقد تغير لونه وتبلبل لبّه وارتعدت فرائضه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقة فلا هي تدخل ولا هي تخرج جزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام : نعم يا سيدي ومولاي بلغني وبلغته نبيك نوحاً عليه السلام وأنت أعلم . فيبرأ إسرافيل بشهادة جبريل .

[١٥٦] شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدي الجبار جلّ جلاله وقد ذهبَتْ نفسه وتغيّر لونه وقد مات فزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله ، فيقول الجبار جل جلاله : يا نوح ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي جبريل (عليه السلام) وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام : نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني عبدك جبريل (عليه السلام) وقد بلغته قومي وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك . فيقول الله تبارك وتعالى : صدقت أنا أعلم من جميع خلقي ولكن قد سبق في علمي أن أسأل جميع خلقي وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذي لا أجور في حكمي . ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم : ما صنعتم بالوحي الذي بلغكم نوح (عليه السلام) وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ ؟ فيقول قومُ نوح : ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه يوماً قط ولا سمعنا به ولا بلغ إلينا رسالة ، فإذا سمع نوح عليه السلام كلامَ قومه ذهبَتْ نفسه وودّ لو ابتلعت الأرض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحد قومه حياءً من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك

الرسالة؟ فينظر نوح عليه السلام في الموقف يميناً وشمالاً ومشرقاً ومغرباً يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين، وبين كراسي الشهداء والصديقين، فلا يرى في المنابر أعلا ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد ﷺ.

[١٥٧] جاء الرسول الأعظم

ولا يرى في الأنبياء أحسن وجهاً من وجه محمد ﷺ، ولا يرى نوح في الكراسي أنور ولا أحسن من كراسي أمة محمد ﷺ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسي أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولا يرى في الوجوه أحسن وجهاً من وجوه أمة محمد ﷺ، ولا يرى في الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

[١٥٨] فضل أبي بكر الصديق

فيقول له نوح: قد أصبت من يشهد لي يا مولاي وسيدي، فيقول الله تبارك وتعالى: وهو أعلم - من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح عليه السلام: يشهد لي محمد ﷺ وأمته بأنني قد بلغت قومي الرسالة، فينادي مناد: أين النبي الأمي العربي التهامي؟ أين أحمد؟ أين سيد العالمين، أين خاتم النبيين والمرسلين، أين إمام المتقين؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رؤوسهم إذا رأوا رسول الله ﷺ فيمضي صلوات الله عليه حتى ينتهي إلى ربه عز وجل، فيقول له ربه: يا أحمد - ونوح قائم ينظر - ما تقول هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه؟ فيقول محمد ﷺ: نعم يا سيدي ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً. فيقول الجبار جل جلاله: صدقت يا أحمد. فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه. ثم يقول الله تعالى: يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة، فينما الخلائق في الموقف إذ يموج بعضهم في بعض ويفزعون فزعة عظيمة، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يميناً وشمالاً فلا يرون النبي محمد ﷺ، والأمم قد أهدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ خالياً.

[١٥٩] منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض: لمن هذا المنبر الذي لا يرى في الموقف مثله لحسنه

وجماله، ولا يرى أنورَ منه ولا أعلا ولا أبهى منه، ونراه خالياً ولا نرى له صاحباً؟
 فينما هم ينظرون إلى منبر النبي ﷺ إذ ينادي المنادي، ألا ان هذا المنبر منبر
 محمد ﷺ، وأن محمداً ﷺ ينادي ربّه في المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله
 تعالى. فينما هذه الأمة وقوفٌ مغموون محزونون بما يأتي النبي ﷺ من عند ربه
 عز وجل، إذ يخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى
 ينتهي إليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤوسهم وينظرون إليه، فإذا رآهم صلوات الله
 وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء، فإذا نظروا ﴿تجد كل نفس ما عملت من خير
 مُحضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. ذلك يوم مهول عبوس يوم تشيب فيه الرؤوس،
 وتذهل فيه النفوس، وتبلو كل نفس ما أسلفت، وتقدم كل أمة على ما قدمت،
 وتذهل كل مرضعة عما أرضعت يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثواباً
 ونعيماً، وسروراً مقيماً، ورباً كريماً، رؤوفاً بعباده رحيماً. ويجد كل عبد وأمة ما
 عمل من شر خزيّاً جسيماً، وناراً وجحيماً، وعذاباً مقيماً، ونكالاً أليماً، ورباً
 غضباناً عظيماً: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ [آل عمران: ٣٠].

[١٦٠] الثواب والعقاب

يجد الطائع الثواب، ويجد الفاسق العذاب، يجد المؤمن لذة الوصال، بالنظر
 إلى الكبير المتعال، في دار الخلد والجلال، ويجد الكافر العذاب والنكال، والسلاسل
 والأغلال، والجحيم والخبال، وفضاعة الأهوال، ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾
 [آل عمران: ٣٠]، يجد المؤمن النعيم والكرامة، والأمن في القيامة، والعافية
 والسلامة، والحلول في دار المقامة، ويجد الكافر الخزي والندامة، والعذاب والملازمة:
 ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ [آل عمران: ٣٠] يجد المؤمن الدرجات، ويجد
 الكافر العقوبات، يجد المؤمن السرور، ويجد الفاجر الشبور، يجد المؤمن النعيم
 والخلود، ويجد الفاجر عذاباً غير مردود، ويجد المؤمن ما قدم من الإحسان، في
 درجات الجنان في جوار الرحمن، مع الخيرات الحسان، ويجد الفاجر ما عمل من
 العصيان في سموم النيران، في جوار الشيطان، مع الذل والهوان. يوم تجد كل نفس
 ما عملت، في يوم هائل عظيم، يوم تكثر فيه الغموم وتعظم فيه الهموم، ويفصل
 الرب بين عباده وهو الحي القيوم: ﴿يوم تجد كل نفس﴾ [آل عمران: ٣٠] يوم تندم
 على القبائح، وتتأسف عند معاينة الفضائح، وتوجد الأعمال في الصحائف

الصحائح. ﴿يوم تجد كل نفس﴾ [آل عمران: ٣٠] يوم يندم الظالم ويخسر الآثم، ويكون الجبار جلّ جلاله في ذلك اليوم العدل الحاكم، ذلك يوم الندامة والحسرة، والأهوال والعبرة. وأنشدوا:

يا واحداً صمداً بغير قرين
واعطف عليّ إذا وقفت مُروّعاً
يا حسرتي بين العباد إذا همو
ما حيلتي في يوم نشر صحيفتي
ما حيلتي عند الحساب وهوله
لا حيلة عندي ولا لي موئل
يا رب لا تترك عبيدك هالكاً
ارحم ضراعةً عبدك المسكين
حيران بين يديك يوم الدين
خافوا الحساب فخف عنهم دوني
إذ قيل لي خذها بغير يمين
إذ قصرت بي قوّتي وبقيني
إن خائني طمعي وحسن ظنوني
وارحم بفضلك عبرتي وشئوني

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] أي تجده حاضراً عتيداً وتسأل عن أعمالك سؤالاً شديداً: ﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠].

قيل الأمد البعيد الذي يود من عمل سوءاً وعصى موله أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب.

وقيل الأمد البعيد الغاية في البعد الذي يتمنى أنه تاب في الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحي عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة، كما قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية.

[١٦١] فائدة التوبة

وقال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون» فإذا رأى المسكين الذي عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم

[١٦١] حديث «كل بني آدم خطاء».

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق، باب (٤٩) (٢٤٩٩) من حديث أنس. ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٤٢٥١).

والخطوب، وأسود وجهه من ظلمات الذنوب، وقد غضب عليه علام الغيوب، ورأى الذين تابوا من أخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير، والحساب اليسير، ولباس السندس والحريز، والنظر إلى وجه السميع البصير ورأى نفسه قد خسر وخاب، وحُرِمَ الثواب، ونوقش الحساب، وحجب عن رب الأرباب، وصار إلى أليم العذاب. يود لو كان تائباً، ولم يكن من الرحمة خائباً، يود لو كان السوء عنه بعيداً، ولم يكن حاضراً عتيداً، ولم يكن العذاب عليه شديداً. يود لو كان من التائبين، ولم يكن من المحرومين، يود لو كان من الآمنين، ولم يكن من المخالفين، يود لو كان من الطائعين، ولم يكن من العاصين، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين، يود لو كان من أهل الجنان، ولم يكن من أهل النيران، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب، يود لو كان من أهل النعيم، ولم يكن من أهل الجحيم، يود لو كان من الأولياء، ولم يكن من الأشقياء. يود لو كان من أهل الوفاق، ولم يكن من أهل النفاق. يود لو كان من أهل الفوز بالجنة، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة. يود لو كان سعيداً رشيداً، ولم يكن عن الله بعيداً. لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته.

[١٦٢] عمل العبد يلزمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شراً فإذا صَلَّى عليه ومضى إلى قبره وأنصرف الناس عنه بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه، يجد الكل مجموعاً لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر، ولا من الظواهر ولا من السرائر.

[١٦٣] الحض على التوبة

فأله الله معشر المذنبين مثلي أبعادوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها غرور الشيطان، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة، ويرحمكم يوم الحساب بحسن

الأوبة. يا أخخي يا أخخي وما عسى أن أقول لك من كرم مولاك الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التي عملت في أيام طفيتانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله، ولا تسأل عنها يوم القيامة وأنشدوا:

نهالك الطيب محيلاً على	مطاعم لو نلتها لم تمت
وخاطبك الله جلّ اسمه	بترك الذنوب التي حرمت
فأعرضت عن أمره لا هياً	وأثنت نفسك ما خوفت
فأطعمتها أن تنال الرضاً	بجهلك في فضل من قد عصت
فماذا تقول إذا أزعجت	لتخرج بالكراه فاستسلمت
فلا ندم حطّ أوزارها	ولا توبة غسّلت ما جنت
وأفردت وحدك في ملحد	بكت فيه نفسك ما أسلفت

[١٦٤] ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغة لمن تذكر، وزجراً لمن اعتبر، وتخويفاً لمن تدبر، ونهياً لمن تفكر. فالفكرة عبادةٌ وخيرٌ وزيادةٌ لأن مولاكم الكريم قد خوّفكم وهددكم وزجركم بها زجراً شديداً فقال: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] ثم قال: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٣٠] أي يحذرکم عقابه وعذابه إذا عصيتموه، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئاً وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلّت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب. واعلموا أن الذنب الذي يحقره صاحبه يكون يوم القيامة في ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك. ليوم فقرك. والأصل في الذنب الصغير أن يكون سبباً لدخول صاحبه في النار. إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله، فعند ذلك

[١٦٤] حديث «إياكم ومحقرات الذنوب» أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٠/٦) من حديث عائشة أم المؤمنين.

يغضب عليه مولاه ويقول له: عبدي حقر ذنبه واستخف بحقي، وعزتي وجلالي لأعذبه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» قال الله سبحانه: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. وأنشدوا:

قد ذهب الحيُّ إلى عرسه وعذب الميتُ في رَمْسِه
مرتَهَنُ النفس بأعمالِها لا يأمن الإِطلاقَ من حبْسِه
لنفسه صالحُ أعمالِها وما سوى هذا على نفسِه

[١٦٥] حكاية عن أحد الصالحين

حكى أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: يا منصور مسألة. وقد أمهلتك سنة كاملة، من أعقل الناس، ومن أجهل الناس؟ قال: فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره، فرجع إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك: يا منصور ما الذي ردك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسنٌ خائف وأجهل الناس مسيء آمن. فبكى أمير المؤمنين حتى بلّ ثيابه بدموعه ثم قال: أحسنت والله يا منصور ثم قال له: اقرأ علي شيئاً من كتاب الله فهو الشفاء لما في الصدور، وهو الدواء والنور. فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. فقال عبد الملك: قتلتي يا منصور ثم غشي عليه، فلما أفاق قال له: يا منصور ما معنى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٣٠] قال منصور: عقوبته يا أمير المؤمنين. فبكى عبد الملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال: يا منصور وما معنى: ﴿رؤوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠] قال: رحيمٌ غفارٌ لمن تاب وأناب قال: وما معنى: ﴿ما عملت من سوء محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] قال: كلٌ صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة، لم يغفر الله منها شيئاً. فبكى عبد الملك حتى غشي عليه، فلما أفاق قال:

[١٦٦] رقة عبد الملك بن مروان

إن والله من فكر في هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضلَّ ضلالاً بعيداً. وأنشدوا:

بكيت على عظم الذنوب وغزرها وما قل من يبكي لعظم سؤاله
تفكر في عظم السؤال وهو له وتندب دهرأ زاد قبح فعالة
لعل إله العرش يرحم عبده ويمنحه في الحشر طول وصالة
ويغفر ما قد كان في طول جهله ويسكنه بالعفو دار جلاله
وإن نظر الرب العظيم جلاله فذاك جسيم من جزيل نواله

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] تجد والله كل نفس ما قدمت في الأيام، من الطاعات والإجرام. ذلك يوم المصائب، ويوم النوائب، ويوم العجائب. يوم هتك الأستار، يوم تسعر فيه النار، يوم يفوز فيه الأبرار، ويندم فيه الفجار، وتعرض العباد على الواحد القهار. فالعجب كل العجب ممن قطع عمره في الأغفال، وضيع أيامه في المحال وأفنى شبابه في الضلال، ولم يعمل بما في كتاب ذي المجد والجلال، قال الله الكبير المتعال: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] يقول الله تعالى: يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة؟! وأنشدوا:

ما بال قلبك باللذات قد شغفا وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد تورعده الجبار خالقنا وبالذنوب وبالعصيان قد كلفنا

[١٦٧] توبيخ الله تعالى للعباد

ذكر في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى يقول في بعض كتبه المنزل على أنبيائه: يا عبدي ما الذي زهدك في ورعك في غيري؟ عبدي أنا أتقرب إليك وتهرب عني وأطلبك وتفر مني! عبدي بسطت لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عني، وأثرتها علي وزهدت في سعة رحمتي! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم؟ عبدي من الذي سترك وكلاءك وحفظك ووقاك؟ هل كانت لك شركة في نفسك معي، أم هل كانت لك قوة بنفسك علي؟ عبدي ما الذي قصرك عن عبادتي؟ ما الذي زهدك في طاعتي؟ أين أنت من هادم اللذات، أين أنت من نواح الآباء والأمهات، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات، أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور، ولا يستأمر أرباب الدور، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين؟ عبادي أليس قد اضمحلت آثار الماضين، ودرست

معالم السالفين، واتبع اثارهم الباقون. ومن ذا الذي يقوم بخلود الدهر غيري،
ومن ذا الذي ينفع دوام الأبد غيري، عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والأطواد
العاليات، والبحار الطاميات. أنا الذي تفردتُ بالبقاء، وحكمت على عبادي
بالفناء، أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معي في ملكي، ولا نظير لي في حكمي ولا
ضدَّ لي في سلطاني. وأنشدوا:

أما والذي لا خلدَ إلا لوجهه ومن ليس في العزَّ المنيع له كفو
لئن كان هذا العيش مرّاً مذاقُهُ لقد يجتني من غشه الثمرَ الحلو

[١٦٨] السؤال لا بدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة، والخفية
والسريرة، وعن كل ما قلَّ، وما دقَّ وما جلَّ، لا يغفل عن شيء، يجد العبد ما
عمل حاضرًا، ويجزي به وافرًا ويسأل عمّا عمل سرًّا وظاهرًا: ﴿يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] تجد والله القليل والكثير، والنقيير
والذرة والقطمير. وأنشدوا:

والله لو بكينا طولَ الأيام بدمع هامل سجام
وفررنا من الأهل والأوطان إلى الجبال والآكام

خوفاً من ذلك المقام، لكن ذلك لنا قليلاً خوفاً من سؤال الملك العلام.
فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات، ولا ننتبه من السكرات، ولا نخاف يوماً نجد
فيه الحسنات والسيئات، ونسأل عن المظالم والتبعات، كما قال الذي فطر الأرض
والسموات: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠].

[١٦٩] سؤال الله تعالى للعباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الله تعالى يخلو بعبد يوم القيامة ليس بينه
وبينه حجاب ويقول له: عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا، أما علمت أنني مطلع
عليك يا عبدي أفجعلتني أهون الناظرين إليك؟ أما استحييت مني، أما استحييت من
ملائكتي، أما خفت من عقابي، عبدي أرويتك من الماء البارد وقوّيتُ جسمك
ووسّعت عليك من سعة رِفدي فعصيتني! حتى اب العبدَ ليزوب حياةً من الله ويغمره
العرق حتى يكاد يموت من الفزع، ثم يقول العبد: يا رب النار أهون عليّ من حيائي

منك ومن العباد. فيأمر الله تعالى به إلى النار، فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول: يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافاً بحقك، وما ظننت بك إلا أن تغفر لي كما سترت عليّ في الدنيا، وقد أيقنت أن عصياني ذلك لا يضرّك، وأن رحمتك لي لا تنقصك. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي. فوعزتي وجلالي لأغفرنّ لك اليوم، يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة. ومن العباد من يقول: يا رب العذاب عليّ أهون من توبيخك لي، أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق عن مولاه. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيتني بها، وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين. مروا بعبدي إلى الجنة. جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين، وتوفانا برحمته مسلمين، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وشرف وكرم، وحشرنا معه في المقام الأعظم، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يا رب العالمين.

مجلس ثاني في قوله سبحانه وتعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾

[١٧٠] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] يجد المؤمن الحسنات في قرار الجنات، والقصور العاليات، والحدور والدرجات، والنظر إلى رب الأرضين والسموات، يجد الطائع البشري، ويجاد الفاجر النار الكبرى، يجد المؤمن الأمان، مع السرور والرضوان، ويجاد الفاجر الهوان، مع الذل والخسران، يجد المؤمن من الملك الجزيل، مع الثواب والتفضيل، وأنهار السلسيل، والنظر إلى وجه الملك الجليل، ويجاد الفاجر النوح والعويل، والحزن الدائم الطويل، والعذاب الشديد الثقيل، يجد المؤمن الخلاص، والتبجيل والاختصاص، ويجاد الفاجر العذاب وشدة القصاص. المؤمن يوم القيامة مرحوم، والفاجر باللعنة مرجوم، المؤمن عند الحساب مستور، والفاجر عند السؤال مشهور. المؤمن عند الحساب يلاطف، والفاجر عند السؤال يكشف. المؤمن حسابه عتاب، والفاجر سؤاله عذاب. المؤمن يجد من مولاه الرحمة، والفاجر يجد من الله النقمة. المؤمن حسابه يسير، والفاجر حسابه عسير. المؤمن يجد لباسه حرير الجنان، والفاجر لباسه سراويل القطران. المؤمن يجد عمله سروراً، والفاجر يجد عمله ويلاً وثوراً. المؤمن يجد الاتصال، والفاجر يجد الانفصال. المؤمن يجد الخلاص والفكاك، والفاجر يجد الهوان والهلاك. المؤمن مع محمد النبي، والفاجر مع الشيطان الغوي. المؤمن في وجهه نضرة النعيم، والفاجر في وجهه ظلمة الجحيم، المؤمن في الحساب ريان، والفاجر في الموقف عطشان. وأنشدوا:

أنت المخاطبُ أيها الإنسانُ فأصخ إليَّ يلح لك البرهانُ
أودعت ما لو قلت لك قلت لي هذا لعمرك كله هذيانُ

فانظر لعقلك من يانك واعتبر إتقان صنعته فثمَّ الشانُ
وجزا محاسن فعلهم في حشرهم عند الإله وعنده الرضوانُ
هذا لعمري ظاهر لا يختفي نطق الرسول ويين الفرقانُ

[١٧١] حكم قدسية

ذكر في بعض الحكم التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عجباً لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم، وعجباً لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب، وعجباً لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان؟ كأنك يا أخي قد قربت من العرض والحساب، ووقفت بين يدي الملك الوهاب، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر في هذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلي من قلبك، والوقر أن يزول عن سمعك، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور. فانظر يا أخي بنور فكرتك، وأطلق الموعظة على بحر عبرتك، فلعل العين أن تدمع، ولعل القلب أن يرق ويخشع، فإذا جرت الدموع وخشعت القلوب مُحييت الذنوب، وبلغت المنى والمرغوب، ويسر حسابك علام الغيوب. وأنشدوا:

تذكرني المكث في التراب	حتى أنادي إلى الحساب
هون كل البلاء عندي	وهكذا فقد للشباب
فليت شعري وكم مقامي	تحت الثرى أو متى أياي
لو كان لي عقل ما هناني	نومي ولا ساغ لي شرابي
ولا ضحككت ولسنت أدري	مالي لدى الله من حساب

[١٧٢] النداء بأسماء الخلائق

ذكر في بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا في أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادي باسمك يا مغرور على رؤوس الأولين والآخرين أين فلان بن فلان، أو أين فلانة بنت فلان، هلم إلى الحساب بين يدي رب العالمين، فاستقر في سمعك يا مسكين إنك أنت المنادي من جميع الخلق، فقامت على قدميك قد تغير من الفزع لونك، وانخلع من الجزع قلبك، واضطربت من الهلع مفاصلك، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان، وأوصالك قد اشتدت في

الطيران، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن، فإذا نظر الملك الموكل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك، علم أنك أنت المنادى باسمه فإذا كنت من أهل النفاق، والعصيان للملك الخلاق، نظر على وجهك ظلمة الذنوب، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب، فجمع بين ناصيتك وقدميك، غضباً لغضب الله عليك.

[١٧٣] أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] وإن كنت من أهل الرشاد، والتوفيق والسداد، الذين وقوا الله بالميعاد، وخافوا مولاهم ربَّ العباد؛ أخذ بيدك الملك وقادك، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك، وتمنوا مثل ما من الله عليك، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك، ويعدل عليك بكسبك، فلما انتهى بك الملك إلى سلطان العظمة، فإن كنت من أهل السير الصالح في الدنيا سترك جل جلاله بالنور، وأبدى لك البشري والسرور، وقربك وأدناك، وفضلك وحبابك، فلم يطلع على حسابك ملكٌ ولا نبيٌّ ولا رسولٌ، إلا الملك الجبار الذي لا يحول ولا يزول، فيقول لك: عبدي أنت الذي كنت تسهر والعباد نائمون، وتصوم والعباد يشبعون، وتبكي والعباد يضحكون، وتحزن والعباد يفرحون، وتخافني والعباد آمنون، أنت الذي كنت تجتهد في عبادتي والعباد بطَّالون، وتتصدق والعباد يبخلون، وتبذل المعروف بين عبادي والناس يمنعون.

يقول المولى جل جلاله: فوعزتي وجلالي وملكي ومجدي وكبريائي وعظيم سلطاني وقدرتي على جميع العباد لأومنن روعك، ولأبيحنك جنتي، ولأوسعنك مغفرتي ورحمتي، ولأعطينك من جزيل ثوابي وحسن مآبي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولأبيحنك النظر إلى وجهي، ولأرفعن قدرك وجاهك، ولأشفعنك في إخوانك وأهلك وأحبائك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا.

[١٧٤] شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله: يا عبدي أخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من لقيني من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى الجنة

بلا خوف ولا حزن، والله تعالى أعلم. وأنشدوا:

عني إليك فما اللذات من شغلي ولا سبيل الصبا واللهو من سبلي
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه فليست منه على زيغ ولا زلل
في الحشر لي شغلٌ عن كل مشتغلٍ بلذة وعن الألحاظ والمقل
هذا إطار الكرى عن مقلتي وزوى عني المنى وطوى المبسوط من أملي
كم ليلة بت فيها ساهراً أرقاً أخشى العقاب وأخشى سرعة الأجل

قال الله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠] رؤوف والله بالمؤمنين، ذو نعمة على الظالمين، رؤوف بأهل الإحسان، وذو انتقام من أهل العصيان، رؤوف بأهل السداد، وذو انتقام من أهل العناد، يا مغرور تفكر في هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية، ومن الزجر والتفريع نهاية، فازجر نفسك عن هواها، عساك تبلغها يوم العرض منها.

[١٧٥] حكاية من ذي النون المصري

حكى من ذي النون المصري بن إبراهيم الأخميمي رحمة الله تعالى عليه أنه قال: خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام؛ فلما علوت الوادي فإذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يظنوا يحسبون﴾ [الزمر: ٤٧] فلما قرب مني السواد إذا هو شخص، فتأملت فإذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف، ويدها ركوّة ويدها الأخرى عكاز، فقالت لي غير فازعة مني: من أنت؟ فقلت لها: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء، فاجعله أنيسك إذا استوحشت، وهاديك إذا ضللت، وصاحبك إذا احتجت. قال ذو النون: فبكيت من كلامها فقالت: مم بكاؤك؟ قلت لها: وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سبباً لشفائي، قالت: فإن كنت صادقاً في مقالتك فلم بكيت؟ قلت لها: رحمك الله والصادق لا يبكي!! قالت: لا، قلت لها: لم لا يبكي الصادق؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه. قال ذو النون: فبكيت والله متعجباً من قولها فقالت لي: مالك؟ قلت: أنا والله متعجب من قولك، قالت: وهل نسيت القرحة التي ذكرتها؟ قال

قلت لها: رحمك الله إن رأيت أن تمنني علي الزيادة. فقالت: وما أفادك الحكيم في مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد! قال: قلت لها: رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت: صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه فإن له يوماً يذيق فيه أوليائه كأساً لا يظمئون بعده أبداً. ثم علا شهيق ثم قالت: يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها صادقاً بريئاً من الدعاوى الكاذبة يسعدني البكاء على أيام حياتي. ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهي تقول: اللهم إليك لا إلى النار، حتى غاب شخصها عن بصري، وانقطع صوتها عن سمعي. قال ذو النون: فوالله ما ذكرت كلامها قط إلا كدّر عليّ أحشائي وعيشتي. قال ذو النون: فلقد أدبتني واستقام حالي مذ رأيتها. وأنشدوا:

أريد وأنت تعلم ما مُرادِي وتعلم ما تلجلج في فؤادي
فهب لي ذلتي واغفر ذنوبي وسامحني بها يوم التنادي

[١٧٦] رجع إلى الموعظة

يا أخي، مالك لا تفكر في قول مولاك الذي لم يزل عليك شهيداً، وهو يسمعك ويراك قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] الآية. أقرع يا مسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الأقفال، وترده عن الغي والمحال، وتوقظه عن السهو والإغفال، قال الله الكبير المتعال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤] ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ [آل عمران: ٣٠] يوم يظهر الخفي من أعمالك، يوم تبكي على قبيح أفعالك، يوم يحزن المسيء من أقوالك، يوم تنوح على خطاياك وضلالك.

[١٧٧] جهنم وشدتها

ذكر أن الخلق إذا اجتمعوا في الموقف وضاق المتسع، وعظم الفزع، واشتد الجزع، واختلفت الأقدام، وكثر الازدحام، وجاءت جهنم بالهول الأعظم، والعذاب المقيم الألزم ووقفت بين يدي الجبار خاضعة للملك القهار، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها، وترفع كل جلالٍ عليها، وهي سبعة أبواب على كل باب سبعمائة ألف جلالٍ وهي الحجب. ولولا تلك الاجلال لاحتقرت السموات

ومن فيها والأرضون ومن عليها، غلظ كل جلال خمسمائة عام، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت ويخرج منها عنق من نار أسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا.

[١٧٨] زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجمعه والجبار جلّ جلاله يقول لها: اتركي ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار، ومناد ينادي أصحابها: هذه زينتكم التي اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرونها على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين، ولا سير الصالحين. ثم ينادي المنادي: اتبعوا زينتكم، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلا من رحم الله.

[١٧٩] صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة: يا ليت هذا كله جعلته في جنب الله، يا ليتي لم يكن معي، يا ليتي بعد عني، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسودّ وجوه أقوام من الرجال والنساء، وتعمى أبصار قوم من الرجال والنساء، وتختتم على أفواه قوم من الرجال والنساء، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] يا أخي يا مسكين يا ضعيف اليقين مثلي أتراك من أي الفريقين تكون؟! أمن الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الملك الرحيم، أو من الذي اسودت وجوههم في العذاب الأليم؟ أهل تكون من الذين ابيضت وجوههم بالرحمة، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقمة؟ فكل من اسودّ وجهه قد أيقن بالنار، وكل من ابيض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار، فيا لها من فرحة ما أعظمها، ويا لها من مصيبة ما أدومها، فإذا نزل السواد في وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجاباً بينه وبين النظر إلى وجه مولاه، وإذا نزل البياض في وجه من أراد الله تبارك وتعالى يبيض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذي يحجب العبد عن النظر إلى وجه علام الغيوب.

[١٨٠] من ابيض وجهه

وذلك أن البياض نور المغفرة، وهو نور الرحمة، وهو نور القرب، وهو نور

الوَصَال والسواد أيضاً هو سواد البعد، وهو سواد الانفصال، وهو سواد النكال؛ وهو سواد النقمة، وهو سواد الحجة قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فالحجاب يا مسكين يا مغرور في الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] فيا معشر المذنبين أبعادوا السوء وأبدلوه بالإحسان، وارغبوا في نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزار والعصيان، فإنها تزيدكم، من عذاب النيران. يا أخي أبعاد السوء وأبغضه بغضاً شديداً، وكن على إبعاده بالتوبة جليداً جليداً، من قبل أن يأتي يومٌ تودُّ أن لو كان السوء عنك بعيداً، ولم تتبع شيطاناً غوياً مريداً. وأنشدوا:

يا من إليه جميعُ الخلق يتهللوا	وكلُّ حيٍّ على رحماه يتكلُّ
يا من نأى فرأى ما في الغيوب وما	تحت الثرى وحجابُ الليل منسدُّ
يا من دنا فنأى عن أن تحيط به	الأفكار طيراً أو الأوهام والعللُ
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت	وأنت ملجأ من ضاقت به الحيلُ
أنت المنادى به في كلِّ حادثة	أنت الآله وأنت الذخر والأملُ
أنت الغياث لمن سُدت مذهبُه	أنت الدليل لمن ضلَّت به السبلُ
إنَّا قصدناك والآمال واقعةٌ	عليك والكلُّ ملهوف ومبتهلُ
فإن غفرت فعن طول وعن كرم	وإن سَطَوْتَ فأنت الحاكم العدلُ

[١٨١] حكاية ذي النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله: ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحداً مدة أربعين سنة، فنهضت إليه فلم أزل أنادي تحت صومعته وأقسم أن يشرف علي حتى أشرف من أعلا صومعته، فراودته على الكلام فأبى علي، فقلت له: بالذي سكت من أجله ومن خوفه إلّا أجبتني عما أسألك عنه، فقال لي: قل ولا تطيل الكلام علي، قلت له: منذ كم أنت في هذا الموضع؟ فقال: منذ يوم واحد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغداً، فأما أمس فقد فات، وأما اليوم فلي، وأما الغد فلا أدري أبلغه أم لا، ثم أدخل رأسه فما كلمني وهو

يكي ويقول لا صبر لي على النار . وأنشدوا:
 أيا نفس لا صبراً على النار فاعلمي وكوني على خوف من النار ما عشتِ
 ودومي على الأحزان ما دمت حية عسى تذهب الأحزانُ عنك إذا متُ
 يقولون في طول الكلام بلاغةً وقد علموا أن البلاغةَ في الصمتِ
 إذا العبدُ لم يلعب هواهُ بعقله عصى ربّه وازداد مقتاً على مقتِ

[١٨٢] تقسيم العمر على الأعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام، يوم مضى يوم أنتم فيه يوم
 تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه، فأصلحوا
 اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان وما اقترفتُم فيه من
 الذنوب والعصيان، واليوم الذي مضى إنما تصلحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء
 والندامة، وذم النفس مع الملامة . وأنشدوا:

حتى متى نحن والأيام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
 يوم تولى ويوم أنت تأمله لعله أجلب الأيام للحينِ
 آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور،
 إنه على ذلك قدير، وهو عليه يسير، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة، شهادة أن لا
 إله إلا الله محمد رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب
 العالمين .

مجلس في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْنِي كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾ الآية

[١٨٣] يا أخِي يا مسكين يا حيران، من الذنوب والعصيان، يا من تعرض لسخط الملك الديان، يا من أقرَّ عين عدوه الشيطان، بتماديه على الخذلان، والضلال والبهتان، والأوزار والطغيان، يا مغرور إنك آخذ كتاباً، ووارد حساباً، ونازل ثواباً، أو عذاباً. فقدم يا غافل في دار الغرور، ما تجده في الكتاب المنشور، من الثواب والحبور، والفرح والسرور، والضياء والنور، من رحمة العزيز الغفور.

[١٨٤] أين الكتب يوم القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى رجلاً تطهرها بالآيمان وبالشماثل، أول حرف في الكتاب: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤] ما أعدل الملك الوهاب، إذ جعل الإنسان حسيب نفسه في قراءة الكتاب. يا مسكين يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال فحسبك العذاب والنكال، والمحن والأهوال، والسلاسل والأغلال، والحميم والخبال، واللعة والانفصال، من ذي الجود والجلال. وإن أخذت الكتاب باليمين، فحسبك المقام الأمين في أعلا عليين، مع الولدان والهور العين، والاتصال برب العالمين، وبمحمد خاتم النبيين، صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين. وإن أصررت في الدنيا على جرمك، ولم تتب إلى مولاك عن قبيح ذنبك، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك فتجد فيه ما يحزن قلبك، ويعظم حزنك، ويكثر كريك، فيا معشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختباراً، وأوجب عليكم فيها حقوقاً كباراً، فمتى ضيعتموها فقد أودعتم كتبكم آثاماً وأوزاراً، ومتى وقَّيْتُمْ بها فقد ملأتم كتبكم سروراً وأنواراً. وما من عبد ولا

أمة إلا وله كتابٌ يقرؤه يوم العرض والحساب، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب، كمثل الزارع إن زرع طيباً رفع طيباً، وإن زرع خبيثاً رفع خبيثاً. يا أخي فكأنك أنت كتبت بأقوالك، وملأته بأفعالك، وسوّدته بالقبايح من أعمالك. وأنشدوا:

كأنني بنفسي في القيامة واقفٌ وقد فاض دمعِي حين أعطى كتابي
لعملي بأفعالي وسوءِ مناقبي وأنّ كتابي سوف يُسدي المساوِيَا

فيا أهل الذنوب مثلي اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم في الديوان، من الإحسان والعصيان، والزيادة والنقصان، والنفاق والإيمان، وأنت غافلٌ في سكرة الغرور، وكتابك مملوءٌ بالويل والثبور، فبادروا إلى الصحائف وأمحو ما فيها من القبايح، ومحصوا ما قد ثبت عليكم من الفضائح، وذلك باكتساب الحسنات، كما قال رب الأرضين والسماوات: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

[١٨٥] أول الناس حساباً

ذكر في بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد ﷺ فإذا اجتمع الأولون والآخرون في أرض القيامة وقفت أمة محمد ﷺ، فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قریش من بني مخزوم يقال له عبدالله بن عبد الأسد، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان: ﴿فَأَنَا مِنْ أُوْتِي كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٥] إلى قوله: ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] نزلت هذه الآية في عبدالله بن عبد الأسد: ﴿وَأَمَّا مِنْ أُوْتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] وهو الأسود بن عبد الأسد، فأما عبدالله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدي الله عز وجل، فترعد فرائضه، وتنفك أوصاله، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى، فبينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدي الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملكٌ من عند الله تعالى وييده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد، فيقول له الملك:

[١٨٦] كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتي كتابه يروم أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد يمينه كأنما علقت فيها جبال

الدنيا، فلا يطبق أن يرفعها من الثقل، وقيل إنها تغل يده، وقيل إنها تلصق بجسده، وقيل إن الملك يقول له: يا عدو الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين. فيتناول عبدالله أخو الأسود كتابه بيمينه ويقال له: إقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلو من إلا نفسك، فيفرض خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض، في باطن الكتاب السيئات، وفي ظاهره الحسنات فيقال له: إقرأ سيئاتك فأول حرف يجد في الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا، فإذا رأى ذلك الذنب ميّلاً رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل أكلت حمضاً والتهبت عطشاً ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شيء.

[١٨٧] كيفية السؤال

هذا كله حياءً من الله عز وجل، فيقول: الجبار جل جلاله: عبدي فيقول ليبيك ربّي وسعديك، فيقول: ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا؟ فيقول: مولاي وسيدي وعزتك وجلالك إني لأعرفه، فيقول: عبدي أتذكر يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب؟ فيقول: نعم وعزتك وجلالك. فيقول له الجبار جل جلاله: عبدي إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أني كنت مطلعاً عليك، فيقول: بلى يا سيدي ومولاي وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك، فيقول له جل جلاله: أما استحييت مني؟ أما راقبتني؟ أما علمت أن مرجعك إليّ. والعبد في هذا التوبيخ قد علاه العرق، وذاب من شدة الغرق فيقول مولاي وسيدي لأن ترسل بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي أليس قد سترتها عليك في الدنيا؟ فيقول العبد: مولاي لقد فعلت ذلك بي، فيقول جل جلاله: عبدي وعزتي وجلالي ومجدي وجودي وكرمي لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين، وأبقيتها بيني وبينك حتى تعلم نعمتي عليك وأفضالي لديك في الدنيا والآخرة.

[١٨٨] غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك في كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه، عبدي هذه سيئاتك قد غفرتها لك. فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع. ثم يقول الله جل جلاله: قلب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما

مر على حسنة ازداد قلبه فرحاً وسروراً، وازداد بياضاً وحُسناً ونوراً، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر.

[١٨٩] لباس المكرمين

ويؤتى بحلّتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة، فليبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة، ويقال له: أخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أن لكل عبدٍ وأمة من المؤمنين مثل ذلك. فعند ذلك يخرج عبدالله بن عبد الأسد وكتابه يمينه وقد أشرق وجهه نوراً، وقلبه قد امتلأ سروراً. قد جرت على وجهه نصرَةٌ نعيم الجنان، وتلك علامةٌ لأهل الإيمان. والملك آخذ يمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى: أَلَا إِنَّ فَلاناً لأهل الإيمان. والملك آخذ يمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى: أَلَا إِنَّ فَلاناً قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمنوا مثل ما منَّ الله به عليه وهو يقرأ: ﴿هاؤم إقرؤا كتابيه﴾ [الحاقة: ١٩] ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنوبي ومحامها عني: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ [الحاقة: ٢٠] إني أيقنت في الدنيا أني ألقى هذا اليوم وكنت خائفاً من هوله ومن قراءتي كتابي ومن حساب ربي جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهي إلى أصحابه فيقولون: من هذا العبد الذي أكرمه الله ورضي عنه؟ اللهم اجعله من أحببنا وقرَّبه منَّا حتى ننظر إلى ما قد فضله مولانا به، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له: من أنت يا عبدالله؟ فيقول: أو ما تعرفوني؟ فيقولون له: يا عبدالله لقد زيتتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت؟ فيقول لهم: أنا عبدالله بن عبد الأسد، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به، ثم يشفعه الله تبارك وتعالى في كل من شاء من أهل الذنوب، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] قد رضى ورضيت نفسه ورضي مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة: ﴿في جنة عالية﴾ [الحاقة: ٢٢] في غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والكافور الأبيض: ﴿قطوفها دانية﴾ [الحاقة: ٢٢] يعني ثمارها دانية منهم إذا

اشتھوها نزلت عليهم حتى تدخل عليهم في منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أي حال أرادوا، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ [الحاقة: ٢٤] لا موت فيها ولا حزن: ﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤] يعني الأيام الماضية وهي أيام الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته. وأنشدوا:

ببابك عبدٌ من عبيدك مذنبٌ كثير الخطايا جاء يسألك العفوَا
فأنزل عليه العفوَا من بمنه على قوم موسى أنزل المنَّ والسَّلْوَى
أنا عبدك المسكينُ فارحم تضرُّعي ولا تجعل النيرانَ يا ربَّ لي مشوَى
وخفف من العصيان ظهري إنني بلغتُ من الأوزار غايتها القصوَى

فهذا عبدالله بن عبد الأسد الذي أنزل الله تعالى في هذه الآية، وعلى سيرته في الحساب تجري سير المؤمنين من أمة ﷺ على قدر أحوالهم واجتهادهم في الدنيا في الخير والاستقامة على طاعة الله.

[١٩٠] أشد الناس عذاباً

وأما قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ [الحاقة: ٢٥] فهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي وهو أخو عبدالله بن عبد الأسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبدالله فيدخل الأسود حتى يوقف بينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى لا يراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] فيوقف الأسود بين يدي الملائكة يرتعد من خوف العذاب، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه بجلده، ثم يأخذ برأسه فيلوي عنقه فيحول وجهه في قفاه.

[١٩١] كتاب السينات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره في يده صحيفة سوداء فيها كتابٌ بخط أسود في باطن الكتاب حسناته وفي ظاهره سيناته والكتاب مختوم، فيقال له: هذا كتابك خذه

فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه، فيتناول كتابه بشماله فيقال له: فض خاتم الكتاب فيفضه ويقال له: أنشر كتابك اقرأ، فينشر الصحيفة وهي سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه سينجو من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها: هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ [هود: ١٥] أي لا ينقصون، تعجل لهم في الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون في الآخرة بشيء من أعمالهم، ولا يتجاوز عنهم في شيء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر، والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقي وهو نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق، لأن الله تعالى خلق الجنة ثواباً لأهل الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى: ﴿كل شيء هالكٌ إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقي بالنعيم الدائم الباقي، ويثيب على العمل الفاني، وهو ما يعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفاني وهو حطام الدنيا، والمؤمن لا يرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض الدنيا وإن وسع عليه في الدنيا فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته، وأجر عمله أدخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه. ثم يقال للأسود بن عبد الأسد: إقلب كتابك فاقراً فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسي وهي سود بخط أسود، لأنها محبوبة بالكفر غير مقبولة، فأول سيئة يقرؤها يسود وجهه ويسمج لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماجة وقبحاً، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سيئاتك قد أضعفت، إني قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات.

[١٩٢] صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشدَّ سواداً من القار - وهو الزفت - ويعظم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر، وغلط كل فخذ من فخذه مسيرة ثلاثة أيام، وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعاً وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه

بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب، وكل
 ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد، شعره كأجام القصب، وله سبعة جلود
 غلظ كل جلد منها أربعون ذراعاً ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها
 ديدان لها جلبة كجلبة الوحوش في البرية، في جسده من الشعر ما لا يحصي عدده
 إلا الله تعالى، في أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل
 الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة
 عين. ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فتغل بها يداه وعنقه ويدخل طرفها في
 فيه وتخرج من دبره ثم يلف ما بقي منها على عنقه يتوقد ويشتعل ناراً، ثم يؤتى
 بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من
 حرّها فتعلق في عنقه وهي تشتعل ناراً، ثم يؤتى بتاج من نار فيوضع على رأسه
 فيصعد حرّ الصخرة إلى وجهه وينزل حر التاج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا
 يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى: ﴿أفمن يتقي
 بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ [الزمر: ٢٤] وقال عز وجل: ﴿وتغشى وجوههم
 النار﴾ [إبراهيم: ٥٠] تغشى وجوه الكفار. ثم يؤتى بسرّبال من قطران وهو نحاس
 جهنم قد انتهى في شدة الحر فيلبسه، لو أن ذلك السرّبال ألقي في الدنيا لصارت
 الدنيا من مشرقها إلى مغربها جرة واحدة أسرع من لمح البصر، ثم يقرن مع شيطان
 يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به، ثم يقال له: أخرج على
 الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحدٍ منهم مثل هذا العذاب. فيخرج الأسود على
 أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والملك
 ينادي على الأسود بن عبد الأسد: يا أهل الموقف قد شقي الأسود شقاوة لا يسعد
 بعدها أبداً. إلعنوه فإن الله تعالى قد لعنه وسخط عليه، فينادي بأعلا صوته نداءً
 يسمعه أهل الجمع: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة: ٢٥] أي يا ليتني لم أعط
 كتابي بشمالي ولا يحل بي هذا البلاء الذي أنا فيه: ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ [الحاقة:
 ٢٦] أي يا ليتني تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب، ولا نزل بي هذا العذاب:
 ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ [الحاقة: ٢٧] أي يا ليت الموت عاد إليّ حتى يريحني من
 هذا العذاب: ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ [الحاقة: ٢٨] يعني المال الذي كان معه في
 الدنيا وكان ينفقه في غير الله ويبخل به في ذات الله تبارك وتعالى: ﴿هلك عني
 سلطانيه﴾ [الحاقة: ٢٩] أي انقطعت عني حجتني واضمحلت. ثم يأمر الله تبارك

وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها في الدنيا ويلعنه كل من في الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به إلى النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿خذوه فغلّوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١، ٣٢] فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه في الهاوية من النار الحامية، ويدخلون بسلسلة في فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة في السلك، ثم يطعم الغسلين وهو شيء أسود تن - لو أن قطرة من الغسلين أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من التن.

[١٩٣] طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاعتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد، وكذلك لكل من كان في الشر رأساً يأمر به ويدعو إليه، يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به إليه يفعل به كما بالأسود بن عبد الأسد، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعبداً لله بن عبد الأسد، يجزي الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج في الخير والشر والله يفعل ما يشاء لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال.

مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿ووضع الكتاب﴾ الآية

[١٩٤] يا أهل الذنوب مثلي، يا أهل العيوب مثلي، يا من يعصي ولا يتوب، يا من ألغى والمحال له صحوب، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب. اعلّموا عصمتنا الله وإياكم أن للعباد غداً صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح، فمن كتب له حافظاه خيراً في الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية، ومن كان خائفاً في الدنيا من العذاب، متحفظاً مما يثبت عليه في الكتاب، متجنباً لمعصية رب الأرباب، وفقه الله مولاه للحق والصواب، ويسر عليه برحمته الحساب، ومحيت أوزاره من الكتاب، ورضي عنه الملك الوهاب، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب. ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي الرحمن، فكيف يآلف العصيان، وكيف يتحرك منه اللسان، بالزور والبهتان، ومخالفة كتاب الملك الديان.

[١٩٥] الفرق بين الحسنه والسيئه

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعثرت فقال الرجل: تعست الدابة - يعني عثرت - فقال ملك اليمين لملك الشمال: ليست بحسنة فاكتبها، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت، فكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة. وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلا أثبت عليه في الكتاب، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبتته صاحب اليمين، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبتته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته، ولا وقت من أوقاته، ولا لحظة من لحظاته إلا في ذكر الله وفي الفكرة في عظمة الله.

[١٩٦] النجاة في ذكر الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس شيء أنجي للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار» فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفاً مشفقاً، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيماً مرفقاً. ومن كان في الدنيا من الغافلين، كان (عند) قراءته من النادمين. فلو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوائب، ولسارعتن إلى الثواب والرغائب، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب. وأنشدوا:

ما بال عينك لا تبكي لما سلفا	ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه	لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلفا
من الذنوب التي لم تبلُ جدَّتْها	كيف تبلى وقد أودعتها صحفًا
أما تخاف أما تخشى فضائحها	إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفًا

اعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تعالى اطلع بعضنا على صحائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معاشهم بتعير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض فإننا لله وإنا إليه راجعون.

[١٩٧] حكاية عن رقة بن واسع

حكى عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكاً، وإن كان ليبيكي حتى ترحمه الناس، فذكر له ذلك فقال: يا أحبابي وكيف يضحك من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه ولا يدري بما يختم له.

اللهم اختتم لنا بخير. وكان رجل يكلم محمد بن واسع في حاجة فقال له محمد بن واسع: أدنُ مني فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو مني. فيا معشر المذنبين مثلي ونفسي أعني وكلنا مذنب لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يوماً يهتك فيه الأستار ويحاسب عباده على ما عملوا في الليل والنهار، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار. فالخير والشر قد حصل عليكم في الكتاب، الذي يوضع لكم يوم العرض والحساب، بين يدي رب الأرباب، قال الملك الوهاب: ﴿ووضع

الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴿ [الكهف: ٤٩] وضع الكتاب للمؤمنين، ووضع الكتاب للمجرمين. وضع الكتاب لأهل الإيمان، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان. وضع الكتاب لأهل الجنان، ووضع الكتاب لأهل النيران. ووضع الكتاب لأهل الثواب ووضع الكتاب لأهل العقاب. ووضع الكتاب للطائعين، ووضع الكتاب للعاصين، ووضع الكتاب لأهل الإخلاص والوفاق، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق، ووضع الكتاب لأهل الوفاء، ووضع الكتاب لأهل الجفاء، ووضع الكتاب للعاملين، ووضع الكتاب للباطلين ووضع الكتاب للقائمين، ووضع الكتاب للنائمين، وضع الكتاب للمستغفرين، ووضع الكتاب للغافلين. وضع الكتاب للسعداء، ووضع الكتاب للأشقياء. وضع الكتاب لأهل الجنة، ووضع الكتاب لأهل المحنة. وضع الكتاب للأبرار ووضع الكتاب للفجار. وضع الكتاب لأهل التوبة، ووضع الكتاب لأهل الحوبة، وضع الكتاب لأهل الكرامة، ووضع الكتاب لأهل الندامة. وضع الكتاب لأهل الرشاد، ووضع الكتاب لأهل الفساد. وضع الكتاب لأهل الحسنات، ووضع الكتاب لأهل السيئات. وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور، ووضع الكتاب لأهل الويل والشور فكتب تبشر بالجنة، وكتب آخرها باللعنة والمحنة، جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته.

[١٩٨] إحاطة الكتاب بكل شيء

واعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ [الإسراء: ٣٨] وقد أعلمنا إلهنا ومولانا أن ﴿كل إنسان ألزمناه طائره﴾ [الإسراء: ١٣] وأن كل إنسان لا بد له من السؤال ولا بد له من حساب، ولا بد له من ثواب أو عذاب ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح، ووعدنا عليه بالجنة، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار. وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم في كتاب مكتوب، بالحسنات والذنوب.

[١٩٩] حكاية في كتابة الكتب

روي عن الحسن رحمه الله أنه قال: ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه

ذلك القرطاس ويناوله قلماً ويقول له : اكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر فياخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن في الدنيا كاتباً، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجري القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون في كتاب الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنة من هذه الأمة، فإذا ثبت العبد في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن في قبره من العذاب والضيقة.

[٢٠٠] البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حلّ به العذاب في قبره. فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقيماً كان أو سعيداً، يطوي الملك الكتاب ويعلقه في عنقه. فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال : يا ولي الله أو يا عدو الله أتعرف هذا؟ فيقول : نعم أنا كتبت، وأنا عملته، فيقول له : فاقرأه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة.

فالله الله معشر المذنبين مثلي المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح، ولا تهملوا أعماركم في الذنوب والفضائح، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم في الصحائف الصالحات، وستقرؤها بين يدي مولاكم وتشهد عليكم الجوارح، بالقبيح والحسن من أعمالكم. وأنشدوا :

سوف يأتي عليك ساعة خوفٍ حين تعطى صحائف الأعمال
وكأنني أرى فضائح قومٍ قد تجلّى لكشفها ذو الجلال
ليت شعري إذا قرأت كتابي يميني أعطاه أم بشمالي

[٢٠١] حكاية عن عيسى عليه السلام

روي عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال : دخل عيسى بن مريم عليه السلام وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصرأ من قصورها فنادى، يا خراب الآخر بين أين أهلك وعُمّارك؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا وسعودوا. فاجتهد يا أخي لا تُفرط فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم. وأنشدوا :

لا تحقرن من الذنوب صغيرها إن الصغير غداً يعود كبيراً
كل الذنوب وإن تقادم عهدهما عند الإله مسطراً مسطوراً

أيها الرجل المقنع بالمشيب، الملبس حلة المعاصي المريب، قد خسرت أيام الشباب، وبذلت مهجتك للعذاب، بغفلتك عمًا في الكتاب، واتباعك اللعين الكذاب، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب، ومعصيتك لرب الأرباب. ما حيلتك يا مكروب مثلي سوّدت كتابك بالذنوب، وعصيت مولاك علّام الغيوب، وبعث الحظ الجزيل بالكذب المشوب، وضيّعت الجنة التي ليس فيها نصب ولا لغوب واعلموا معشر المذنبين أن العبد إذا وقّفه مولاؤه وأعطاه الفكرة في قراءة كتابه كان عند مولاؤه مستجاب الدعاء.

[٢٠٢] حكاية في الاعتماد على الله

حكى عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولاً عن عوز ماء وكان في زمان الحر، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاؤه سبحانه، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه، فقيل له: بم بلغت هذه المنزلة؟ فقال: جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهاري حتى كأني أقرؤه بين يدي ربي جل جلاله.

[٢٠٣] حكاية عن مالك بن دينار

قال عبدالواحد بن زيد رحمه الله: كنّا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلّم مالكاً وأغلظ عليه في الكلام في قسمة قسمها وقال: وضعتها في غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثرُوا جمعك ولتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك بن دينار وقال: ما أردت بهذا هذا الذي تقول، قال: بلى والله لقد أردته، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت. فسقط الرجل ميتاً بإذن الله.

[٢٠٤] دعاء ابن واسع

وكان محمد بن واسع إذا جُنّ عليه الليل يبكي ويقول في بكائه: ويلى من ذنوب قد أحصيت، ومن صحيفة قد ملئت، ورئي قد علم ذلك ولم يخف عليه من

ذلك شيء، فأورثه الله تعالى ببيكائه على كتابه، وعلى حياته من ربه الاستجابة في الدعاء وتنور القلب. وأنشدوا:

أرى المشيبَ بالعذارِ قد أَلَمَ	كأن موتي عن قريبٍ قد هجم
خَطَّ المشيبُ أسطراً في مفرقي	فراعني ما خَطَّه وما رَقَمَ
هل الفتى إذا انقضى شبابه	إلا كزراعٍ هاج سوف ينحطم
شاب الفؤادُ قبل شيب لمتي	واعتادني ضعف القوي قبل الهرم
ويحي من التويخ من ربي غداً	من ذلك الأمر الشديد المستهم
ويحي إذا نادى المنادي بي ألا	قم عبد سوء مسرع للعرض قم
ويحي إذا قال لي مقررأ	وخص شيئاً بعد شيء ثم عم
ما قد صنعت في فروضي والذي	قضيت منها هل صفا لي هل سلم
فجئت ربي خاسراً قد أثقلت	ظهري ذنوب كالسحاب المرتكم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ [الكهف: ٤٩] وضع الكتاب لفصل القضاء، ووضع الكتاب للحزن والبكاء. وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتظهر القبائح. وضع الكتاب لتصح الصحائح. الله الله يا معشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب، واجتهدوا في بقية أعماركم قبل وضع الكتاب، وسارعوا إلى المغفرة من ربكم قبل الخجل بين يدي رب الأرباب، وقبل أن تطلبوا برد الجواب، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب. وأنشدوا:

ابكي لذنبك طول الدهر مجتهداً إن البكاء معوّلُ الأحزانِ
لا تنس ذنبك في الكتاب وعظمه إن الذنوب تحيط بالإنسانِ
مساكين أهل الذنوب، أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمن. مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم، وكبرت عيوبهم، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم. مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار، وسؤدوا صحفهم بالخطايا والأوزار، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة، وخالفوا السنة والجماعة، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة. وأنشدوا:

(من كان) يخشى الله جلَّ جلاله فليكثر العبرات في الخلوات
فلعله بعد التذكُّر والبُكا بدلت له العبرات بالحسنات
وتخفف الأوزار عن منشوره يوم الحساب وموقف الحسرات

[٢٠٥] عجائب الكتب

قال الله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾
[الكهف: ٤٩] عباد الله عند وضع الكتاب عجائب، وأحزان ومصائب، وكروب
ونوائب. فواحدُ يوضع له الكتاب فيكي، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكي.
وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نضرة النعيم وآخر يوضع له الكتاب
فتعلو وجهه ظلمة الجحيم. وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بسخط الربِّ الجواد.
وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بالتوفيق والسداد.

اللهم وفقنا للطاعة، وأمتنا على السنة والجماعة، ونجِّنا من أهوال يوم
الساعة، وأدخلنا في جملة أهل الشفاعة. واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو
الكتاب من ألواح الصبيان، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان، والهموم
والغوم والأحزان. فاجتهدوا في البكاء معشر الإخوان، وأكثرُوا الندامة فإنها
توجب الغفران. وأنشدوا:

دعوني على نفسي أنوح وأندبُ	بدمع غزيرٍ وأكفٍ يتصبَّبُ
دعوني على نفسي أنوحُ فإنني	أخاف على نفسي الضعيفة تعطبُ
وإنني حقيقٌ بالتضرع والبكا	إذا ما هدا الثَّوَمَ والليلُ غيهُبُ
وجالت دواعي الحزن من كل جانب	وغارت نجومُ الليل وانقضَّ كوكبُ
كفى أن عيني بالدموع بخيلةٌ	وإنني بآفات الذنوب مُعَذَّبُ
فمن لي إذا نادى المنادي بمن عصي	إلى أين إلجائي إلى أين أهربُ؟
وقد ظهرت تلك الفضائحُ كُلُّها	وقد قرب الميزانُ والنارُ تلهبُ
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي	لئن كنت في قاع الجحيم أعذبُ
فقد فاز بالملك العظيم عصابةٌ	تبيت قياماً في دجى الليل ترهبُ
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه	وقد زينت حورُ الجنانِ الكَواعِبُ
فناداهم سهلاً وأهلاً ومرحباً	أبحث لكم داري وما شئتم أطلبوا

فبادروا رحمكم الله في هذه الأيام الشريفة، إلى محو السيئات من الصحيفة.

[٢٠٦] ضرب مثل في رقة القلب

يا أخي الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقه ندامة الذنوب التي حصلت في الكتاب المكتوب الموضوع، جادت العينان بواكف الدموع، ولانت الجوارح بالخضوع، والقلب بالإنابة والخشوع. وأنشدوا:

كتبْتُ بأدمعي في صحنِ خُدِّي كتاباً بالتذلل والخضوع
فقالوا قد عفونا عنك لَمَّا محوت قبيح فعلك بالدموع

[٢٠٧] حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال: رأيت رجلاً واقفاً على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحاً، وكان اللوح قد كتبه بالحبر، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب، فقال الرجل الواقف عليه: يا بني مالك تحك اللوح بالحبل فقال: ليزول الحبر الذي ثبت فيه، فقال له الرجل: والحبل يا بني يزيل الحبر؟ قال: نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في ثُور البئر يؤثر فيه وهو حجرٌ فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق! فقال الرجل: ذلك بطول المدة، فقال الصبي: لا يا نعم الرجل إلا بالحزم والاجتهاد وإياك يا نعم الرجل بعيد الذهن، قال الرجل: كيف ذلك يا بني؟ قال: لأنني قد قلت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه، فقال الرجل: يا بني كان على قلبي حبراً؟ قال: يا عم وأي لون هو الحبر؟ قال: هو أسود. قال الصبي: يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب! فصاح الرجل صيحة وخر مغشياً على وجهه ثم أخذ في البكاء. فقال له الصبي: أما الآن فقد وجدت الدواء للذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك. فقال الرجل: يا بني وما الدواء؟ فقال له: البكاء. فقال: يا بني والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب؟ قال له: نعم والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «إن الدموع تطفئ بحار النار يوم القيامة عن الباكي».

[٢٠٨] الدموع تمحو الذنوب

فإذا محب الدموع بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار، رضي عنك الملك الغفار، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار، وخلصت من عذاب البوار. فأبكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم في الشهور والأعوام، وفي الساعات والأيام، من الخطايا والأجرام، واكتساب الربا والحرام، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام. وأنشدوا:

وددت أن دموعي بحر فاسفحها	من مقلتي على ما فات من زمني
واهأ على أسف مني على وهل	يجني التأسف إلا غلة الشجن
والله لو صح تحقيق التأسف ما	ألفت إلا مع التَّوَم في الحزن
يا ليت لي عيناً في كل جارحة	تبكي عليّ بدمع مانع الوسن

[٢٠٩] فضل البكاء

فالواجب - والله يا أهل الإسلام - على كل مسلم علم من نفسه ذنباً أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جنّاه، فهو المنان الكريم، المتفضل العظيم. اللهم يا أكرم الأكرمين، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب ولا تباعة على منهاج أهل السنة والجماعة، الذين أوجب لهم الرحمة والشفاعة. اللهم إن الطاعة والمعاصي بقدرك، وفي يدك القلوب والنواصي، فطهر قلوبنا بماء التوبة، واغسلها من دنس الحوبة، وامتعنا بالسلامة في ديننا ودنيانا، وفي أسماعنا وأبصارنا، وجميع جوارحنا ما أبقيتنا، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا، فإنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مجلس في ذكر الجنة وأوصافها ﴿وما أعدَّ الله لأوليائه من النعيم فيها﴾

[٢١٠] أيها للمريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها، واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجع بآمانيتها، وترك طلب العلو فيها.

[٢١١] آيات في الجنة

وقد قال الله عز وجل: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] وقال عز من قائل ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها﴾ [الرعد: ١٣] وقال عز من قائل ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير﴾ [فاطر: ٣٣] وقال: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ [فاطر: ٣٤] الآية إلى ﴿لغوب﴾. قال عز من قائل ﴿في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات: ٤٥] الآية. إلى ﴿مكتون﴾. وقال عز وجل ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ [الزخرف: ٧١] الآية. ﴿خالدين﴾.

[٢١٢] أحاديث في الجنة

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها».

[٢١٢] حديث «من اشتاق إلى الجنة».

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لهي عن الشهوات، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات».

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم رجع فقال: يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاهة فقال الله: اذهب فانظر إليها، فذهب إليها فقال: يارب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال جبريل: يا رب لا يسمع بها أحد فيدخلها، ثم حفها بالشهوات فقال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها» فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات، ونافسوا في أفعال الخيرات، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات، يسكنكم مولاكم الجنات، ويوئلكم أعلا الغرفات، ويرفع لكم الدرجات.

[٢١٣] شجرة طوبى

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب في ظلها مائة عام لم يقطعها» بطحاؤها ياقوت وترابها مسك أبيض، ووحلها عنبر أشهب، وكثبانها كافور أصفر، وبسرهما زمرد أخضر، وأفناؤها سندس واستبرق، وزهرها رياض أصفر، وورقها برود

= أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠ / ٥) من حديث على الموضوعات لابن الجوزي (٣ / ١٨٠). هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال يحيى: عبيد الله بن الوليد ليس بشيء، وقال الفلاس والنسائي: متروك الحديث، على أن الحارث كذاب. حديث «ما رأيت مثل الجنة».

(*) أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم، باب (١٠) منه (٢٦٠١) وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ويحيى بن عبيد الله ضعيف عند أكثر أهل الحديث تكلم فيه شعبة. أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره... (٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، النسائي كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بعزة الله (٣ / ٧). [٢١٣] حديث «إن في الجنة شجرة...».

أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٥) من حديث أبي هريرة، الدارمي في كتاب الرقائق، باب من أشجار الجنة (٢ / ٣٣٨).

خضر، وثمرها حلل صفر، وسقيها زنجبيل وعسل، وعبقها زعفران مبهج،
والألنوج يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسيل والرحيق، وظلها
مجالس أهل الجنة يالفونه، ومتحدث يجمعهم تحتها.

[٢١٤] وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزومة
بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً، وبرها خز أحمر،
وعبقري أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر الناظرون إلى
مثله حسناً وبهاء، ذللاً من غير محنة، نجب من غير رياضة رجالها من الياقوت
الأخضر، ملبسة بالعبقري والأرجوان، ولجمها ذهب وكسوتها سندس واستبرق،
فأناخوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم:
أجيبوا ربكم جل جلاله فإنه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه، وينظر
إليكم وتنظروا إليه، ويكلمكم وتكلموه، ويحييكم وتحيوه، ويزيدكم من فضله فإنه
ذو رحمة واسعة، وذو فضل عظيم.

[٢١٥] رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفّاً واحداً معتدلاً الرجل
إلى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبها ولا تعدو أذن ناقة أذن
صاحبها، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق
بينهم، فإذا وقفوا بالجبار تباك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلّى لهم في
عظمته العظيمة فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا: ربنا أنت
السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإجلال فيقول لهم الرب جل جلاله:
عبادي عليكم السلام مني وعليكم رحمتي ومحبتني مرحباً وأهلاً بعبادي الذين
أطاعوني بالغيب والذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وكانوا مني على كل حال
مشفقين فيقولون: وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا
أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك، فيقول لهم ربهم عز وجل: إني قد
رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم، وهذا حين أفضيتم إلى
روحي ورحمتي، وجنتي وكرامتي ومبلغ الوعد وعدتكم فاسألوني ما شئتم وتمنوا

علي أعطيتكم أمانيتكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن أجزيكم بقدر رحمتي وكرامتي ورأفتي وعزي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني فاسألوني ما شئتم، فما يزالون في الأمانى حتى ان المقصر في أمنيته يقول: ربنا تنافس أهل الدنيا في دنياهم، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظي من الجنة كل شيء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيها، فإننا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت في أعيننا تشاغلاً بأمرك وإعظماً لك وإجلالاً وإعزازاً.

[٢١٦] إكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم: لقد قصرتم في أمنيته ورضيتم بدون حظكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتكم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم؛ وألحقت بكم ما قصرتم عنه أمانيتكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى ما لا تبلغه أمانيتكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك، فيقولون: ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولو وكلتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيعنا حظنا وإذا بقباب في الرفيع الأعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت أبوابها من ذهب، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس واستبرق يفور من أعراصها وأفواها ماء. نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرّي فإذا هم بقصور شامخة في أعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذا لامتعت الأبصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشاً بالحرير الأبيض. وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشاً بالعقري الأحمر. وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشاً بالسندس الأخضر. وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشاً بالأرجوان الأصفر، مبنية بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدا من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان.

[٢١٧] براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعاً فيها الروح بجنبها الولدان المخلدون ويبد كل وليد حكمة يرذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس في الجنة لون حسن إلا

وهو فيها ولا ريحة طيبة إلا عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليهما أنهما من دون القبة، يتبين مخها في عظامها كما يتبين السلك الأبيض في الياقوتة الصافية، ثم يأمر الله عز وجل رجلاً منهم فيتحول في مركبه مع صاحبه فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة، وإما ياقوتة وإما درة وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهتوهم ويحيوهم، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وبجنيها الولدان المخلدون، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة. فلما رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشبكوا أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم.

[٢١٨] مصافحة الملائكة

تقول الملائكة: أما وعزة وربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلا معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئاً لكم هنيئاً بكرامة ربكم. فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمنى، وإذا على كل قصر منها باب يفضي إلى وإد أفيح من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض وكذلك جبال الجنة وهي معادن الجواهر والياقوت والفضة فارغة أفواهاها في بطون تلك الأودية، في بطن كل واحد منها أربع جنات، جنتان ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مداها متان، فيهما عينان نضاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحوار مقصورات في الخيام لم يطمئنهن أنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان فلما تبؤوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى في ملائكته فيقول لهم ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ [الأعراف: ٤٤] قالوا: نعم، قال: كيف وجدتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا. فيقول لهم الجليل جل جلاله: برضائي عنكم نظرتكم إلى وجهي وسمعتكم كلامي وحللتكم داري وصافحتكم ملائكتي. فهنيئاً هنيئاً عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تكدير فقالوا: ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ [فاطر: ٣٥].

[٢١٩] عدد الجنات وأسمائها

روي عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال: لما خلق الله تبارك وتعالى

الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهي سبع جنات؛ دار الخلد، ودار السلام، وجنة عدن - وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وهي دار الرحمن تبارك وتعالى، ليس كمثله شيء ولا يشبه شيء ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق المغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها مدائنها وقصورها، وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها، وأعلاها وأسافلها، وأنبتها وحليها، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية، والأنهار المطرزة بألوان الأشربة، والخيام المشرفة والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبة والأزهار الزاهرة والمنازل البهية المعجبة.

[٢٢٠] الحور العين

فيها الأزواج المطهرة، والعين الغنجات، بريط النور معتجرات بوشح الكرامة، متزينات، بالمسك متزملات، حديق أعينهن كاحلات، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكلفة بالدر، مركبة بالياقوت، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذينة يقلن: نحن خالديات فلا نموت أبداً، ونحن الغانجات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام، ونحن الأبيكار السوام للعباد المؤمنين، طوبى لمن كان لنا وكنا له. فذلك قوله عز وجل ﴿إنا أنشأناهم إنشأاً فجعلناهم أبقاراً عرباً﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٧] عاشقات لأزواجهن ﴿أتراباً﴾ مستويات في الأسنان ﴿حور عين﴾ [الواقعة: ٢٢] حسان جمال ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٣] كأنهن الياقوت والمرجان. مشيها هرولة، ونغمتها شهية بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة فذلك قوله عز وجل: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ [الرحمن: ٥٦] يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿لم يطمثنهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن: ٥٦] وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حلة مختلفة الوشي والألوان، حملها أهون عليها وأخف من شعرها.

[٢٢١] صفة الحور

في نحرها مكتوب، أنت حبي وأنا حبك لست أبغي بك بدلاً ولا عنك

معدلاً. كبدها مرآته وكبده مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجاة البيضاء، وكما يرى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية.

[٢٢٢] دار السلام

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها. وثمارها من اللؤلؤ والياقوت.

[٢٢٣] جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة.

[٢٢٤] جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع ما فيها على هذه الصفة. والجنات كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام. حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد. ملاطها المسك، وقصورها الياقوت، وغرفها اللؤلؤ، ومصارعها الذهب، وأرضها الفضة، وحصباؤها المرجان، وترابها المسك. أعدها الله عز وجل لأوليائه، يقول الله تبارك وتعالى: يا أوليائي جوزوا الصراط بعفوي، وأدخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم، فلكم صنعت ثمار الفردوس، ولكم نصبت شجرة الخلد، ولكن بنيت القصور التي أسست بالنعيم، وشرفت بالملك والخلود.

[٢٢٥] درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام، ويزوج خمسمائة حوراء، وأربعة بكر، وثمانية آلاف بيت، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضي ربه عمر الدنيا، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقئها على بدنه فيقول العبد: الحمد لله وتبارك ربي وتعالى فما عجبت

كإعجابي بهذه الهدية. فيقول الملك: أعجبتك؟ فيقول: نعم، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول: أنا رسول ربك إليك تكوني لولي الله ما أحب ففتلون له على ما يشتهي.

[٢٢٦] طعام الجنة

ويبلغ غذاؤه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم، فلا تطبخ بالنار، ولا تقلبها القدور ولذتها لذة الزبد، وحلاتها حلاوة العسل، ورائحتها رائحة المسك. يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها. وفي عشائه مثل ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «يأكلون ويشربون ويتفكهون يصير طعامهم وشرابهم رشحاً كرشح المسك يخرج من أجسادهم. ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش».

[٢٢٧] دلال الحور

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: بينما ولي الله في الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشي في نبت الزعفران، وترجع في نبت الكافور، وتمشي بسبعين ألف لون من الغنج.

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسطع نور في الجنة فيرفعون رؤوسهم فإذا هو نور حوراء. ضحككت في وجه زوجها».

وروي عن جابر بن عبدالله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخضون ولا يتغوطون ولا يبولون ولكنه رشح كرشح المسك، قد

[٢٢٧] حديث «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون». مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة الجنة وأهلها (٢٨٣٥ / ١٨) من حديث أبي هريرة.

ألهما التسبيح والتقدیس والتكبير والتحميد».

[٢٢٨] لباس أهل الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال: بلغني أن وليّ الله في الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتجاويان بصوت مريح، تقول التي تلي جسده: أنا أكرم على وليّ الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه، فتقول التي تلي وجهه: بل أنا أكرم على وليّ الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه.

وروي عن النبي ﷺ: أنه قال: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيلبسون منها ثياباً، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم».

[٢٢٩] أول من يدخل الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون، فيها ولا يموتون، ولا يتزفون آتيتهم من الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة وورشحهم المسك».

[٢٣٠] مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله في قوله عز وجل «ومساكن طيبة في جنات عدن» [التوبة: ٧٢] قيل سأله ابن أخيه في ذلك فقال: يا ابن أخي على الخير وقعت، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا: على الخير وقعت، سألتها رسول الله ﷺ كما سألتنا فقال: «هي قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون

[٢٢٨] حديث «يبعث أهل الجنة على صورة...».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٢/٥) بلفظ يبعث المؤمنين جرداً مرداً من حديث أبي موسى.

[٢٢٩] حديث «إن أول زمرة تدخل...».

أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٥٧) من حديث أبي هريرة والحميدي في مسنده (١١٤٣) من حديث أبي هريرة.

داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير فراش لون على لون، على كل سرير امرأة من الحور العين. في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة، وعلى كل مائدة سبعون وصيفاً ووصيفة يعطي الله المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام، ويطوف على تلك الأزواج».

[٢٣١] طيور الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه لينظر إلى الطير في الجنة فيخبر بين يديه مشوياً والطير أمثال الإبل، فيقول الطير منها: يا ولي الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا، وأكلت من ثمار كذا وكذا، وشربت من ماء عين كذا وكذا وسني كذا وريحي كذا فكل مني، فإذا انتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع في نفسه وقع الطائر على ما يريد قبل أن يتكلم، نصفه قديداً ونصفه شواء، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة في الأكل، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور - وليس بهذا الكافور - وطعم الزنجبيل - وليس بهذا الزنجبيل - وعلى ريح المسك - وليس بهذا المسك - فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام، ويأكل مقدار أربعين عاماً ويعطي قوة مائة شاب في الجماع، ويجمع مقدار أربعين سنة، له في كل يوم مائة عذراء، بذكر لا يمل ولا يشتهي، وفرج لا يحثى ولا يمتني».

[٢٣٢] أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد، وأن النيل نهر العسل، ودجلة نهر اللبن في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيجان كذلك، وهما بأرض الهند، وهما نهرا الماء في الجنة، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة.

وذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مكتوب على باب الجنة أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها، إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله أعذب من قالها».

[٢٣٢] حديث «مكتوب على باب الجنة» أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها»
قال الله عز وجل: «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا
يعملون» [السجدة: ١٧].

[٢٣٣] سرر الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنه: وذلك أن ولي الله في الجنة على سرير والسرير
ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل «وفرش مرفوعة» [الواقعة: ٣٤] قال:
والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشاً
حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنهما من استبرق، ولو دلى أعلاها فراشاً
ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاماً.

[٢٣٤] أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون متراً من نور
وذلك قوله عز وجل «هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون» [يس: ٥٦]
يعني ظلال الأشجار، على الأرائك يعني الأسرة في الحجال، فبينما هو معانقها لا
تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاماً فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة
عليه تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتي من أنت؟ فتقول: أنا
من اللواتي قال الله فيهن «ولدينا مزيد» [ق: ٣٥] قال: فيطير سريره، أو قال:
كرسي من ذهب له جناحان فإذا رآها فهي تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من
النور فيعانقها مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نوراً
ساطعاً في داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أملك كريم زارنا، أم ربنا أشرف
علينا؟ فيقول الملك وهو على كرسي من نور بينه وبين الملك سبعون عاماً، والملك في
حجبه في الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول ما هذا
النور؟.

[٢٣٥] زوجة الدنيا

فيقول الملك: لزوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة إنها طلعت عليك
ورأتك معانقاً لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثنائها،
فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتي من أنت؟

فتقول له: يا ولي الله أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل فيهن ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] الآية. قال: فيطير سريره إليها فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهي إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة، لأن أولئك أنبتن نباتاً، فيعانق هذه مقادر أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلخلها من يواقيت، فإذا وطئت يسمع من خلخلها صفير كل طير في الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ ويشم من كفها رائحة كل طيب في الجنة وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خلقت من نور والحلل عليها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت وهو أخف عليها من النقش، وانه يرى مخ ساقها من صفائها، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد، والحلل مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر: ٧٤] وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤].

[٢٣٦] تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلاً، وكبدها مرآة، وهي على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المكنون ﴿عرباً أتراباً﴾ [الواقعة: ٣٧] العرب العاشقات لأزواجهن، والأتراب بنات خمس وعشرين سنة، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطلقاً لافتن كل بر وفاجر، فهي قائمة بين يديه فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها، ولو أطلعت من سقف بيتها إلى الدينار لأخفى نورها نور الشمس والقمر، عليها تاج من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان على يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها.

[٢٣٧] صفات الجمال

وتلك القرون قرن من نور وقرن من ياقوت وقرن من لؤلؤ وقرن من زبرجد

وَقَرْنٌ مِنْ مَرْجَانٍ وَقَرْنٌ مِنْ دُرٍّ مَكْلَلٍ بِالزَّمَرْدِ الْأَخْضَرِ وَالْأَحْمَرِ، مَفْضُضٌ بِالْوَانِ الْجَوْهَرِ، مُوشَحٌ بِالْوَانِ الرِّيحَيْنِ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ طَيْبٌ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ شَعْرَهَا، الْوَاحِدَةُ تَضِيءُ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَاماً، وَعَلَى يَسَارِهَا مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَلَى مُؤَخَّرِهَا مِائَةُ أَلْفِ ذَوَابَّةٍ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرَهَا، فَتَلْكُ الْقُرُونُ وَالذَّوَائِبُ إِلَى نَحْرِهَا ثُمَّ تَتَدَلَّى إِلَى عِجْزَتِهَا ثُمَّ تَتَدَلَّى إِلَى قَدَمَيْهَا حَتَّى تَجْرَهُ بِالْمَسْكِ، وَعَنْ يَمِينِهَا مِائَةُ أَلْفِ وَصِيفَةٍ كُلُّ قَرْنٍ بِيَدٍ وَصِيفَةٍ، وَعَنْ يَسَارِهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ وَرَائِهَا مِائَةُ أَلْفِ وَصِيفَةٍ كُلُّ وَصِيفَةٍ آخِذَةٌ بِذَوَابَّةٍ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرَهَا.

[٢٣٨] الوصائف

وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا مِائَةُ أَلْفِ وَصِيفَةٍ مَعَهُنَّ مَجَامِرٌ مِنْ دُرٍّ فِيهَا بَخُورٌ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَيَذْهَبُ رِيحُهُ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ، حَوْلَهَا وَلَدَانِ مَخْلُودُونَ شَبَابٌ لَا يَمُوتُونَ كَأَنَّهُنَّ اللَّوْلُؤُ الْمَشْتُورُ كَثْرَةً، فِيهِ قَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيِ وَلِيِّ اللَّهِ تَرَى إِعْجَابَهُ وَسُرُورَهُ بِهَا وَهِيَ مَسْرُورَةٌ عَاشِقَةٌ لَهُ، فَتَقُولُ لَهُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ لَتَزْدَادَنَّ غِبْطَةً وَسُرُوراً، فَتَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ لَوْنٍ مِنَ الْمَشْيِ فِي كُلِّ مَشْيَةٍ تَجْلِي فِي سَبْعِينَ حَلَةً مِنَ النُّورِ، وَإِنْ الْمَاشِطَةُ مَعَهَا فَإِذَا مَشَتْ تَتَمَایِلُ وَتَتَعَطَّفُ وَتَتَكَاسَرُ وَتَدُورُ، وَتَبْتَهِجُ بِذَلِكَ وَتَبْتَسِمُ فَإِذَا مَالَتْ مَالَتِ الْقُرُونُ مِنَ الشَّعْرِ مَعَهَا وَمَالَتِ الذَّوَائِبُ مَعَهَا وَمَالَتِ الْوَصْفَانِ مَعَهَا، فَإِذَا دَارَتْ دَرْنَ مَعَهَا، فَإِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلْنَ مَعَهَا، خَلَقَهَا الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلْقَةً إِذَا أَقْبَلَتْ فِيهِ مَقَابِلُهُ وَإِذَا وَلَتْ فِيهِ مَقْبَلَةُ الْوَجْهِ لَا تَفَارِقُ وَجْهَهُ وَلَا تَغِيبُ عَنْهُ، وَيَرَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا، إِذَا جَلَسَتْ بَعْدَ مِائَةِ أَلْفِ لَوْنٍ مِنَ الْمَشْيِ خَرَجَتْ عِجْزَتُهَا مِنَ السَّرِيرِ وَتَدَلِّي قُرُونُهَا وَذَوَائِبُهَا فَيَضْطَرِبُ وَلِيُّ اللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَضَى أَنْ لَا مَوْتَ فِيهَا لِمَاتٍ طَرِباً، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَرَهَا لَهُ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا خَافَةً أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ فَتَقُولُ لَهُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ تَمَتَّعْ فَلَا مَوْتَ فِيهَا. وَأَشْدُوا:

بحسبك يا عَمَّارُ مَنْ دَارَ بَلْغَةٌ	جَنَّانٌ بِهَا الْخَيْرَاتُ يَزْلَفْنَ فِي الْحَلْلِ
وَيَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْجَنَّانِ أَمَامَهُمْ	خِيَامٌ مِنَ الدَّرِّ الْمَجُوفِ فِي الْكَلْلِ
إِذَا بَرَزَتْ حَوَارِءٌ حَفًّا بِهَا الْبَهَا	وَأَشْرَقَتْ الْفَرْدَوْسُ وَالْقَوْمُ فِي شَغْلِ
يَعَانِقْنَ أَزْوَاجاً لِكُلِّ مَطْهَرٍ	عَلَى فَرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالْعَيْشِ قَدْ كَمَلِ

وطاف بها الولدان من كل جانب ونودني ولي الله يجزي، بما فعل

وقال غيره

يا خاطبَ الحوراء في خدرها	وطالباً ذاك على قدرها
انهض بعزم لا تكن دانياً	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	وحالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه	وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها	وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها	وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي	تراه في دنياك من زهرها

[٢٣٩] ضيافة الله

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا عن ذلك، إلى مرج أفيح فمد بينه وبين خلقه حجاباً من لؤلؤ وحجاباً من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسي النور ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذي قد أذن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا المجبول بيده والمعلم الأسماء، والذي أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيضت له الجنة آدم ﷺ أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذي أذن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذي اتخذه الله خليلاً وجعل النار عليه برداً وسلاماً إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا قد أذن له على الله عز وجل، فقيل: هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالاته وقربه نجياً وكلمة تكليماً موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مراكب النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوي تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له

على الله عز وجل؟ فقيل: هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد عليه السلام قد أذن له على الله عز وجل قال: فيجلس النبيون على منابر النور، والصديقون على سرر النور، والشهداء على كراسي النور وجلس سائر الناس على كئبان من المسك الأبيض الأذفر.

[٢٤٠] وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، يا ملائكتي انفضوا إلى عبادي فأطعموهم، قال: فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا أسقوهم يا ملائكتي، قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم النولؤ المتثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجدلذة آخرها كلذة أولها ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة: ١٩]، قال: ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا فكهوهم، فقربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذي أسماه الله، أشد بياضاً من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد، فطعموا وشربوا وفكها ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكها أكسوهم.

[٢٤١] كرامة الله لعباده

قال: ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوا، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري ووفدي أكلوا وشربوا وفكها وكسوا، طيبوهم، قال: فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفكها وكسوا وطيبوا، وعزتي وجلالي لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادي انظروا إلي فقد رضيت عنكم، قال: فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول: سبحانك سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً،

فناداهم الرب جل وعز: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل ولا بدار نصب وإنما هي دار جزاء ودار ثواب، وعزتي وجلالي ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشي.

[٢٤٢] سوق الجنة

وروي عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضي الله عنه، فقال له أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال له سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فتزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أذنانهم - وما فيها أذن - على كثران المسك والكافور وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلساً.

[٢٤٣] رؤية الله تعالى

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل؟ قال: «نعم هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟» فقلنا: لا قال: «فكذلك لا تضامون في رؤية ربكم تبارك وتعالى» ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ يذكره عدلاته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ قال: بلى فبسة مغفرتي نلت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط فيقول ربنا عز وجل: قدموا إليّ ما أعددت لكم من الكرامة، قال: فنأتي سوقاً من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان، ولم تنظر إليه العيون، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا فيها ما اشتيناه ليس يباع فيها شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلتقي أهل الجنة بعضهم

[٢٤٢] حديث «أسأل الله أن يجمع بين...».

أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق (٢٥٤٩). أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٦).

بعضاً، قال: فيلقى الرجل ذو المنزل المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يجزن فيها. قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبيبتنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله وبحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

[٢٤٤] المتحابون في الله

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المتحابون في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا أطلع أحدهم ملا حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا قال: فيقول أهل الجنة: أخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيخرجون فينظرون في وجوههم مثل القمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في جباههم بالنور هؤلاء المتحابون في الله».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة إذا زاروا ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لوناً ليس منهم حلة تشبه الأخرى، فإذا انصرفوا عن ربهم مرؤا في أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق والحريير والرفرف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاؤوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئاً وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور مكتوب في نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتني جعل الله حسنه على صورتني، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة قال: ثم ينصرفون إلى منازلهم».

[٢٤٥] خواتم الجنة

وقال النبي ﷺ: «إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد، ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم في داره دار السلام».

[٢٤٤] حديث «المتحابون في الله في الدنيا...». أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٧٣٤).

[٢٤٦] نوق الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال: بينا أهل الجنة يتحدثون في ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزومة بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسننها، ذلك من غير تهئية نجب من غير رباية عليها رحائل الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع إليهم، ثم يسلموا عليهم فيقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوره وتسلمون عليه، قال: فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسرون بها صفاء في الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبها، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتأخر من مكانها، فإذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا: ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام، فيقول لهم الجليل جل جلاله: وعليكم سلام مني وعليكم رحمتي وكرامتي، مرحباً وأهلاً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب وحفظوا وصيتي، فيقولون: لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك، ائذن لنا أن نسجد لك، فيقول: إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتكم إلي كرامتي.

[٢٤٧] أمانى أهل الجنة

وبلغ الوعد الذي وعدت لكم فتمنوا فإن لكل إنسان منكم ما تمنى، فيتمنون فيعطى كل واحد منهم ما يمني، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ إليه أمانيتهم، وأنشدوا:

يا راغب الحور الجمم	والدل والشكل وحسن الشيم
الناعمات الدائمات الرضى	في جنة الفردوس مأوى النعم
أرفض بدار زهرها زائل	واغتئم الصحة قبل السقم
وابدر إلى الرؤية مستبصراً	واعتنق الشهيد عند الظلم
واستغفر الله لما قد مضى	واستشعر الخوف وطول الندم
تفز بما تطلب من لذة	وتأمن البلوى وعقبى النقم

مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

[٢٤٨] قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: متنا وعزة الله، فعند ذلك

أيقن كل ذي عقل وروح أنه هالك. وأنشدوا:

أيضحك من للموت فيه نصيبُ وينعم عيشاً إن ذا لعجيبُ
ويأكل والأيام تأكل عمره وليس له جسمٌ لذاك يذوبُ
ومن عرف الرحمن لم يهن قلبه نعيمٌ ولم ينفك عنه نحيبُ
بعدت عن الورد الرضي بزلة وبى قطعت دون الوصول ذنوبُ

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] يموت كل صغير

وكبير، يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير،
يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي وتقى، يموت كل زاهد وعابد، يموت كل
مقر وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت
غير ذي العزة والجبروت. وأنشدوا:

ألا كل مولود فللموت يولد ولست أرى حياً عليها يخلدُ
تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت من الدنيا وأنت مجردُ
وأنت وإن خوّلت مالا وكثرة فإنك في الدنيا على ذاك أوحدُ
وأفضل شيء نلت منها فإنه متاعٌ قليلٌ يضمحلُّ وينفدُ
فكم من عزيز أعقب الذلَّ عزه فأصبح مذموماً وقد كان يحمدُ
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها وما بال شيء ذمه الله يحمدُ

[٢٤٩] ذكر الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثرُوا ذكرَ هازمِ اللذاتِ ومفرقِ الجماعاتِ،

[٢٤٩] حديث «أكثرُوا ذكرَ هازمِ اللذاتِ».

وتوسدوه إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم* يعني بما وكل به منكم، ويفسد نعيمكم، ويخرب مصانعكم ويفتنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فإنه لا ينساكم، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم. وأنشدوا:

يا جار أجابه شهوراً وجار أمواته دهوراً
ليس سروراً يعود حزنأ إذا تاملته سروراً

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تراب الأرض التي يموت فيها. وأنشدوا:

أمر على المقابر كل حين ولا أدري بأي الأرض قبوري
وأفرح بالغنى إن زاد مالي ولا أبكي على نقصان عمري
ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت، وأشغل نفسه بخدمة مولاة، وقدم من دنياه لأخراه، ورغب في دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها. وأنشدوا:

الموت لا شك آت فاستعد له إن اليب بذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به من التراب على عينيه مجعول

روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً»

[٢٥٠] حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله: ألا تجلس معنا نتحدث؟ فقال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي. وأنشدوا:

ما أغفل الناس عن وعيد قريبه الليل والنهار

= أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة وقال: حسن غريب. أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت (٤/٤) الشطر الأول منه - أكثروا ذكر هازم اللذات.

(*) حديث «أكثرهم للموت ذكراً...».

الطبراني الكبير (١٢ / ٤١٧) والصغير (٩٨٦) من حديث ابن عمر.

والعار ما جرّت المعاصي وليس في النائبات عار
ويحك ما تصنع المنايا تأتي فتغلى لها الديار
فلا قلوب لها عيون ولا عيون لها اعتبار

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن
تزهق، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم، والعلم بأنه قد زلت به القدم، إلّا أن يحوم
عقاب المنية عليه، ويفوق سهامها إليه، فإذا الندم لا يتفع، وإذا العذر لا يصنع،
وإذا النصير لا يدفع، وإذا الشفيح لا يشفع، وإذا الذي فات لا يسترجع، وإذا
البائس المحابي به في النجاة لا يطمع. فكأنني بك يا أخي وقد صرخ عليك
النسوان، ويكى عليك الأهل والإخوان، وفقدك الولدان ونفخ لفرقتك الجيران،
ونادى عليك المنادي قد مات فلان بن فلان. ثم نقلت عن الأحباب، وحملت إلى
أرماس التراب، وأضجعوك في محل ضنك، قصير السمك، مهول منظره، كثير
وعره، مغشى بالوحشة. عرفته مهول الصريح، مطبق الصفيح، على غير مهاد ولا
وداد، ولا مقدمة زاد ولا استعداد. وأنشدوا:

المـرء يـخـدعـه مـنـاه والـدـهـر يـسـرـع فـي بـلاه
يـا ذـا الشـيـبـه لا تـكـن مـمـن تـعـبـد هـوـاه
واعـلـم بـأن المـرء مـر تـهـن بـما كـسـبـت يـداه
والنـاس فـي غـفـلاتـهـم والمـمـوت دـائـرة رـحـاه
الـحـمـد لـلـلـه الـلـذي يـقـى ويـهـلـك ما سـواه

[٢٥١] سكرات الموت

روي عن النبي ﷺ أنه لما احتضر جعل يقول: «لا إله إلا الله إن للموت

[٢٥١] حديث «لا إله إلا الله...».

أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض الرسول (١٦٢٣) والإمام أحمد في
مسنده (٦/ ٦٤).

(*) حديث «اللهم هون علي سكرات الموت».

أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفاة النبي (٤٤٤٩) من حديث عائشة.

(*) حديث: «لو أن أتم شعرة...». قال العراقي: رواه أبي الدنيا في كتاب الموت والحديث مرسل =

لسكرات» وروي عنه عليه السلام أنه كان يقول - وعنده قدح ماء - عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة: «اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت».

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لमतوا أجمعين» لأن في كل شعرة ألم الموت، ولا يقع الموت ولا يحل في شيء إلا مات.

وروي أنه قال: «لو أن قطرة وضعت على جبال الدنيا كلها لزالَتْ». وأنشدوا:

تَقِظْ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
يَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ بِغَيْرِ زَادٍ!

[٢٥٢] آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك، ادخل في جوف رجل حتى إذا أخذت كلَّ شوكة بعرق، ثم جذبه رجلٌ شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. وأنشدوا:

أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ وَالْمَوْتَ نَحْوُهُ خَلَقْتَ لَهُ تَحْدُو إِلَيْهِ الرِّكَائِبُ
أَغْرَكَ حِلْمُ اللَّهِ أَمْ لَسْتَ مَوْقِنًا بِأَنَّكَ مَبْعُوثٌ غَدًا وَمَحَاسِبُ
بِأَيْسَرٍ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ وَإِنَّكَ مَجْزِيُّ بِمَا أَنْتَ كَاسِبُ

روي عن الحسن رحمه الله أنه قال: لما مات خليلُ الرحمن اجتمعت إليه أرواحُ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا: إن الله تعالى اتخذك خليلًا من بين سائر الأنبياء والرسل، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت؟

= حسن الإسناد (إتحاف ١٠ / ٢٦٢).

(*) حديث «لو أن قطرة وضعت...» قال العراقي: لم أجده أصلاً. هـ (١٠ / ٢٦٢).

[٢٥٣] طعم الموت

فقال: أواه، وجدته والله شديداً، والذي لا إله غيره هو أشد من الطبخ في القدور، والقطع بالمناشير، أقبل ملك الموت نحوي بكلوب من حديد فأدخله في كل عضو مني ثم استلَّ الروح من كل عضو حتى جعله في القلب، ثم طعن في القلب طعنة بحرته المسمومة بسم الموت فلو أني طبخت في القدور سبعين مرة لكان أهون عليّ. فقالوا: يا إبراهيم لقد هوّن الله عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع بالمخطئين!! كفى بالموت طامة. وإذا بجبريل ﷺ عندهم يسمعهم فقال لهم: يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت. وأنشدوا:

وما الناس إلّا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدوٍّ في ثيابِ صديق

[٢٥٤] داود والذرة

ذكر في بضع الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان في محرابه فإذا بدودة كالذرة، فقال داود في نفسه: ما يعبأ الله بهذه الدودة فأنطقها سبحانه وقالت: والله يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون علي الموت. وأنشدوا:

يحب الفتى طول البقاء وإنه على ثقة أن البقاء فناء
زيادته في الجسم نقص حياته وليس على نقص الحياة نماء
إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعضه ويطويه من بعد الصباح مساء
جديدان لا يبقى الجميع عليهما ولا لهما بعد الجميع بقاء

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم ﷺ لما مات: يا خليلي مت؟ قال: يا إلهي مت! قالها ورددها عليه ثلاثاً قال: يا خليلي كيف وجدت طعم الموت؟ قال: كسفودٍ حميٍّ جعل في صوف رطب ثم جذب. قال: أما أنت فقد هوّنا عليك الموت. وأنشدوا:

أرى المرء يبكي للذي مات قبله وموت الذي يبكي عليه قريب
وما الموت إلّا في كتابٍ مؤجلٍ إلى ساعة يُدعى له فيجيب

[٢٥٥] موسى وموعظته

وروي أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال: يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور حين يقلب على المقلابة، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير. وفي رواية أخرى قال: وجدت نفسي كشاة حية تسليخ بيد القصاب. وأنشدوا:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً هو السبيل إلى أن لا ترى أحداً
مات النبي فلم يخلد لأمته لو خلّد الله حيّاً قبله خلداً
للموت فينا سهامٌ غيرُ مخطئةٍ من فاته اليومَ سهمٌ لم يفته غداً
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها ألا ينافس فيها أهلها أبداً

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً».

[٢٥٦] نوح وخوفه

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلّاً من الموت، وهو المطلع.

وروي أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين: أدعوا الله أن يخفف عني سكرات الموت. وأنشدوا:

قد سقاك الهوى شرابَ الأمانى فاستطبت المقام تحت التداني
وتصأمت عن نداء الأمانى لاهياً عن وقائع الحدثان
وإذا عارضتك خطرة ذكر بادئك الطباع بالنسيان

[٢٥٧] سكرات الموت

وفي بعض الأخبار، للموت ثلاثة آلاف سكرة، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف وفي بعض الأخبار أن الدنيا كلّها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده إلى ما شاء منها فيتناوله ويأكله. بل الدنيا كله مشارقها

[٢٥٥] حديث «لو علمت الطير...».

دلائل النبوة، باب ما جاء في كلام الظبية التي فجعت بخشفها (٦/ ٣٤).

ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعواناً الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فزعاً منه حتى يردعوا، وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وفي كل ما خلق الله عز وجل البركة إلا في الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة وانقضاء المدة. وأنشدوا:

للمنايا رحي عليك تدور كلُّنا جاهلٌ بها مغرورٌ
رحم الله من بكى للخطايا كلُّ باكٍ فذنبه مغفورٌ

يا ابن آدم ما أغفلك وعن الصواب ما أبعدك، كأنك بالموت قد فاجأك وملك الموت قد وافاك، فيئس منك الطيب، وفارقك الحبيب، وتفجع لفقدك كل قريب. فوقعت في الحسرة، وجفتك العبرة، وبطل منك اللسان، بعد الفصاحة والبيان، وأدرجت في الأكفان وأزعجت عن الأوطان، وصار القبر مأواك، وإلى يوم القيامة مثواك. وفارقك الأهل والإخوان، ووقع بهم عنك السلو والنسيان، فإن كان لك منزل سكنوه، أو كنت ذا مال اقتسموه. وأنشدوا:

يا عجباً للأرض ما تشبّع وكلُّ حي فوقها يفجعُ
ابتلعت عاداً فأفتتهم ويعد عاد أهلكت بتبّعُ
وقوم نوح أدخلت بطنها فظهرها من جمعهم بلقُع
يا أيها الراضي بما قد مضى هل لك فيما قد مضى مطمَعُ

[٢٥٨] اذكر الموت

يا هذا اذكر ما وصفته، واحفظ ما حكيت، وعليك بالصوم والاجتهاد، والطاعة لرب العباد ومراقبته في الليل النهار، والتضرع إليه في ظلمات الأسحار. يا هذا عمرك أنفاس معدودة، وعليك رقيب يحصيها، لا تنس الموت فإنه لا ينساك. المبادرة المبادرة إنما هي أنفاس لو حبست عنك لانتقطع عنك عملك آخر الأبد، وخروج نفسك آخر الأمد وفراق أهلك آخر العدد. وأنشدوا:

إذا ما الموت جر على أناس كلا كله أناخ بأخيرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فاذكر حالك أيها الغافل، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل، قد زال عزك
عنك، وسُلِبَ مالك منك، وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لترايك، وأسلمت
إلى الدود، وصرت رهناً بين اللحود، وبكى عليك الباكون قليلاً، ثم نسوك دهنراً
طويلاً، فتغيرت منك المحاسن والمحلّى، وتحكم في أعضائك البلى، وقطعت في
الأكفان، وسعى إليك الديدان، فبلى منك اللسان، وسالت الحديق كأنك لم تكن
قط ممن رأى ولا نطق. وأنشدوا:

فلبو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بُعثنا ونُسأل بعدها عن كل شيء

ابن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك، وحال بينك وبين ما تريد، وأنت في
التزع والكرب الشديد، لا والد يدفع عنك ولا وليد، ولا عدة تنجيك ولا عديد،
ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد. أليس ذلك نازل بك على كل حال، أي وعزة
الكبير المتعال، فإنك الآن حين ينفعك البكاء والاستكانة، قبل حلول الحسرة
والندامة. وأنشدوا:

يا من يموت ويسأل عما يقول ويفعل
إن الموكل بالنفو س إذا أتى لا يمهل
والنار منزل من عصي والنار بئس المنزل

[٢٥٩] موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل، بينا أنت في فسحة ومهل، وتب إلى مولاك
من قبيح الخطايا والزلل، قبل أن يقال فلان عليل، أو مدنف ثقیل، فهل إلى دوائه
سبيل، أو على طبيب من دليل، فتدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك
ذلك إلا بلاء. وقد اجتمع عندك الإخوان والأحباء، والأهل والأقرباء، وكثر
حولك البكاء، ثم يقال حشرج ونفسه توشك أن تخرج، وأنت تعاین الأمر العظيم
بعد اللذة والنعيم، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم، وحل بك القضاء،
وخرجت الروح من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فيا لها من سعادة أو شقاء.
وأنشدوا:

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد

لكنك حقيقاً يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعدٍ
 فاستعذ من ذنوبك يا مسكين، قبل عرق الجبين، وانتشار العرقين، وقبل مد
 الشمال وقبض اليمين، وتضعيف قوتك بالأنين، ويكثر حوالبك البكا والحنين،
 وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في
 الشهور والسنين، ثم أنت في قبرك لعملك رهين، إلى يوم عرضك على أسرع
 الحاسبين. قد تغير جسمك في الجنادل والتراب، بعد تنعمك بدقائق الشباب.
 وأنشدوا:

من لم يطأ منا التراب برجله وطىء التراب بنضرة الخبد
 لو كشفت للناس أغطية البلى لم يعرفوا المولى من العبد
 من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بموضع البعد

[٢٦٠] أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش
 مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده، فإذا جاء أجل العبد سقطت
 تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت.
 وأنشدوا:

إني لعبت وحادي الموت في طلبي وإن في الموت شغل لي عن اللعب
 لو شممت مهجتي فيما خلقت له ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلي
 سبحانه ربي فلا شيء يعادله إنَّ الحريصَ على الدنيا لفي تعب
 لا تغترر بديار لا مقام بها واقصد لدارك إن الموت في الطلب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من يوم إلا وملكان يناديان، يا أهل الدنيا
 ولدتم للموت، وتبنون للخراب، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم». وأنشدوا:
 عجبت لجازع باك مصاب بأهل أو حميم ذي اكتساب
 شقيق الجيب داعي الويل جهلاً كأن الموت كالشيء العجاب
 وسوى الله فيه الخلق حتى نبي الله فيه لم يحايي
 له ملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب
 لمن نبني ونحن إلى تراب نعود كما خلقنا من تراب

ألا يا موت لم أر منك بُدأً أتيت فلا تحيف ولا تحايبي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيبُ على الشَّبابِ
قيل مر رجل على خراب فسمع إنساناً ينشد هذه الأبيات :

قل للذين بنوا دياراً عالية وتنافسوا والموت منهم دانية
شيدتموها راغبين وأنتم تردوا القبور وتركوها خالية
أين الملوك وأين ما قد جمعوا وجيوشهم وعبيدهم وزبانية
تحت التراب تقطعت أوصالهم وأكفهم بعد الأعنة بالية
ثم قرأ ﴿قل هو نأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ [ص : ٦٨].

[٢٦١] نوح وزهده

ذكر في بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام،
قال : فوجده قد عمل خصاً على البحر، فقال : أيش هذا يا نوح؟ فقال : يا جبريل هذا
لمن يموت كثير، فقال له جبريل عليه السلام : لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى
السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر، فقال نوح عليه السلام : ما كان على
هؤلاء إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا. وأنشدوا :

لو كنت تعقل يا مغرورُ ما برقت عيناك للناس من خوف ومن حذر
ما بال قوم سهامِ الموتِ تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدر

[٢٦٢] عيسى والجمجمة

روي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقدفها برجله وقال : تكلمي بإذن الله
تعالى . قالت : يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا، بينا أنا جالس في ملكي وعلى
رأسي تاجي وحولي جنودي وحشمي، إذ بدا لي ملك الموت فأزال مني كل عضو على
حياله، ثم خرجت نفسي فيا ليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة، وما كان من
ذلك الأنس كان وحشة. فما ظنك يا عاصي بصفحة ملك الموت إذا بدت وعابنتها
عند كشف الغطاء فتتظر إليها بطرف كليل وقلب وجل، ثم تسل الروح للخروج فلا
تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت بإحدى البشارتين : ابشر يا عدو الله بالنار، أو
ابشر يا ولي الله بالجنة . وأنشدوا :

يخيل لي بكاء القوم حولي وقولهم ألا أرف الرحيلُ
وما يغني البكاء إذا تقضى لدى عمري وإن كثر العويلُ
فخذ للموت أهبتة فأما نجاة بعد أو هول طويلُ

[٢٦٣] عمرو بن العاص عند موته

روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال لإبنه عند الموت: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني بما يجد، فقال له ابنه: قد نزل بك الموت فصاف لي الذي تجد؟ فقال لي: يا بني كأن جنبي في تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي إلى هامتي وكأنني أتنفس من سم إبرة. ثم مد يده وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، اللهم إني مقر مذنب مستغفر. ثم مات رضي الله عنه. وأنشدوا:

للموت فاعمل بجد أيها الرجلُ واعلم بأنك من دنياك مرتحلُ
إلى متى أنت في لهو وفي لعبٍ تمسي وتصبح في اللذات مشغلُ
كأنني بك يا ذا الشيب في كرب بين الأحبة قد أودى بك الأجلُ
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا وودّعوك وقالوا قد مضى الرجلُ
فاعمل لنفسك يا مسكين في مهل ما دام ينفعك التذكّارُ والعملُ
إن التقى جنانُ الخلد مسكنه ينال حوراً عليها التاجُ والحُللُ
والمجرمين بنارٍ لا خمود لها في كلِّ وقتٍ من الأوقات تشتعلُ

[٢٦٤] سليمان وملك الموت

روي أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبدأً، فدخل عليه يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت: يا نبي الله من هذا الداخل عليك آنفاً؟ فقال: ملك الموت، فقال له: لقد رأيته يجد النظر إلي، ولكن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تأمر الريح أن تحملني إلى الهند. فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت: وجدت عندي منذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظراً منكراً؟ فقال ملك الموت: كنت

أعجب منه، أمرت بقبض روحه في ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام.
فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند. وأنشدوا:

الموت بحرٌ يهاب المرء مورده وكل يوم له من كأسه جرْعُ
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجعُ
وكلُّ يوم علينا في فجائعه طيرٌ يحوم فلا ندري بمن يقعُ

[٢٦٥] سعيد بن المسيب والجني

روي أن سعيد بن المسيب دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت في
أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي ﷺ ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماةُ وأسلموني فوا أسفاً على فقد الحماةِ
تولُّوا للقبور فأسقموني فوا أسفاً على فقد الثقةِ

فأجابه هاتفٌ من ركن المسجد بصوت محزون، من كبد مشجون، وهو
يقول:

فدع عنك الثقةَ فقد تولُّوا ونفسك فابكها حين المماتِ
فكلُّ جماعةٍ لا بُدَّ يوماً يفرق بينهم وقع الشتاتِ

فقال سعيد: من أنت فقد زدني حزناً؟ فقال: أنا من مؤمني الجن، كنا في
هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك، ولم
يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك، وإنا بهم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه
راجعون. وأنشدوا:

جرت الرياحُ على جميع ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ
فأرى النعيمَ وكلَّ ما يلهى به يوماً يصيرُ إلى بلى ونفادِ

[٢٦٦] صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلي فقرأ هذه الآية ﴿كلُّ نفس ذائقةُ
الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]. وجعل يتدبرها ويردها،
فسمع قائلاً يقول: يا هذا كم تردد هذه الآية؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن
ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياةً من الله تعالى، ولقد ماتوا من ترديدك هذه
الآية. وأنشدوا:

ليس ينجو المقصوص من ملك المو
للمنايا وإنما للمنايا
كم رأينا من سادة وملوك
ت إذا جاءه ولا الطيار
خلق الطفل والشيوخ الكبار
ما على الأرض منهم ديار

[٢٦٧] العبد وربّه

حكى عن بعض العارفين أنه قال: إن الله سبحانه يسر إلى عبده سرّين يخبره
ذلك بإلهام يلهمه، أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه، يقول له: عبدي قد
أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نقيّاً نظيفاً، وسر عند خروج روحه، يقول له: عبدي ما
صنعت في أمانتي عندك؟ هل حفظتها حتى تلقاني على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك.
بالوفاء والجزاء، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب؟ وأنشدوا:

يا من تقدّم جدّه وأبوه
وغدا إلى دار البلى أتراه
ورأى مصارع إخوة وقراة
الأ أتيت قبورهم فسألها
فلتخبرنك أن أحكام البلى
وليخبرنك أنهم وجدوا الذي
ما زادت الحفاظ في أعمالهم
يا معشر الإخوان إن سيّلكم
ولكم نصيب في البلى كنصيبهم
ومحجب قد غرهم بحجابه
لكنهم سجّوه فوق سريره
ساروا به حتى إلى دار البلى
حتى إذا ما غيّته أكفهم
وتفرّقوا على بابهِ وتبدّلوا
وصديقه سكن الثرى وأخوه
ومضى إلى حفر القبور بئوه
بين الثرى في برزخ سكنوه
عنهم وعن ما في القبور لقوه
تجري عليهم هموا وطنوه
عملوه مكتوباً كما عملوه
مقال خردلة ولا نقصوه
كسيلهم في كل ما سلّوه
وكأنه قد حلّ فانتظروه
لما أتاه الموت ما حجبوه
وتكفّلوه بأربع حملوه
بيت له تحت الثرى قبره
بين الجنادل في الثرى تركوه
باباً سواه وغَيّروا ونسوه

[٢٦٨] عمر بن الخطاب وعظته

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أكثروا من ذكر هازم اللذات
فإنكم لا تذكرونه في قليل إلا كفى وأجزي، ولا في كثير إلا قلله.

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت، وبادروا آجالكم قبل الفوت،
تفوزوا بالجنان في دار الرحمن. وأنشدوا:

لملك الموت في الدنيا ديونُ تحل فليس يطلها المطولُ
وكلُّ العالمين بها مليُّ فليس له على أحد جميلُ
سواءً إذ يحلُّ على غريم عليه ذوو التعزز والذليلُ

فالله الله معاشر المسرفين لا تغتروا بالعز والمال، فإن الموت لا يهاب الكبير
الجليل، ولا يرحم الحقير الذليل، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح
الأعمال، من قبل أن يأتي يوم لا حيلة فيه لمحتال. يا إخواني إلى كم هذه
الغفلة؟ إلى كم هذا التمادي في البطالة والاغترار بالمهلة؟ وأنشدوا:

يا أيها الناس كان لي أمل قصّر عن بلوغه الأجلُ
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا كلُّ إلى مثله يتقلُّ
فليتق الله ربُّه رجُلٌ أمكنه في حياته العملُ

[٢٦٩] حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي ﷺ كان في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتاً في مجلس من
مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك، فخرج عليهم صلوات الله
وسلامه عليه حتى قام على رؤوسهم فقال: «أرى الضحك قد غلب على مجلسكم
هذا، أفلا تذكرون مُكَدَّرَ اللذات في أثناء حديثكم؟» قالوا: وما مُكَدَّرُ اللذات يا
نبي الله؟ قال: «ذكر الموت» فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم.

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصاييح الإسلام، وقادة الأنام، السادة
الكرام، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام وقد أفنوا أعمارهم في طاعة ذي
الجلال والإكرام، وقطعوا أيامهم في العمل بالسنة والأحكام، فكيف بمن تمادى
في المعاصي والإجرام والطغيان والآثام، وأكلوا الربا والحرام، وأموا الضعفاء
والأيتام؟ وأنشدوا:

الموت في كل حين ينشر الكفناً ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وزهرتها وإن توشحت من أثوابها المحننا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين همو كانوا لنا سكنا

سقامهم الدهر كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهناً
 فالله الله معاشر المذنبين لا تشغلوا عمن يطلبكم، ولا تنسوا من لا ينساكم،
 وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتي ساعة السكرات، والندم على
 ما فات، فهيئات هيئات ثم هيئات هيئات. وأنشدوا:

إسمع فقد أسمعك الصوت إن (لم) تبادر فهو الفوت
 بل كان ما شئت وعش سالماً آخر هذا كله الموت

يا أخي إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعت، ولا ينجيك ما اكتسبته، فامهد
 لنفسك قبل مفارقة الأحباب، والجيران والأصحاب، والخروج من الديار إلى
 منازل الدود والتراب وبيوت الوحشة والعذاب، إلا أن يعفو الملك الوهاب،
 فتفكروا يا أولي الألباب، يا معشر الشيب والشباب. وأنشدوا:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأعقبه يومٌ عليك شهيدُ
 فإن تك بالأمس اجتרכת إساءة فبادر بإحسان وأنت حميدُ
 ولا تبقِ فعل الصالحات إلى غدٍ لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدُ
 إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعودُ

[٢٧٠] ذكر الموت والعمل

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك في
 عمله» فيا إخواني أكثروا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم، ويرحمكم عند نزوله بكم.
 واجعلوا الموت عند منامكم (مهاداً) وعند قيامكم سهاداً. واستعدوا بكثير
 الحسنات، واجتناب الأوزار والسيئات. فرحم الله امرأً رحم نفسه، ونظر إليها
 وذكر رسمه. وأنشدوا:

نغص الموت ويحكم كل طيب ودهانني بفقد كل حبيب
 كم وكم قد رأيت من حدث السن عزيز كغصن بان رطيب
 حسن بالموت فائثنى بانكسار واضعاً خده بذل عجيب
 قائلاً إخوتي سلامٌ عليكم إذ دنت شمسٌ مذتي بالمغيب

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح

والحسد والرغبة» يا أخي لو كان عندنا علم أنه لا يموت منّا إلا رجل واحد لا يعلم من هو فينا، لكان الواجب علينا أن لا ترقأ لنا دمعة خوفاً من الموت، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد. وأنشدوا:

يلقى الفتى حذر المنية كارهاً	منها وقد حدثت به لو يشعر
نصبت حبالها له من حوله	فلإذا أتاه يومه لا ينذر
إن أمراً أمسى أبوه وأمه	تحت التراب لواجب يتفكر
تعطي صحيفتك التي أملت بها	فترى الذي فيها إذا ما تنشر
حسناتها محشوة قد أحصيت	والسيئات فأى ذلك أكثر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية، وقتل القرون الخالية، وهدم القصور العالية، عطل عشارهم، وخرب ديارهم، وهدم منازلهم، وقطع آثارهم، وقطف أعمارهم، ولم ينفعهم ما جمعوا، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا قد صاروا في القبور رميماء، ولقوا من الموت والأهوال أمراً عظيماً، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحداً من المخلوقين، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين.

[٢٧١] حكاية في الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأنشأ عليه، فقال رسول الله ﷺ: «كيف زهده في الدنيا وتركه لما يشتهي منها؟» قالوا: إنه ليصيب منها. قال: «فكيف ذكره للموت؟» قالوا: ما سمعناه يكثر ذكره. قال: «ليس صاحبكم هناك» فمن لم يكثر ذكر الموت، ولا يترك الرغبة في حطام الدنيا؛ فلا خير فيه والله أعلم. وأنشدوا:

إنما الدنيا بلاغٌ	ليس في الدنيا ثبوتٌ
إنما الدنيا كبيت	نسجت له العنكبوتُ
ليس للطالب فيها	كل يومٍ غير قوتٍ
كل من كان عليها	عن قليلٍ سيموتُ

فالله الله بادروا العمر اليسير، والأجل القصير، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب، ويذب الرقاب، ويرد كل مخلوق إلى

التراب، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المآب، ويسوق الفاجر العاصي إلى أليم العذاب، فتفكروا في الموت يا أهل الفناء والذهاب. وأنشدوا:

هل للفتى من عثار الدهر من واقٍ أم هل له من حمام الموت من راقٍ
قد رجّلوني وما بالشعر من شعثٍ ولبسوني ثياباً غير أخلاقٍ
وكفّنوني وقالوا أيّما رجلٌ وأدرجونني كأنني طيٌّ مخراقٍ
هوّن عليك ولا تولع بإشفاقٍ فإنما مالنا للوارث الباقي

[٢٧٢] عظة ابن مسعود

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عدّ غداً من أجله، فربّ مستقبل يوماً لا يستكمّله، ومؤمل غداً لا يبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره. فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها، وللنجوم قد آن أفولها.

[٢٧٣] الداء والدواء

روي أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إن بي داءٌ فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بشّ الداء داؤك، عد المرضي وأشهد الجنائز وتوقع الموت. قاله الله يا أعراض المنية، ويا أبواب الرزية، لا تنسوا الموت الذي كتبه الله على العباد، المخرب الأقطار والبلاد، وكونوا منه على حذر واستعداد، يا أبدان الأسقام، ويا أعراض الحمام. أنشدوا:

من كان يعلم أنّ الموت مدرجه والقبر منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات مستنشه يوم القيامة أو نار تنضجه
فكلّ شيء سوى التقوى به سمجٌ وما أقام عليه من أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

[٢٧٤] عظة عمر بن عبدالعزيز

روي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه كان يقول: أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما لا يزول، وإنما

الشيء من أصله، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد الأصل، فكل ما هو آت قريب. أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتصل فيكم المنايا ونهب للمصائب، ومعدن للنوائب، مع كل أكلة غصص، ومع كل شربة شرق، ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر فيكم معمر لا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن فالله الله يا إخواني لا تركنوا إلى طول الأمل، ولا تنسوا اقتراب الأجل، فالموت لا بد منه. وأنشدوا:

آه على سفرة بغير إياب	آه من حسرة على الأحباب
آه من سكرة بغير سراب	آه من رغبة بغير ركاب
آه من مضجعي وحيداً فريداً	بين فرش من الحصى والتراب

يا إخواني هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلدين، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين. وأنشدوا:

ليس دوام البقاء للخلق لك	من دوام البقاء للخلأق
غلب الموت حيلة كل محتا	لِ واعِي بدائه كل راق
عطفت شدة الزمان فأدت	ه إلى فاقة وضيق خناق
لا يفرنك الغرور من الدني	أ فمها شدائدُ بسياق

[٢٧٥] القرآن والموت واعظان

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تركتم فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً، فالناطق القرآن والصامت الموت» مساكين فلا بالقرآن عملتم، ولا في الموت تفكرتم، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ما عندكم من الموت خبر، ولا أنتم منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن، عامرة بخدوع الشيطان، كأنكم قد أمتتم الموت وطوارق الحدثنان. وأنشدوا:

ركبت جموح الغي في سبل الصبا لم تدر أن النائبات تنوبُ

وجررت أذيال البطالة لاهياً كأنك لم يكتب عليك ذنوبُ
 أمليت كُتَّابَ الشمالِ صحائفاً بكثرة ما تأتي ولست تتوبُ
 ومهما يغيب عنك الحمامُ لمدةٍ ستبلغها حتماً وأنت كئيبُ
 فقل لي إذا وافى على غير أهبة بأي جوابٍ إن دُعيتَ تجيبُ

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بأبائكم وأحبابكم، وجيرانكم وإخوانكم، فإن
 في ذلك بلاغاً لم تذكر، وعبرة لمن تفكر، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون ما
 تأكلون، ويلبسون مما تلبسون، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً،
 وصاروا بين أطباق الثرى خفوتاً قد قسم الوارثُ أموالهم، ونكح العدو والصديق
 عيالهم، وأهان العدو أطفالهم. قد هتكت منهم الأستار، واستوحشت منهم
 الديار، وتحدثت عنهم الأخبار. وأنشدوا:

رأيت الموت لا ييقي خيلاً على خل وإن عاشا زماناً
 فكُن منه على حذرٍ فلاني رأيت الموت لا يُعطي أماناً
 أنسنا غرةً منه كأننا بما نعني به يعني سواناً
 وكم للموت من دارٍ ودارٍ أبان عميرها عنها فباناً
 فكم ذي نخوة وعزيز قومٍ أذلَّ الموتُ عزَّته فهاناً
 كأننا قد نظرنا عن قريبٍ إلى ما قد وعدناه عياناً

[٢٧٦] شدة الموت

روي عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكرهه فقال: «هو أشد من
 ثلاثمائة ضربة بالسيف» فيا معشر الموقنين بنزوله ما هذه الفترة، وما هذه السكرة؟
 من ذكر الموت قل فرحه وحسده ورغبته.

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف بباب
 المسجد فأخذ بأعضاء الباب ثم صاح بأعلا صوته: «يا أيها الناس الموت الموت
 جاءكم الموت بالوحية سعادة أو شقوة، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة
 والكرامة الرابعة، في جنة عالية، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها
 ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت، جاءكم الموت بما
 جاء به بالخزي والندامة، والمكرمة الخاسرة في نار حامية لأولياء الشيطان من أهل

دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت، فسابق ومسبوق.

فالله الله يا إخواني كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين. وأنشدوا:

أراك بما ترضى به النفس والهوى	ويغضب منه الله صبرت تدين
وقلبك لا يزداد إلا قساوة	فداركه بالذكرى عساه يلين
فإن كنت في شك من الموت فاعتبر	بمن قد مضى يزداد منك يقين
كأنني بك استغرقت في غمراته	وجاءك من بعد الحراك سكون
وقد حشرجت في الصدر منك وأسلمت	بأدمعها تجري عليك عُيون
فقل لي إذا وُسِّدَتْ ويحك في البلى	وهيل عليك التَّربُّ كيف تكون؟!

[٢٧٧] تمنى الموت

عباد الله تذكروا أعماركم قبل الفوت، وتأهبوا لأحوال غصص الموت.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره» فإننا لله وإنا إليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته، وما ربحت تجارته. وأنشدوا:

نودي بصوت أيما صوت	ما أقرب الحي من الموت
كأن أهل الحي في غيهم	قد أخذوا أمننا من الموت
كم من صحيح عامر بيته	لم يمس إلا خارب البيت
كم وكم حي بكى ميتاً	فأصبح الحي مع الميت

[٢٧٨] دعاء مجرب

اللهم يا أكرم الأكرمين، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين، بتوبة تنقلنا من دُء المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصي، وفي قبضتك القلوب والنواصي، فطهر قلوبنا بماء

التوبة، واغسلها من دنس الحوبة ومتعنا بالسلامة في ديننا ودنيانا ما أبقيتنا، ولا
تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وخير
المرسلين، واحشرنا تحت لوائه أجمعين، على مناجاه وستته غير مبدلين ولا
مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين، يا أرحم الراحمين،
﴿وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس: ١٠] ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم. والله اعلم.

مجلس في موت الأنبياء والأولياء الصالحين

[٢٧٩] وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور، على الملك الغفور، فاستعدوا لذلك المقام، واجتنبوا الأوزار والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام.

[٢٨٠] صفة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت غصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى». وأنشدوا:

يا من سينأى مسرعاً	كما نأى عنه أبوه
مثل بقلبك قولهم	جاء اليقين فلقتوه
وتحللوا من ظلمه	قبل الفراق وودّعوه

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم في الباطلات، ولا تفنوا أيامكم في الجهالات، واذكروا الموت مفرق الأحباب، وقاطع الأنساب، ومذب الرقاب، وقاصم الجبابرة والأرباب، مهلك الآباء والأمهات، وقاتل الأخوة والأخوات، ومبيد الجيران والقربات الموت يقطع أموالكم، ويغير أحوالكم، ويرمل نساءكم وييتم أطفالكم فلا يبقى منكم خليلاً ولا حبيباً، ولا جاهلاً ولا أديباً. وأنشدوا:

الموت أفنى من مضى	والموت يفني من بقى
والموت يجمع في الترى	بين المنعم والشقى

يا مسكين أنفقت مالك في بنيان الدور، وتشيد القصور، ونسيت الموت
والتحول إلى ظلمة القبور، ثاوياً، فيها إلى يوم النشور وأنشدوا:

ألا للخراب بنى العامرونا وللموت ما ولد الوالدونا
وعما قليل يرى الآخرو ن عجائب ما قد رأى الأولونا
ويشقى أناس بما جمعوا ويسعد بالقللة الزاهدونا
ولا يرحمون إذا ما بكوا ولا يرتجي الرحمة الظالمونا
ويسأل قوم هناك الرجو ع فلا يرجعون ولا يكرمونا

اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنية، يا ابن آدم الرقاد والله تحت
التراب، خير لمعصيتك لرب الأرباب.

[٢٨١] عظة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كفى بالموت واعظاً، وكفى بالعبادة شغلاً،
وكفى باليقين غناء» واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم،
وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم، ثم يجمعون في عرصة القيامة، لوقوع
الحسرة والندامة، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون، ويحال بينكم وبين ما
تشتهون، ويحقيق بكم ما كنتم به تستهزؤون. وأنشدوا:

كل حي وإن بقى فمن الموت يستقي
فأعمل اليوم واجتهد بادر اليوم يا شقي

[٢٨٢] أبو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية رحمه الله أنه دخل يوماً على الرشيد فقال له الرشيد:
أنشدني، فقال: اجعل لي الأمان، قال: أنت آمن فأنشأ وأنشد:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفس وإن تسترت بالحُجَّاب والحرَمِ
واعلم بأن سهام الموت قاصدةٌ لكل مدرع منا ومترسٍ
ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوبك الدهر مغسولٌ من الدنسِ

[٢٨١] حديث: «كفى بالموت واعظاً...».

شعب الإيمان لليهقي، باب في الزهد وقصر الأمل (١٠٥٥٦) من طريق ابن ياسر.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس
 فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يترك منكم أحداً، ولا يرحم والدًا ولا
 ولدًا، فاجعلوه بين أعينكم منصوباً، فإنه لا يترك الفرح كثيراً مكروباً، فيقيننا يقين
 من يموت، وأعمالنا أعمال من لا يموت، كأن يقيننا بالموت مشوباً بالشك، وكأن
 إيماننا بالبعث ممزوجاً بالإفك، ما هذه حال من أيقن بالحمام، يعصي مولاه في
 الليالي والأيام. وأنشدوا:

نحن من العمر في ظنون وفي يقين من المنون
 ثم لا نذكر المنايا أليس ذا غاية الجنون

[٢٨٣] مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: رأيت في المنام رجلاً وهو في برية وأمامه
 غزالة وهو يجري خلفها وهي تفر منه، وأسد كأعظم ما يكون خلقه وقد هم أن
 يلحقه، والرجل يزد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه، ثم يجري خلف الغزالة
 حتى لحق به الأسد فقتله. فوقفت الغزالة، تنظر إليه وهو مقتول، إذ جاء رجل آخر
 قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة، فخرج آخر ففعل كذلك،
 قال: فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عدت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة،
 فقلت: إن هذا لعجب! فقال الأسد: مم تعجب؟ أو ما تدري من أنا ومن هذه
 الغزالة؟ فقلت: لا، فقال: أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا، وهؤلاء أهلها
 يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتي على آخرهن. فاستيقظت فزعاً
 مرعوباً وأنشدوا:

حتى متى وإلى متى نتواني وأظن هذا كله نسيانا
 والموت يطلبنا حيثما سرعاً إن لم يزرنا بكرة مسانا
 إننا لنوعظ بكرة وعشية وكأنما يعني بذاك سوانا
 غلب اليقين على التشكك في الردى حتى كأنني قد أراه عيانا
 يا من يصير غداً إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخلانا
 إن الأماكن في المعاد عزيزة فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
 وانظر لنفسك إن أردت تعزها قبل الممات ولا تكن مهوانا

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها. حتى ينفياها عن آخرها وإنما أعمارها عوارٍ والعارية لا تبقى، يرجع الكلُّ إلى الله تعالى بفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين، فشقي وسعيد، ومنعم ومعذب. وأنشدوا:

وما أهل الحياة لنا بأهل ولا دارُ الفناء لنا بدارٍ
وما أموالنا إلا عوارٍ سيأخذها المعيرُ من المعسارِ

[٢٨٤] ملاقات الأرواح

روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب في الدنيا، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان وما حاله؟ فيقول: بخير تركته والله على طريقة حسنة. فيقولون: يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول: قد هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا، ذهب والله به إلى أمه الهاوية بثست الأم وبثست المريبة.

[٢٨٥] أعمال الأحياء والأموات

قال رسول الله ﷺ: «تعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا خيراً استبشروا به وقالوا: اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا: اللهم راجع بعبدك» قال رسول الله ﷺ: «فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم» فالله عباد الله اجتهدوا في اكتساب الحسنات، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات. واعملوا في صحتكم قبل السقم، وقدموا في شبابكم قبل الهرم، فإن الموت إذا جاء لا يرجع، وسهامه إذا فوقها لا تدفع، وكأسه إذا أدارها لا تنزع، حياضه مورودة، وساعاته معدودة، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة. وأنشدوا:

والموت يفني جمعنا ويبيد	الموت حتم حوضه مورود
وله على تنفيذ ذاك جنود	والموت يحكم في النفوس بحفها
قد عززته عساكر وجنود	والموت يفسد مهجة الملك الذي
جبا لدار زهرها معقود	وقلوبنا في كل ذا مشغوفة

والى متى تهوى الذي هو هلكها وإلى متى لا تنثني وتعود؟

الله يا أعراض المنية، يا أبواب البلية، يا معادن الرزية. أفيقوا من هذا الوسن، قبل أن تزودوا من أموالكم بحنوط وكفن. إذا تبرأ منكم الحبيب، وأنكر معرفتكم القريب، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبي وغريب. وأنشدوا:

الموت بابٌ وكلُّ الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار؟
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار

[٢٨٦] المثابة

يا أخي بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع؟ فبادر ما دمت في فسحة من العمر، قبل أن يضيق عليك الأمر، لو صبح بك الليلة أجب الداعي أما كنت نادماً على ما قدمت، وباكياً على ما فرطت؟ وأنشدوا:

الموت بحر طامحٌ موجهٌ تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنني قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح
ما يعجب الإنسان في قبره مثل التقى والعمل الصالح

فالله عباد الله استعدوا للموت، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان وأيتم الولدان، وفرق الإخوان، فوالله يا أيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان، لو لم يكن ماء ولا ظلال، ولا جواب ولا سؤال، ولا نعيم ولا ثواب، ولا جحيم ولا عقاب، لكان في الموت وسكرته، والقبر وظلمته، واللحد وضغطته، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب فكيف ومن وراء ذلك هول مهول، وشرح يطول، من الصور ونفخته، والنشور وروعته والصراط ورقته، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه. فما يكون جوابك أيها المغرور، إذا وقفت بين يدي العالم الغفور، الذي يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور؟ فأظهر لك قبائحك، ونشر لك فضائحك، واستشهد عليك جوارحك، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين. عفا الله عنا أجمعين، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين آمين رب العالمين. وأنشدوا:

من كان يرجو أن يعيش فلإنني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقاً

في الموت ألف فضيلة لو أنها عرضت لكان سيّله أن يعشقاً
[٢٨٧] قبض أرواح الصالحين

ذكر في بعض الأخبار عن بعض السلف الأخيار عن النبي المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه، وهو التقي لأنه بالتقوى كرم عليه، دعا بملك الموت فقال: اذهب يا ملك الموت إلى عبدي فلان فأتني بروحه ليرتاح عندي فحسي من عمله أنني قد بلوته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به ويهبط في أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك إلا ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولي، وليس منهم ملك يدري ما مع صاحبه من البشارة، وليس منهم ملك إلا ومعه صباير من الريحان - يعني حزماً من الريحان - من ريحان الجنة، فإذا هبطوا أحدقوا بولي الله، وجلس ملك الموت عند رأسه ونفث في وجهه سم الموت فصرعه ويقول له: يا ولي الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار وليست لك بوطن ولا بد لك يا ولي الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك، قال: فملك الموت اللطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها. فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التي أرسلهم الله بها إليه، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صباير الريحان الذي جاؤوا به، فإذا خرجت نفسه لفها ملك الموت في ذلك الأبيض والمسك الأذفر، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشرّوه عند جسده عند أهله.

[٢٨٨] ملائكة الرحمة

فإذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام في سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج به حتى يضعه بين يدي العجبار تبارك وتعالى، فيقول جل جلاله وتعالى - ليس كمثله شيء - لجبريل عليه السلام: اذهب فدع ولي الله في سدر مخضود وطلح منضود. فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاؤوا مع ملك الموت فيجلسوا صفيين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار، وإذا أدلي في قبره وحنى عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة فكانت عن يمينه، وجاءه الصوم فكان عن شماله

وجاءه ذكر الله تعالى وتلاة القرآن فكانا عند رأسه، وجاءه مشبه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجله، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلساً فيجلس في ناحية من نواحي قبره، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه، فتقول له الصلاة: إليك عني لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، ثم يأتي عن شماله فيقول الصيام: إليك عني لا سبيل لك إليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ثم يأتي عند رجله فيقول له مشبه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة: إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، قال: فلما لم ير شيئاً انقمع ودخل في الموضع الذي خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء: أما إذا كفيتموني عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب.

[٢٨٩] سؤال الملكين

قال: ثم يخرج الله إليه منكراً ونكيراً وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنبياهما، ويطآن في أشفارهما. كلاهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، وأنفاسهما مثل لهب النار، وألوانهما مثل الليل المظلم. فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: قد علمنا أنك ستكون مؤمناً فيفتحان له باباً إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النقرة والعذاب، قال: فيرفعان ذلك الباب دونه ثم يقولان له: لا تخف يا ولي الله من هذا الباب أبداً، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذي لا زوال له ولا انقطاع فيقولان له: يا ولي الله هذا دارك وقرارك ومنزلك.

[٢٩٠] نعيم القبر

قال: فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها ويردها يوسعان له قبره مد بصره، ثم يقولان له: يا ولي الله نم فينام نوم العروس في حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وحرمه، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصير على ذنبه إلى هذا الولي الذي

صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلاً إليه؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلاً إليه، فلو لم يكن بطاعة الله عاملاً لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل، فالهلاك والخزق له حاصل، والعذاب والذل إليه واصل، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه، لأنه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسده وكل موضع. أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه في كتابه، فإنما هو تحذير من عذابه. وأنشدوا:

الموت أنساً للمطيع وأصلحُ والموت أطيّبُ للتقيِّ وأنجحُ
والموت أقرب للجنانِ طريقةً والعبدُ يكرمه الإله ويمنحُ

[٢٩١] سليمان وملك الموت

ذكر في بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان لم ير سليمان قط أتم خلقاً منه، فقال: يا عبدالله ما أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها، أدخلني من هو أملك لها منك ومني، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله، فقال له: من أنت من ملائكة ربي؟ قال: أنا ملك الموت. قال: فسمعوا من كلامه جلبة فصعق سليمان من خوفه ومن كان معه في البيت، فقال ملك الموت: يا رب إن عبدك سليمان ونيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلي فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن ضع يدك في صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى، قال سليمان: يا ملك الموت أترى خلق الله في السموات والأرض مثلك؟ فقال ملك الموت: يا نبي الله والذي بعثك بالحق إن رجلي الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد خرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحاً فاه رافعاً صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطاً يديه لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش، وأن فوقه ملكاً قائماً قد أدخل رجليه تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه

مسيرة ألف عام فاتحاً فاه، وأن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسفلى تحت الثرى لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما في جوفه، وأن الله ملكاً عنقه مثني تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلي هذين الملكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه. لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله في السموات والأرضين في أنفه سوى العرش، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل، وأن الله ملكاً باسطاً كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعاً صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش. فقال سليمان ﷺ: يا ملك الموت أكف عني فلقد وصفت أمراً أتخوف أن تطير روحي ولا تثبت نفسي ولا أطيق سماعه، فكف ملك الموت، فعندها قال سليمان عليه السلام: يا رب متى ألتقي مع الأحبة، يا رب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا. فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام. وأنشدوا:

الموت مُرٌّ والعيشُ هُمٌّ	فأي هذين لزم
وقد تعجبت إذ هنأ لي	عيش وعندي بالموت علم
أنقل رجلي من كل دار	خوف المنايا والأرض سم
والروح مستوفز بجسمي	له على الانتقال عزم

فكانكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم، ونغص عليكم شهواتكم، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق، ولا أخ شقيق، ولا والد شفيق.

[٢٩٢] نداء الموت

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: ما من يوم إلا وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجلوا عجلوا لأن أهل القبور محبسون من أجلكم، اتركوا ما جمعتم، وخرّبوا ما بنيتم، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة، زينتم الدور ونسيتم القبور. اذكروا القبر ووحشته، والموت وسكرته، والصراط ودقته. والموت سكرة في سكرة، وحيرة في حيرة وجذبة يا لها من

جذبة. فالمسكين يكابد غصص المنون، داهش العقل كالمحزون. فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم. وانتبهوا من نوماتكم، واستيقظوا من غفلاتكم، قبل نزول المنيّة، وحلول الرزية، ووقع البلية. حيث لا مال نافع، ولا حميم شافع، ولا فرح واقع، ولا رجاء طامع، ولا حسنة تزداد، ولا حياة تعاد، ويزودك أحبابك بالصراخ، ويكثرون عليك البكاء والنواح، فلا عثرة تقال، ولا رجعة تنال. وأنشدوا:

ألا إن أيام الحياة مراحـل	طريق الفتى منها إلى الموت ساحل
يسر بما يمضي لما هو آمل	ويأتي الردي (من) دون ما هو آمل
وما يومه إلا غريمٌ محكمٌ	إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل
عصبت لمن يبغي السلامة جاهداً	ومر الليالي كلهن غوائل
ونحن بنو الأيام نظلم نفوسنا	ونرجع وهي القاتلات الثواكل
ومن لحظ الدنيا بعينٍ بصيرة	رأى عينها في نفسه وهو شائل

[٢٩٣] عظة من الغفلة

أيها الإنسان - وكلنا ذلك الإنسان - استيقظ من غفلتك، وهب من رقدتك. قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجمع الدواء، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء. ثم يقال: فلان قد أوصى وجميع ما له قد أحصى. قد تبرأ من الدنيا وعلائقها، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها. ثم ضعف جنانك، وثقل لسانك، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك، وكثرت خطوبك، وعظمت كربك، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك، واشتدت الأحزان، وعلا صراخ النسوان، وحزن الصديق الودود، وفرح العدو الحسود، ثم يقال لك: هذا ولدك الصغير وهذا الكبير، وهذه بنتك الكبرى، وهذه شقيقتها الصغرى، فلا ترد عليهم جواباً، ولا يستطيع لسانك خطاباً، ثم اشتد بك النزع والسياق، إذا التفت الساق بالساق، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف، يجازيك على ما قدمت في سالف الأيام، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام. وأمر بك إما إلى جنة عالية، ذات نعيم وخلود، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود، وزودت من مالك حنوطاً وكفنّاً ونزلت في رمسك بعملك مرتهاً. وانصرف أهلك لقسمة ما خلّفت من الأموال، وما سعت فيه من الحرام والحلال. وأنشدوا:

أبقيت مالك ميراثاً لوarithه فليت شعري ما أبقي لك المال؟
القوم بعدك في حالٍ يسرههم فكيف بعدهم صارت بك الحال؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ واستحكم القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوال
قال رجل من الصالحين: رأيت رجلاً قد مات ووراثه يختصمون في ميراثه
قبل أن تخرج جنازته، فقلت هذه الأبيات المتقدمة.

[٢٩٤] نداء الملك

ذكر في بعض الأخبار أن تحت العرش ملكاً ينادي كل يوم وليلة، الويل ثم
الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر. فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا
ترحموا، وأكرموا قبل أن لا تكرموا. واذكروا الموت وما بعده من عظيم الأحوال،
واستعدوا له بذخائر الأعمال وأنشدوا:

أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاتبه وأعتب دنياه على من يشالبه
ونحن نرجي الخلد في غير دارنا وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنية منهلٌ نسير إليه والليالي ركائبه
كفى سالباً للمرء يومٌ وليلةٌ ومن يلبس الأيام فهي سوابه
فلا تأمن الدهر الخئون فإنما هو اليوم سلمٌ ثم حربٌ عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً، وإنما خلقكم
لتعبده وتوحدوه وليميتكم ويبعثكم بعد الموت، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به
على طاعته. وما خلق الدنيا إلا للزوال، وجعلها دار ابتلاء واختبار، وسجناً
لأوليائه، وجنة لأعدائه. فراحة الأولياء الموت، وعذاب أعدائه الموت، لأن
الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم، والعيش المقيم والأعداء إذا ماتوا صاروا

[٢٩٤] حديث «الويل كل الويل لمن ترك عياله...». أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٥٣). وذكره الحافظ الذهبي في الميزان (٣/ ٣٨٥) في ترجمة قتادة بن الوسيم ثم قال على هذا الحديث «هذا وإن كان معناه حقاً، فهو موضوع، رواه عن قتادة إبراهيم بن أحمد، العسكري، مجهول مثله». اهـ. وانظر كشف الخفا (٢/ ٣٤٦) والسلسلة الضعيفة (١٦٥٨).

إلى العذاب الأليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

ومتتظرو للموت في كل ساعة	يشيد وينني دائماً ويحصن
له حين تبلوه حقيقة موقن	وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان كأنكار وكالجهل علمه	بمذهبه في كل ما يتيقن

[٢٩٥] حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخاً من تيماء كان يجلس إليه أصحابه ، فإذا كان عند قيامهم عنه قال : قوموا قيام من قد يشوا من المعاودة حذراً من القاطف للنفس ملك الموت ، ثم يبكي ويبكوا حوله . وأنشدوا :

وكن مستعداً لداعي المنو	ن فكل الذي هو آت قريب
وقلبك داوى المريض الطيب	فعاش المريض ومات الطيب
يخاف على نفسه من يتو	ب فكيف ترى حال من لا يتوب

ان من الشعر لحكمة !!

[٢٩٦] خشية عيسى من الموت

روي أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله ! يا اخي يا غافل مثلي يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك؟؟ فالله الله يا إخواني لا تغتروا بصحة الأجسام ، ومداومة الأيام ، فإن الموت يأتي في ألهى ما أنت عليه في الدنيا وألذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمناً	أنته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة	فراراً ولا منه بحيلته امتنع
وقرب من قبر فصار مقلبه	وفارق من قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغني لماله	ولا معدماً في المال ذا حاجة يدغ

[٢٩٧] حديث في ملك الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «إن ملك الموت ينظر لوجه العباد في كل يوم

سبعين مرة، فإذا ضحك العبد الذي بعث لقبض روحه يقول له: يا عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك، فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين، وهو يضحك ويلهو. وأنشدوا:

ضحك الفتى من عجبه جهالة والموت يطلبه حثيثاً مُسرِعاً
والموت لا يدع الجهول لضحكه إلّا رماء بهمه فتفجعاً
فتفلقت أوصاله لنزوله وتفتت العظم الصليب توجّعاً
وبكى لفرقة ماله وعياله ومضى إلى دارِ البلى متضرّعاً

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل، فإن للموت غاد ورائح، وماس وصباح، وأنت يا أخي منه على يقين وتحقيق، فلم تحد عن منهاج الطريق؟.

[٢٩٨] نداء للميت

ذكر في بعض الأخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك، أين صوتك الشجي ما أخرسك، أين ريحك العطر ما أنتنك، أين حركاتك ما أسكنك، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصياً، والبشرى لك إن كنت طائعاً، وتناديه الملائكة إذا وضع في القبر: يا عبدالله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك، أنت استعددت للمنية أم المنية عافستك خلقت من التراب، وأعدت للتراب. وأنشدوا:

خلقت من التراب بغير ذنب وعدت إلى التراب ولي ذنوبُ
فمالي لا أجاهد في خلاصي بعزم للمعاصي لا أتوبُ
ومالي أثقلت ظهري ذنوبُ ومنهالاً لا أمل ولا أنيبُ
ومالي لا أرق لسوءِ حالِي ومن نفسي عليّ غدا رقيبُ
ومالي مبعّد مقصّي طريدُ وفي كل القبائح لي ضروبُ
وكم بالبرّ تسويفي ومطلّي ولا أدري متى تأتي شعوبُ
فيا من ليس لي ربّ سواه عليمٌ بالذي أدعو يجيبُ
تجاوز يا إلهي عن ضعيفٍ بغفرانٍ لعلّي عسى أتوبُ
وهب لي ذلتي وعظيم جرمي فأنت الواحد الفرد القريبُ

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت، وتفكروا فيه قبل الفوت، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف، والندامة على ما قد سلف، إلا أن تنزل به المنية، غدوة أو عشية، فعظ نفسك قبل حلول الرزية. وقيل في قول الله تعالى: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ [المنافقون: ١٠] قيل الأجل القريب عند كشف الغطاء، يقول العبد عند الموت: يا ملك الموت أخرني يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسي، فيقول ملك الموت: فנית الأيام فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فנית الساعات فلا ساعة، فيقول: اتركني أتكلم، فيقول: فرغ كلامك فلا كلام. فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال، ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره، فإذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدرکه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

[٢٩٩] سؤال الرجوع للعالم

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل: ﴿فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] فالله الله بادروا قبل حلول الأجل، وانقطع الأمل من صالح العمل، وفراغ الأنفاس، وورود الأرماس ولا ينفعك حبيب ولا حميم، ولا ولد ولا والد رحيم، قد أحاطت بك الخطوب، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك، ونكح العدو أو الصديق عيالك. وأنشدوا:

أرى الأزواج تنكح إن هلكت	ويقسم وارثي ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل	إذا انقطع الرجاء مني ومت
وينساني الصديق فما يبالي	أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بي رجلاً من سفاه	وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل إلا على ما	من الأعمال في الدنيا عملت
فيذا العرش عفواً عن ذنوبي	وعن زللي وما كنت اجترمت
وشفع في نبيك حين أدعى	غداة العرض إن تفعل نجوت

روي عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما روي صاحكاً مستبشراً حتى قبضه الله تعالى.

[٣٠٠] ٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر في بعض الأخبار أن الله تعالى خلق في الأرض مما برأ وذراً ثمانية وأربعين ألف قبيلة، فجعل في البحر ثمانية آلاف قبيلة، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الرياح، ليس منها دابة صغرت أو كبرت في الأرض أو بين السماء والأرض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى، فملك يهيء لها رزقها بإذن الله ويسوقها إليك، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها. فسبحان من له الملك والتدبير.

عباد الله فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فإن الموت يطلبكم بالليل والنهار، والعشى والأبكار، فاجتهدوا في الحسنات، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات. قبل نزول الموت والندم، فالموت لا يترك ملكاً ولا أميراً، ولا حاجباً ولا وزيراً. وأنشدوا:

قد صرف البواب والحاجب	وقهرمان الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم	بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهد من بعده	ألفاً سواه وكذا الكاعب
وجد في تفريق ما لم يزل	يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة	يا زاهداً فيها ويا راغب
فإنها أم لأبنائها	منها عدو قاتل سالب

[٣٠١] رحمة الله بالمسرفين

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفاً على نفسه فدعي لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال: لقد استحييت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصلت عليه. يا مسكين مثلي اعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار. فترجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه. وأنشدوا:

أفني كل يوم للمنية أقرب وكل الذي آتیه يحصى ويكتبُ

فيا سواتنا قد آن وقت ترحلي وها أنا في الميدان ألهو وألعبُ
فإن لم تجد بالعمو منك عن الذي جتته يدي إنني إذا لمخيّبُ

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفاً على نفسه ما ترك ذنباً إلا ارتكبه، ولا شراً إلا اكتسبه، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال: إنه قد نزل بي ما ترى فإذا مت فادفني في زاوية من زوايا بيتي فقد أذيت جيرانني في حياتي وما أحب أن أضرب بالموتى بعد وفاتي. فرؤي بعد موته في المنام في حالة حسنة فقليل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا عبدي هجروك جيرانك حقاً عليك، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك، فوعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكاني ما ضاقت رحمتي عنك، عبدي هذه خلع مغفرتي ومنازل جنتي وخاتم أمانني وسجل إحساني وأنا الغفور الرحيم.

[٣٠٢] حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله: قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين. فالله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات، ووقوع الحشرات واجتهدوا فإن الموت آت، وكل آت فهو قريب. قد آن وكلما آن فقد حان. وأنشدوا:

آمل أن أخلّد والمنايا يثبن إليّ من كل النواحي
ولا أدري إذا أمسيّت حياً لعلّي لا أعيشُ إلى الصباح

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها، وساعاتكم مناهل تردونها، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار لا يؤخر من فقدت ساعاته، وفرغت أيامه وأوقاته.

[٣٠٣] حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال: خرجت يوماً لزيارة القبور فإذا يقوم يحملون جنازة فتقدمت إليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنعست نعسة فأتاني آت فقال لي: قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه، فانتبهت مرعوباً فأخبرت بذلك أم الميت فقالت: الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفاً على نفسه، فلما نزل به الموت بكى وقال لي: يا أماه ضعي خدي على الأرض والتراب ففعلت ذلك، فقال: ضعي قدمك على خدي وادعي الله واستوهبيني منه فلعله يرحمني وإقلمي

فص خاتمي وتصدقي بثمانه فعسى الله يرحمي. فقلت لها: قد غفر الله له ورحمه، ثم أخبرتها بالذي رأيت. فالحمد لله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم ففساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم. فذلك عليه يسير، وهو على كل شيء قدير وأنشدوا:

رأيتُ المرءَ تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
ولا تجد المنيّة حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيدِ
فلا تغفل - فديتك - عن منونٍ تدور رحاهُ بالهولِ الشديدِ

فكانكم بالأعمال قد انقضت، وبالدنيا قد مضت، فاستعدوا بذخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال، وقد نودي فيكم بالتحويل، وقد قرب منكم الرحيل.

[٣٠٤] شاب عاص غفر له

حكى عن بعض الخائفين أنه قال: كان في جوارى شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة ما رأيته صاحباً من السكر قط وعهدي به البارحة وقد رفع صوته على أمه في ساعتى هذه. فأخبرتني أنه أصبح ميتاً من غير علة ولا مرض، وسألتني في كفنه فزجرتها وقلت: الحمد لله الذي أراحنا منه، فمضت مدحورة فرق لها قلبي وقلت: إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد ﷺ فبعثت من ساعتى في طلبها وعزيتها وصبرتها واشتريت لها كفناً وحضرت جنازته. فعرفني بعض أصحابنا أنه رآه في المنام وأنه سأله ما فعل الله به؟ فقال: قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتي الحمام، فرأيت شخصاً ميتاً مقعداً، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال: غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لي وأنا في الجنة مع التعلق بالسنة غفر الله لنا أجمعين، وأماننا مسلمين، وختم لنا بخواتم الصالحين، إنه على ذلك قدير. وأنشدوا:

لا تأسفنَّ على الدنيا وحليها فاليموت لا شك يفينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهبٌ والمسك طيبتها والزعفرانُ حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ محضٌ ومن غسل والخمر يجري رحيقاً في مجاريها
والطيرُ تجري على الأغصان عاكفةً تسبحُ الله جهراً في مغانيها

وجبريل ينادي في نواحيها
بركعة في ظلام الليل يحييها
حتى سقاهم بكأس الموت ساقها
كذلك الموت يفني كل من فيها
والناس في غفلة عن ترك ما فيها
ما طاب عيش لها يوماً ويلها
شريعة الموت تطوينا وتطويها
من المعيشة إلا كان يكفيها
ثلاثة من يمين بعد ثانیها
في البحر راسية ملس نواحيها
حتى تؤدي إليه كل ما فيها
لسهل الله في المرقى مراقيها
فإن أتته وإلا سوف يأتيها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أضحت خراباً وذاق الموت بانيها

أحمد دلالها والرب بائعها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها
أين الملوك الذي عن حظها غفلت
أفنى القرون وأفنى كل ذي عمر
والموت أحقق بالدنيا وزخرفها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها
تلهو وتأمل آمالاً تسر بها
والله لو قنعت نفس بما رزقت
والله والله إيماناً مكررة
لو أن في صخرة ضماً ملممة
رزقاً لعبد يراه الله لانفلقت
أو كان تحت طباق السبع مسلكتها
حتى ينال الذي في اللوح خط له
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
تلك المنازل في الآفات خاوية

[٣٠٥] عظة للاستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل، إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل،
فأنفاسكم معدودة عليكم، وملك الموت قاصد إليكم، يركبكم بكلكله، ولا بد
لكم من منهله. يقطع آثاركم، ويخرب دياركم. فرحم الله عبداً نظر لنفسه، وقدم
لغده من أمسه، قبل حلوله في رسمه. وعمل في العمر اليسير، لليوم العبوس
القمطير، وسأل المغفرة من السميع البصير. الذي هو على كل شيء قدير، وهو
مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير.

[٣٠٦] الموت ينتقي الخيار

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمته كما
ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق» فإننا لله وإنا إليه راجعون الذي ذهب عنا
الأخيار وبقينا في غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه، ولا أحد منا يقطع

عن عصيانه . ما هذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة الموقنين ، قد أضلنا عدونا
الشيطان اللعين ، وخذعنا بمكره وأغوانا أجمعين .

[٣٠٧] عمل الملكين

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى
السماء فقالا : ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا
أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل : سمائي مملوءة بملائكتي يسبحوني ،
فيقولان : فأذن لنا أن نسكن الأرض ، فيقول عز وجل : أرضي مملوءة من خلقي ،
فيقولان : يا ربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل : قوما عند قبر عبدي فسبحاني وأحمداني
وهللاني واكتبنا ثواب ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » فالحمد لله الذي جعلنا من أمة
محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلاً ، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات ، ويجعل
الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات . وأنشدوا :

على كل حالٍ وشريكون	فقد مات مثلك في مثلها
فمالك تلعب بالترها	ت وتخدع نفسك من عقلها
من الرشد في برها بالعقو	ق وترضى بذلك من جهلها
وأنت تخالف فيها العذو	ل وتطوي لسانك عن عدلها
وسيفُ المنية قد سلَّها	وأنت تنامُ على قتلها
ودولة ذي العز مقطوعة	وأنت تغفل عن عدلها

إلى متى هذا الصدود ، عن طاعة الملك المعبود ، والغفلة عن بحر الموت
المورود ، فارحموا أنفسكم قبل التلف ، وأبكوا عليها قبل الأسف ، فإن السفر
بعيدٌ ، وهول المطلع فظيع شديد ، والزاد قليل ، والهم والحزن طويل ، ويعد ذلك
اليوم العبوس الثقيل يا أخي لكل حي قوت وأنت يا مسكين قوت الموت ، فاعمل
للموت قبل الفوت . وأنشدوا :

[٣٠٧] حديث «إذا قبض الله روح عبده المؤمن...» .

انظر جمع الجوامع للسيوطي (١٥٢٩) عن أبي هريرة .

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ٢٢٨) وقال : لا يصح .

أراني في انتقاص كل يوم ولا يبقى على النقصان شيء
طوى العصران ما نشره مني فأتلف جثتي نشر وطئي
فإن أك قد فئت ومات بعضي فإن الحرص باق في حي
وطير الموت حائمة لقتلي مدلاة علي وفي عي

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أكثر الفكرة في الموت هوّن الله عليه سكراته، وجعله منه على حذر، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد» فالله الله قد انصرفت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون، فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبداً ولو عشتُم إلى أن تنقرض الدنيا. فتفرغ يا مسكين في اليسير من الأيام، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام.

[٣٠٨] المبادرة بالتوبة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه».

[٣٠٩] السني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلاً من أهل السنة لقي رجلاً زنديقاً قد نحل جسمه وتغير لونه وأذابه الخوف، وكان السني قوياً سميناً، فقال له الزنديق: يا هذا صف لي بعض ما تعتقده؟ فقال: أعتقد الموت وغصصه، وسكراته وأهواله. فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشياً عليه فمكث ما شاء الله ثم أفاق فقال له: زدني، فقال: ثم من بعد الموت القبر وظلمته واللحد وضجعتة، ومنكراً ونكيراً قال: وما منكر ونكير؟ فقال: ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما، ويحفران الأرض بأنياهما، ويبد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره، قال: وثم ما بعد ذلك؟ قال: هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط، قال: وما الصراط؟ قال: هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كlob عدد نجوم السماء من الزبانية، لو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنّها

وهوامها ودوابها من حر نفسه، قال له: وما الزبانية وما جهنم؟ قال الزبانية: خلقوا من النار هم ملائكة العذاب، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة، السنة أربعة آلاف شهر، الشهر أربعة آلاف يوم، اليوم أربعة آلاف ساعة، الساعة أربعة آلاف نظرة، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا. وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه. قال له الزنديق: لقد عجبت من قلة عقلك، هذا كله تعتقده وأنت سمين!! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد أطال حزني وذاب جسمي، وإنما أنت من عداد الأنعام التي لا تعقل فالله إخواني اشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلى جميع خلقه محمد ﷺ، أخرجكم به من الضلالة، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحنفكم بطيبات رزقه، وفضلكم على كثير من خلقه، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه فإن الموت لا بد منه وقد وعظكم الله.

وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت واعظاً» فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه، فإنه لا يدري متى يقدم عليه. وأنشدوا:

وللموت سلطانٌ عليك مسلطٌ إذا حم لم يصرف بنهي ولا أمر
ودارك إما شقوةٌ أو سعادة ومالك من بابٍ إليها سوى القبر
كفى عظة بالموت إن ركابه على سفرٍ يهوي إلى حيث لا يدري

[٣١٠] رفق ملك الموت بالمؤمن

روي أن النبي ﷺ كان جالساً عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له: «يا ملك الموت ارفق بصاحبي» فقال له: يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق. فالله الله لا تغفلوا عنمن ليس يغفل عنكم ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال وهدانا وإياكم لصالح الأعمال، إنه الجواد الكريم المفضل.

مجلس في ذكر القبور

[٣١١] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١، ٢] السورة مكية، التكاثر يعني في الدنيا.

روت زينب بنت جحش عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ قارئ الهالك التكاثر يدعى في ملكوت السموات والأرض بمؤدي الشكر لله».

[٣١٢] حكاية في الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رجل باليمن يقال له يعلى وكان مشركاً ليس له من الدنيا إلا قطيفة تواري عورته، ويأوي بالنهار إلى ظل شجرة، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب، فسمع بخروج النبي ﷺ فأقبل إلى النبي ﷺ وكان شاباً، ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة يطعم القبضة من العجوة والكسر من خبز الشعير، وكان لا يفارق مجلس النبي ﷺ حتى تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبي ﷺ يقول: «لا فاقة بعد القرآن، ولا غنى بعد النار» فقال: يا رسول الله زوجني. قال: «أعندك مال!!» قال: عندي أربع سور من القرآن، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني، قال النبي ﷺ: «صدقت فانطلق إلى بني سلمة - حي من الأنصار - واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهي زوجتك» فانطلق الشاب لا يدري إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة، فقال: يا جارية أي حي هذا؟ قالت: بنو سلمة، قال الشاب: الله أكبر أنت أمرأتني تعالي، قالت: ما أسفحك! قال: لست بسفيه ولكن أمرني

[٣١١] حديث «إذا قرأ قارئ...».

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٤/ ٢٢٠).

إذا دخلتموها. قال الفراء هذا تكرار التغليظ ويقال: ﴿لترون الجحيم﴾ [التكاثر: ٦] أي لترونها رؤية علم ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٧] بالمشاهدة ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم، فزعم قوم أن الآية في الكفار وقال آخرون بل هي على العموم في المؤمنين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ».

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد».

وعن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أي نعيم!! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا. قال: «أما إنه سيكون» ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا: الأمن والصحة. مجاهد قال: الخبز والماء والملح. إبراهيم النخعي: من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره. الحسن قال: كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغذى الرجل ويتعشى. علي رضي الله عنه: النعيم الرطب والماء البارد. أبو أمامة قال: النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي ﷺ: «طيب النفس من النعيم» أبو الدرداء رضي الله عنه قال: النعيم الشعير والماء العذب. محمد بن علي قال: النعيم العافية. وقال أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ: مر بنا رسول الله ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مر بعمر رضي الله عنه فدعاه فخرج إليه، ثم انطلق بنا

[٣١٣] حديث «نعمتان مغبون فيهما...»

البخاري: كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق (٦٤١٢) من حديث ابن عباس.

والترمذي: كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ نعمتان (٢٣٠٤) من حديث ابن عباس.

(*) حديث «طيب النفس...».

ابن ماجه: كتاب التجارات، باب الحث على الكسب (٢١٤١) من حديث عبد الله بن خبيب.

والإمام أحمد في مسنده (٣٧٢/٥).

(*) حديث «مر بنا رسول الله...».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨١/١٥) من حديث أبي عسيب.

رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحبه: أطعمنا بساً فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال: «لتسألن عن هذا يوم القيامة» فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر، وقال له: يا رسول الله إنا لمستولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك، وخرقة تلف بها عورتك، وجحر تدخل فيه من القر والحز» علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الخطام، واكتساب الآثام، والتمادي في الإجرام. وأنشدوا:

أرضيت داراً لا بقاء لها	تعد الشرور وتنصب الفتناً
ما يستقيم سرور صاحبها	حتى يعود سروره حزنًا
عجباً لها لا بل لموطنها الـ	مغرور حين يعدّها وطنًا
فالحمد لله اللطيف بنا	ستر القبيح وأظهر الحسنًا
ما تنقضي عناله منن	حتى يجدد بعدها مننًا

يا أخي اشتغلت باللذات، وافنيت عمرك بالترهات، وعصيت إله الأرض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والحيرات. فيا له من بيت ما أظلمه، ومن صندوق ما أغمه. منزل الوحشة، وبيت الغمة والوحدة. وأنشدوا:

وربما عوقص ذو صحة	أصح ما كان ولم يسقم
يا واضعاً للميت في قبره	خاطبك القبر ولم تفهم

﴿حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ٢] بيوت الوحشة، ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات، وغم وحسرات، وأهوال مقطعات. من ظلمات القبور، وسؤال منكرو ونكير، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور، فانظر لنفسك أيها المغرور، فإن القبر له شأن يتلوه شؤون وأنشدوا:

لا تغرنك الحياة وقدم	واحذر القبر إنَّ للقبر شأنًا
إنَّ فيه لَمَّا يحاذر ذو الد	ب إذا كان ذا ثقى ومعانًا

بذلك رسول الله ﷺ. قالت الجارية: إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولكن حتى أسمع منه، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي ﷺ فإذا أبوها وأخوها فقالا: أين تذهبين؟ فقالت: إن الشاب تعلق بي وزعم أنني امرأته فأنكرت ذلك عليه فقال: كذا أمرني رسول الله ﷺ، فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه، فقالا: سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال: يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب إنك أمرته بما صنع بابتني، فقال النبي ﷺ: «نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته» قال: قد فعلت، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي ﷺ وأصحابه، فقال النبي ﷺ: «يا معشر المسلمين أعينوا أخاكم» فجمعوا له أربعة أواق فضة، فقال النبي ﷺ: «لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان» فقال: يا رسول الله قد جعلت أوقيتني لها أيضاً، فقال النبي ﷺ للشيخ والدها: «جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا» قال الشيخ: سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش، وإلى بساط ممدود، وإلى زوجة جالسة، وإلى سراج يزهر، وإلى طعام قد هبى له، فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان في مجلسه فصلى فيه ركعتين شكراً لله عز وجل لما رأى، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته، ثم جعل يقوم في خلال ذلك فيصلّي ركعتين ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى، فلم يزل كذلك حتى أصبح، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله، فلما عاين أهله وما هبى له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته في الليلة الأولى وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلاث ليال فجاء الشيخ في اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه! فقالت: لا أدري ما زوجي ما يعرف غير الصلاة وهو يقوم الليل كله يحمد الله ويشني عليه ويصلي، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ: «ما منعك من أهلك!» فقال: يا رسول الله تذكرت شأني وكنت مشكراً باليمن لم يكن لي مأوى إلا جحر كجحر الكلب آوي إليه الليل والنهار أتبع ظلال الشجر

والحيطان حين أخرج من جحري فهداني الله للإسلام وعلمني أربع سور من القرآن فشرح الله صدري بها ونور بها قلبي، فلما زوجتني هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسننها وجمالها ولم أر فراشاً قط منذ كنت، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لي سراج قط، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سوري الأربع فزهدني الله فيها وما عندها، فقال النبي ﷺ: «وأي سورة هي؟» قال: «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف» [التكاثر: ١، ٢] ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما هدؤوا قال الشاب: يا رسول الله خصني منك بدعوة، فقال: «اللهم اغفر له الكثير، وأشكره على السير، واغنه برحمتك» فلم تأت عليه جمعه حتى قيل للنبي ﷺ أن الشاب قد مات، فقال النبي ﷺ: «لا إله إلا الله إذا فرغتم من غسله أخبروني» فأخبروه ﷺ فقال ﷺ: «هنيئاً لك الجنة» ثم سأل زوجته هل نال منها شيئاً، قالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً ما نال مني شيئاً.

[٣١٣] حكايات عن الصالحين في الخشية من الله

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو يقرأ: «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر» [التكاثر: ١، ٢] فقال: إنما يزورون المقابر بالموت، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار.

وقال زر بن حبیش عن علي رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: «ألهاكم التكاثر» [التكاثر: ١] يقول شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته، واللهو ما شغل. وأكثر ما يقال في البطالة: «حتى زرتم المقابر» [التكاثر: ٢] بيوتكم. ويقال إن حيين من قريش تفاخروا وتعاددا بالأموال كان منا فلان وكان منا فلان، «كلاً سوف تعلمون» [التكاثر: ٣] يقول سوف تعلمون إذا متم «ثم كلاً» [التكاثر: ٤] يقول ثم كلا سوف تعلمون في قبوركم وهو وعيد مع وعيد فمعنى الأول غير معنى الثاني وليس ذلك بتكرير. قال الفراء: والكلمة قد تكررهما العرب على التغليظ والتخويف. فهذا من ذلك. ثم قال: «كلاً» أي كلا لا يؤمنون بالوعيد، ثم استأنف وقال: «لو تعلمون علم اليقين» [التكاثر: ٥] يقول محض اليقين، وهو الذي لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم في الآخرة كقوله: «وبرزت الجحيم لمن يرى» [النازعات: ٣٦] فالتكرار في قوله تعالى: «لترون الجحيم» [التكاثر: ٦] في القيامة إذا برزت «ثم لترونها عين اليقين» [التكاثر: ٧]

إنني موقن بما في كتابي عاجلاً تسونني الأكفانا
فإذا ما وضعت في ظلمة اللح سد وبدلت من مكان مكاناً
وإذا لم يدركني ربِّي بعفو ألق في القبر ذلةً وهواناً

[٣١٤] صفة القبر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ألا وإنه ليتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود» الله الله يا إخواني اعملوا لهذا الضيق، وجدوا في العمل باجتهاد وتحقيق. وأنشدوا:

كأنني بإخواني على حافة القبر يهيلونه فوقي وأدعمهم تجري
عفى الله عني حين أترك ثاوياً أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري
فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة، واعملوا ليوم النقلة، واستعدوا لظلمة القبر ما دمت في فسحة ومهلة، ولا تقطعوا أيامكم بالمحال، وجنبوا أعماركم سوء الفعال، فإن الموت نازلٌ بكم، والقبرُ أمامكم. وأنشدوا:

إنني أبشك من حديثي والحديث له شجون
ضيعت موضع مضجعي وقتاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى أكون؟!

[٣١٥] أشد ما على الميت

قل إنه لا يأتي على الميت في قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه، فمن تفقد ميتة في أول ليلة بشيء من الصدقة، وإلا فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميتة ما يجد من الغم والوحشة، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها. وأنشدوا:

بالله يا عينُ بوحِي وابكي عليَّ ونوحِي
غداً أوسد قبوري غداً أزور ضريحِي

[٣١٤] حديث: «القبر روضة من رياض الجنة».

الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب (٢٦) (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

غداً نـزوح الأحيـة وتمنـني أن تـروحـي

ذكر أن الميت إذا وضع في قبره وقال المشيعون: انصرفوا أجركم الله يقول الميت - إن كان من أهل الشقاء - يا ليتني مع من انصرف لعظم ما يعاين من هول المطلق. يا أحبابي فإذا كان لأحدكم بيت ولم يسط فيه على ما يجلس جلس على التراب والأرض، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحاً لنفسه بقي مستوحشاً وحيداً فريداً في رmse. وأنشدوا:

أنا في القبر رهينٌ	قد تبرأ الأهل مني
أسلموني بذنوبي	خبث إن لم يُعَف عني
فأرحم اليوم مشيي	وأرحم اللهم سئي
وأرحم اللهم ضعفي	لا يخيب اليوم ظني

[٣١٦] عظة للنبي ﷺ

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي ﷺ يعظنا أحياناً فيقول: «تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادي كل يوم سبع مرات فيقول: يا ابن آدم الضعيف أرحم نفسك في حياتك قبل أن تلقاني، فإنك إذا لقيتني وكنت عاملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت مني السرور، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة، أنا بيت العطش مع الظلمة، أنا بيت الضيق مع العقارب يا ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فإن ممرك عليّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة، فإن نجوت مني نجوت من كل شدة تتخوف منها، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاباً لشبابه، ولا صغيراً لصغره، ولا كهلاً ولا شيخاً لكبره، ولا أرحم إلا من رحم نفسه. وأنشدوا:

عجبت لمن يتم له السرور	بدار كل ما فيها غرور
وكيف يلدئ ساكنها بعيش	ويعلم أن مسكنه القبور

يا ابن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك، ولبان خشوعك، واثارت دموعك، خوفاً من القبر ووحشته، ومن اللحد وضغطته، ومن هول المطلق وروعته. فامهد لنفسك يا مسكين بينما أنت حي وبينما يقبل منك

(كل) شيء قبل طي الكتاب، وغلقت الباب، ونزول الحجاب، والرحيل إلى التراب. وأنشدوا:

لا تأتمن وإن أمسيت في حرم
واسلك طريقك واثبت غير منحرف
فكل خل وإن أشفقت تتركه
والخير والشر مقرونان في قرن
إن المنايا تفاجيء كل إنسان
حتى تلاقي الجزا من عند رحمن
وكل مال وإن أكثرته فإن
بكل ذلك يأتيك الجديدان

ففكروا رحمكم الله في أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وإخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب، وذوي المودة والأجانب. قد استوحشت من أنفسكم الديار، وانقطعت بينهم الآثار، وبقوا رهناً في الأحداث بالأوزار. قد هجرهم الحبيب وسلاً عنهم القريب، قد ضيقت عليهم اللحد، وسالت عيونهم على الخدود، وتمزقت عنهم الجلود، ودبت في أجسادهم الهوام والدود، وبقيت أرواحهم في البرزخ إلى اليوم الهائل الموعود. لم ينفعهم ما جمعوا، ولا حصنهم ما بنوا وشيدوا، ولا منعهم كلما صنعوا. صارت القبور لهم قراراً وفرت الأحباب عنهم فراراً. فانتبهوا يا معشر الإخوان، واجتهدوا في طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان. وأنشدوا:

هي الأحداث تطرق أو تعاد
وما يبقى الحمام إذا يوافي
فكم أسرى إلى ليث مصور
فقل لأخي السلامة عش ملياً
وكل للمنية في مهاد
شديد البطش جبار القياد
وجبار من الأجناد عاد
فلان الكون داعية الفساد
وهاك حمام لقمان بن عاد
أسير ما له منهن فاد

[٣١٧] العبرة بالقبور

يا أخي إذا أردت أن تدري كيف حالك من بعدك فأخرج إلى القبور وانظرها وقد عفت، ومثل قبرك بين القبور. ثم انظر ماذا تحتاج إليه في قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح، فاما ما سوى ذلك فما لك حاجة في شيء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالاً في قبرك وحسرة، وانظر حالك الذي أنت عليه

إن كان يصلح للموت والقبر فتعاضد عليه، وإن كان لا يصح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وأرجع إلى ما يصلح. وأنشدوا:

كم تناسى القبور يا مغرور	حفر ما بها لعاص سرور
وتعاصى عنها وأنت تراها	ورحاهما على الأنام تدور
فاتق الله حق تقواه واحذر	كلّ هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل	للتّي عاجلاً إليها تصير
تلك دار البقاء فكلّ تقى	في ربّاهما مكرمّ مجبور
ولعاصٍ مصر إن لم تنله	رحمة الله مبعّد مشهور

[٣١٨] دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقاً دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول: ترى يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحشرات، آنس الله غربتكم، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم، وهون ما قدّر عليكم مولاكم إنه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير. ثم يأخذ في البكاء والنحيب. فالله الله أبكوا قبل أيام البكاء، واندبوا قبل يوم الأسى. وأنشدوا:

لاه بدنياه والأيام تنعاه	والقبر غايته واللحد مأواه
يلهو ولو كان يدري ما أعدّ له	إذا لأحزنه ما كان ألهاه
أو ما جنت يده لو قد تعرّفه	ويلاه مما جنت كفّاه ويلاه

اعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توايت مقفولة، والأعمال في أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشي إلى الجنة أو النار محمولة وأنشدوا:

يا أيها الرجل المزخرف قبره	ولعلّ له في جوفه مغلول
يا أيها الرجل المقيم بمنزل	فيه الحوادث ما أقام نزول
الأ يغرك ملكه ونعيمه	فالملك يفنى والنعيم يزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة	فاعلم بأنك بعدها محمول

يا إخواننا مضى الأخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون، قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور.

[٣١٩] حكاية عن الأصمعي

يحكى عن الأصمعي رضي الله عنه أنه قال: مررت بأعرابي وهو واقف على مقبرة فقلت له: يا أخا العرب ما هذا الموضع الذي أنت فيه؟ فقال:

هذي منازل أقوام عهدتهم في رغد عيش نفيس ما له خطرُ
صاحت بهم نائباتُ الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل، والقبر يناديه كل يوم يقول له: لا بُدَّ لك مني فماذا قدمت لي من عمل صالح؟ وأنشدوا:

أجارُ الدهر ليس له جوارُ وحسن الظنِّ بالدنيا اغترارُ
إذا ما رمت يوماً كان يوماً ونقص البذر غايته السرارُ
ودع حرص الجبان على حياةٍ وأجمل إنَّ عَمَرَكَ مستعارُ
وذو الآمال منها في غمار وعند الموت ينكشفُ الغمارُ
ويرجو المرء أن يبقى سليماً ويأبى الليلُ ذلك والنهارُ
وهل تخطي المنية نفسَ حيٍّ وهاديهما رواحٌ وابتكارُ

[٣٢٠] حكاية عن الحسين

قيل كان الحسين رضي الله عنه إذا رأى القبور قال: ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهي في بطونها. فالله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فإن القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا وأنشدوا:

يا من بدنياه اشتغل وغرّه طولُ الأمل
الموت يأتي بغتةً والقبورُ صندوقُ العمل

أخي: لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقدته بعد طول الأُنس بناحيته، ولو رأيت كيف تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاء الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب. وأنشدوا:

باتوا على قُلل الأَجبال تحرسهم غلب الرجالُ فلم تنفعهم القُللُ
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم واسكنوا حفراً يا بئس ما سَكُنُوا

ناداهم صارخٌ من بعد ما دفنوا أين الأسيرةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوهُ التي كانت محجبةً من دونها تضرب الأستارُ والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعموا فأصبحوا بعدَ طولِ الأكل قد أكلوا

فيا معشر الشباب، تاهبوا للغدو إلى التراب، فإن الشيخ يكفيه مصيبة الشيب
فإنه يمهّد للقبر. وأنشدوا:

ما للشيخ وللغدٍ وإلى الملاهي والبكور
وهم غداً أو قبله أو بعده حشو القبور

[٣٢١] نداء القبر لساكنيه

عباد الله، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلا وقبره يناديه بكرةً وعشيةً إما
بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور، فمن فكر فيه وفي وحشته، وضيقه وغمته،
كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها، وأبدله الله خيراً من داره وأهلاً خيراً من
أهله، وجعل القبر خيراً من داره فأكثرُوا ذكره في الآناء والأوقات، وأطيعوا جبار
الأرضين والسموات، عساه يجعله لكم روضةً من رياض الجنات، ويبقيكم فيه
الذلّ والحسرات. وأنشدوا:

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرورٌ موعظةٌ وفيهم لك يا مغرور معتبرٌ
كانوا ملوكاً توارى بهم قصورهم دهرًا فوارتهم من بعدها الحفر
الدودُ يأكل أقواماً منعمةً نعم ومن دونها الألواح والمدرُ
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط هيهات ضلّت وحارت فيهم الفكرُ

[٣٢٢] بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوماً إلى القبور وجعل ينظر إلى
امتداد القبور ويفكر في الأحباب والإخوان، والأصحاب والجيران. ثم بكى حتى
طال بكاؤه وبلغت دموعه لحيته ثم جعل يقول:

زرنا منازل قوم لا يزوروننا إنا لفي غفلة عما يقاسوننا

لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم الموت أحق بالدنيا وعزتها فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونا وفعلنا فعل قوم لا يموتونا فالحاملون لعرش الله باكونا

فإن الله جدوا في العمل فإن القبر أمامكم، والموت يطلبكم يفرق ما جمعتم ويخرب ما قد بنيتم بقطع الأنفاس، وينقلكم إلى ضيق اللحد والأرماس، فمن قدم إلى القبر عملاً صالحاً وجده روضة من رياض الجنان، ومن لم يكن له عملاً وجده حفرة من حفر النيران، فاستعدوا له يا معشر الأصحاب والإخوان.

روي عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال: مررت بالمقابر فإذا مكتوب على قبر:

تمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني وذو الميراث يقتسمون مالي وما يألون إن جحدوا ديوني وقد أخذوا سهامهم وراحوا فيا لله أسرع ما نسوني!

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور، وطاعة الشيطان المشبور، واعملوا لضيق اللحد والقبر.

[٢٢٣] حكاية عن أحمد بن أبي الحواري

حكى عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله أنه قال: خرجت يوماً للقبور فذكرت الموت في نفسي والبلاء فرأيت شاباً بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له: من أين أقبلت أيها الفتى، فقال: من هذا المبرز، قلت: وأي شيء قلت لهم، قال: قلت لهم متى ترحلون؟، فقالوا: حين تقدمون! ثم ولى عني وهو يبكي فتبعته فقلت له أين تريد؟ فقال: ألتمس العيش، فقلت له: كيف تلتمس العيش بين القبور!، فقال: وأي شيء هو العيش عندهم؟ قلت المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان، فولى عني وهو يقول: أف لعيش يعقب أحزاناً، وندامة وأشجاناً. فقلت: وأي شيء هو العيش عندهم؟ قال إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله، والوقوف بفناء الله، والخضوع بين يدي الله والتلذذ بحلاوة مناجاة الله، فهناك تزدهم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد قلت له: أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشتاقي إلى لقائه؟ قال: إذا نزع

الله حب الدنيا من قلبه، وتبرم ببقائه بين خلقه. فحيثُ يشتاق إلى لقائه. قال: قلت له: أخبرني عن غاية الزهد في الدنيا، قال: ترك الحلال حتى لا يقع في الحرام، قال: قلت: أخبرني عن غاية الرضا بالله تعالى قال: إذا كنت راضياً بكل ما قدر الله تعالى وقضاه، وأحكمه وأمضاه، وأنه هو المتفضل، على المتقين بفضله، والخاذل لمن شاء بعدله، قلت له: أخبرني عن غاية العبادة؟ قال: تجمع الهموم فتجعلها همّاً واحداً حتى يستوي عندك العمران والخراب، وتكون خائفاً من الله تعالى كأنك تراه، فإن لن تكن تراه فإنه يراك. قلت له: كيف النجاة من مخالفة الناس؟ قال: إنما الناس رجلان عاقل وجاهل، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، وقام مجتهداً بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك، وأما الجاهل فلا يبالي كيف ما كان عليه. فعليك بالبراري والقفار، والاستئناس بالواحد القهار، قلت: فمن أين القوت؟ قال: تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه، ويضيعك حتى تتهمه في رزقك إنه رؤوف رحيم لا يسلمك. ثم تصافحنا وتفرقنا ودعالي فما رأيت أنور قلباً منه. ووجد على قبر مكتوب:

تساجيك أجداتٌ وهنٌ سكوتٌ وسكانها تحت الترابِ خفوتٌ
فيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغةٍ لمن تجمع الدنيا وأنت تموتُ

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل، ولا يشفق على من غرّه طول الأمل، ولا يحن على من ضيع أيام المهل. وأنشدوا:

ما حالٌ من سكن الثرى ما حاله؟ أمسى وقد صرمت هناك جباله
أمسى ولا روح الحياة تصييه يوماً ولا لطف الحبيب ينأله
أضحى وقد درست محاسن وجهه وتفرقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه المحاسنُ غبرةً وتقسمت من بعده أوصاله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى والمالُ يذهب صفوه وحلاله

[٣٢٤] عيسى والمدينة الخربة

روي أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصرًا من قصورها فنادى: يا خراب الآخر بين أين أهلك؟ فأجابه شيء من آخر القصر، يا ابن

مریم بادوا. فاجتهد ولا تفرط، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم. وأنشدوا:

قَفَّ بِالْقُبُورِ وَقَلَ عَلَى سَاحَاتِهَا	مَنْ مَنَكُمُ الْمَغْمُومُ فِي ظِلْمَاتِهَا
وَمَنْ الْمَكْرَمُ مِنْكُمْ فِي قَفْرِهَا	قَدْ ذَاقَ بَرْدَ الْأَمْنِ مِنْ رَوَعَاتِهَا
أَمَّا السَّكُونُ لَدَى الْعَيُونِ فَوَاحِدٌ	لَا يَسْتَبِينُ الْفَضْلَ فِي دَرَجَاتِهَا
لَوْ جَاوَبُوكَ لِأَخْبَرُوكَ بِالْسِّنِ	تَصِفُ الْحَقَائِقُ بَعْدَ مِنْ حَالَاتِهَا
أَمَّا الْمَطِيعُ فَنَازِلٌ فِي رَوْضَةٍ	يَفْضِي إِلَى مَا شَاءَ مِنْ رَاحَاتِهَا
وَالْمَجْرُمُ الطَّاعِي بِهَا مُتَقَلِّبٌ	فِي حَفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَاتِهَا
وَعِقَارِبٌ تَسْعَى إِلَيْهِ فَرُوحَةٌ	فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ مِنْ لَدَعَاتِهَا

عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم، وتنتهون من نوماتكم، وتصحون من سكراتكم وتملون من شهواتكم، وتدعون الكثير من لذاتكم. وتذكرون هول المقابر، والمصير إلى ضيق الحفائر، فإن ملك الموت لا يأتيكم إلا على ألد ما تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم فبادروا قبل مبادرته بكم. وأنشدوا:

بِنَاءُ الْفَتَى فِي لَهْوِهِ وَعَنَائِهِ	مَتَبَخَّرُ يَخْتَالُ فِي لَذَاتِهِ
قَدْ غَرَّهُ الْأَمَلُ الْكَذُوبَ	فَهَمُهُ فِي كُلِّ مَا يَدْنِيهِ مِنْ شَهَوَاتِهِ
إِذْ جَاءَهُ مَلِكُ النُّفُوسِ بِسُكْرَةٍ	تَرَكَهُ مَلْقَى الْجِسْمِ بَيْنَ ثِقَاتِهِ
فَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابَهُ وَتَخَرَّمَتْ	وَتَنَكَّرَ الْمَعْرُوفُ فِي حَالَاتِهِ
لَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ وَلَا يَرَى	شَقَّ الْجُيُوبِ عَلَيْهِ حِينَ وَفَاتِهِ

[٣٢٥] ابن عباس وابن الخطاب

ذكر في بعض الأخبار أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قتل فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، قال: بماذا؟ قال: آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، ومات رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك إثنان، وقتلت شهيداً، فقال له عمر رضي الله عنه: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه فقال: والذي لا إله غيره لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت لاقتديت به من هول المطلاع فإذا كان هذا قول عمر رضي الله عنه إمام السنة، وحبيب الأمة،

وسراج أهل الجنة في الجنة، قال هذا عند الفراق والانقطاع وأشفق من هول المطلع، فكيف بأهل اللهو واللعب، والبهتان والكذب، أمثالنا الذين قَطَّعُوا أعمارهم في الذنوب، وأفنوا أيامهم في معصية علَّام الغيوب، وغفلوا عن القبور، ولم يتفكروا في هول يوم النشور؟! والله أعلم وأنشدوا:

أراني كلَّ يوم في انتقاص	وبعد لا يزول وطول هجر
وأيامي تمر بغير شيء	وعمر المرء في الأيام يسري
ألا خطوا على قبري كتاباً	وقولوا قبر ذي ظلم وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيراً	وكل فتى على ذا النهج يجري
وقولوا حين أدفن أي عبدٍ	أتى مولاهُ في ذلٍّ وفقرٍ

حكى عن داود الطائي رحمه الله أنه مرَّ على امرأةٍ تبكي على قبرٍ وهي تقول:

عدمت الحياةَ ولا نلتها	إذا أنت في القبر قد ألدوكَا
فكيف أذوق لذیذَ الكرى	وأنت يميناك قد وسَّدوكَا

قال داود: فلمَّا سمعت تذكرت في الأحباب والأخذان، والأصحاب والأخذان، لا يرى لهم آثار، ولا على الأرض منهم ديار:

أمرُّ على القبور وأرتقيها	كأنِّي ليس لي فيها حبيبُ
وأكره أن أسألها فإني	أراها حين تسأل لا تجيبُ

[٣٢٦] عظة نفيسة

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذي بقي من أعماركم ثم تتبهون إلى القبور، وتخرجون من سعة القصور والدور. والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخواني المسلمين جدوا واجتهدوا، وبالعَمَل الصالح فاستعدوا، وقدموا لأنفسكم ما تجدوه في المقابر، وابكوا عليها قبل حلولها في الحفائر. وأنشدوا:

لكل أناس مقبرٌ بفنائهم	فهم في انتقاصِ القبور تزيدُ
وفي محشر الموتى أمام قبورهم	فما منهم من للحياة يعود

[٣٢٧] وأنشدوا

المرء رهنُ مصائبٍ لا تنتهي حتى يوارى جسمه في رسمه
فمؤخرُ يلقي الردى في أهله ومقدمُ يلقي الردى في نفسه

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك، وتذكر أهلك وجيرانك، وتذكر أحبابك وأخذائك أين الذين كانوا لك في الدنيا أحباباً، وفي أيام حياتك أصحاباً؟ صحبتهم وصحبوك، وذهبوا عنك وتركوك، وأوحشوا الأهل والأحباب، وفارقوا القربة والأصحاب، قد ضمت أجسادهم المقابر، وغيّرت أبقارهم الحفائر، وبقيت أرواحهم تنتظر يوماً تبلى فيه السرائر فمنهم من يجازى بنعيم وخلود، ومنهم من يرث النار وبشس الورد المورود، أين لقمان بن عاد، أين ثمود وشداد، أين فرعون ذي الأوتاد، وأين من طغى في البلاد وأظهر فيها الفساد، ذهبت والله تلك الأجناد، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد. تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر، وأين الطغاة الجبابر، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر، وقادوا الجيوش والعساكر، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر حوّلتهم والله النواصب إلى الحفائر، وبقوا مرتينين بأعمالهم في ظلمات المقابر، ونزلوا على ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم، وغير البلاء أحوالهم. قد سالت العيون منهم على الخدود، وصارت لحومهم قوتاً للهوام والدود، وقسمت من بعد دفنهم في التراب أموالهم، ونكحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا:

هل كان قبلك للذات مرتاحاً	لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحاً
الله عبد جنى ذنباً فأحزنه	فظل حيران يذري الدمع سفاخاً
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به	فرب دمع جرى للخير مفتاحاً
ورب عين رآها الله باكية	خوف القبور ستلقى الروح والراحاً
مستعبر قلق مستيقظ فطن	كأن في قلبه للنور مصباحاً
يا صاحبي دعا التسويف ويحكمما	واستبدلا بفساد الدين إصلاحاً
لا تأمن وقوع الموت إن له	لأنفساً من جميع الخلق مجتاحاً
إن لم يبيتهم ناداهم سحراً	وإن تأخر عن تكبيرهم راحاً
لا يترك الموت بيتاً حشوه فرح	إلا أعاضهم ذلاً وأتراحاً
أهل القبور أبنوا عن قبوركم	هل تستطيعون لي بالرد إفصاحاً

ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم لما فقدتم من الأجساد أرواحاً
يعزز عليّ بأبدان منعمة أمسى بها الدودُ جِوَّالاً وسواحاً
الناس في غفلة عما يراد بهم من كان ذا بصيرٍ فالصبحُ قد لاحاً

[٣٢٨] حكاية عن ابن السماك

حكى عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوماً جنازة فلما نظر إلى القبور
بكى وقال لأصحابه: معشر الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له يراه أمامه، ألا
مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره، ألا شاب عازم قد بارز لمنيته، ألا من
ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته، ألا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمّر السَّيرَ
فيما بقي من رمقه، ماذا ينتظر من دَفَنَ أباه، وقرَّ أمّه وأخاه؟ ما فرح من القبر
مأواه؛ والتراب فراشه وغطاه. وأنشدوا:

ألا إنما الدنيا بلاءٌ وفتنةٌ وبيننا الفتى فيها مهابٌ مسودٌ
إذا انقلبت عنه وزالَ نعيمُها فأصبح من تربِ القبور يمهّدُ
فكن خائفاً للموت والقبر بعده ولا تك ممّن غره اليوم أو غدُ

حكى عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال: دخلت على مريض وهو في
شدة السكرات فقلت له: كيف تجدك؟ فبكى ثم قال:

رحلتُ عن الدنيا وقامت قيامتي غداةً أقلّ الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفرَ قبري وصيّروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قطّ صورتي غداةً أتى يومي عليّ وساعتي

إخواني ما هذا لمن مضى، بل والله لمن مضى ولمن بقى، لا بد من القبر
ووحشته، ومن الموت وسكرته، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر يتفحصكم، وتفكروا
في وحشة القبر ما دام التفكير يباح لكم، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة،
وحيث لا تقال العثرة. فإن الأيام غرور، وهي طريق إلى القبور. وأنشدوا:

ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن اللبيبُ
حفر يسترفقهن من الجنادل والكثيبُ
فيهن أطفالٌ وول سدانٌ وشبانٌ وسيبُ
كم من حميم لم يكن نفسي بفرقتِه تطيبُ

غادرتـه في بعضـهن مجنـدلاً وهـو الحـيـب

[٣٢٩] حكاية عن بعض الصالحين

حكى أن رجلاً من الصالحين رحمه الله حضر جنازة، فلما وضعوها في قبرها وانصرف أهلها، وقف على قبر صديق له فناداه: يا حبيب. يا فلان الصديق فلم يجبه أحد، فأنشأ يقول:

أحيـبُ مالـك لا تجـيب منادياً أنـسـيت بعـدي جمـلة الأـحـباب
فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل و تراب
أكل التراب محاسني ونسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أحبابي
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم عقدة الأنساب

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسهم وأبكوا طول حياتكم، أيام وحشتكم، وبعد رقدتكم، وطول غربتكم وانفرادكم في قبوركم ووحدتكم، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته، وينورها بنور مغفرته، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة، إنه المنان الكريم، المتفضل الرحيم.

[٣٣٠] موعظة ابن عباس

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ارحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره، وتفرق الناس وأهله، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة. وما من يوم إلا والأرض تنادي بخمس كلمات، يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني، يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني، يا ابن آدم تفرح على ظهري سوف تحزن في بطني، يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في بطني، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني، يا ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرة لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده، فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم

ويكون هو في قبره أو في رمسه مشهوراً. وأنشدوا:

أَخْلَقَ الْمَوْتُ جَدَّتِي وَمَحَا حَسَنِي الْبَلَى
صُرْتُ بَيْنَ النَّعِيمِ فِي مَنْزِلِ الْبَعْدِ وَالْقَلَى
وَجَفَّانِي أَحْبَبِي حِينَ غَيَّبْتَ فِي الْفَلَآ

يا أخي تفكر في تلك الأكفان. وتغير الروائح وصوله الديدان، ونهش العقارب والحيات، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات. وانظروا إلى أحبابكم في بسط الأرماس، كيف عدموا الأناس والحراس، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الأنفاس وأنشدوا:

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَيْرٌ
وَتَصْبَحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَائِدٌ لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَدْ بَلَوْتَ نَذِيرٌ
مَتَى أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَمْرٌ وَلَمْ يَكُنْ يُخْبِرُنَا أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرٌ
فَدُونُكَ فَاصْنَعْ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّ يَبُوتَ الْمُتَّقِينَ قَبُورٌ

[٣٣١] حكاية عن الحسن البصري

يحكى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدها فقال: يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلباً حياً، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذي نسب فرحاً. ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال: هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به. عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر، أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً والباقي بعدك هو الميت في أثرك، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعاً فكأننا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعاً في سكراته، وحللتهم جميعاً في القبور إلى يوم النشور. فالحمد لله تفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى. وأنشدوا:

أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَيَا ابْنِ الذِّينِ فَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا وَتَبَقَّى
وَمَا أَحَدٌ بِزَادَكَ مِنْكَ أَحْصَى وَمَا أَحَدٌ بِزَادَكَ مِنْكَ أَشَقَى

ومما للنفس عندك مستقرٌ إذا ما استكملت أجلاً ورزقاً
تفكروا في الملوك العتاة، والجبابرة والطغاة، الذين عمروا الدنيا وملكوها
وأقطارها، وسكنوا المشيد من قصورها، كانوا أشد منكم قوة وآثاراً، وأقوى
أجساماً وأطول أعماراً خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب، وعمر ديارهم من بعدهم
الأصحاب، وانصرم عنهم الليل والنهار، ونزلوا على ما عملوا من الأوزار، فلو
أبصرتهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود، وتمزقت
الخدود، وضيق على أبدانهم اللحود، واتخذ الخليل من بعدهم خليلاً وصارت
أبدانهم للودود مقيلاً. فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعاً عجولاً، ولا تطع
الشیطان إنه كان للإنسان خذولاً، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء
الشیطان، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران، ويدخلكم برحمته الجنان.
وأنشدوا:

واندم على فعلك القبيح	اعمل لمثواك في الضريح
فسوف تبقى بغير روح	ولا تقصّر وفيك روح
بالجد من قلبك القريح	واقرح الخد من دموع
تنقل فيه إلى الصفيح	والتمس الصفح قبل يوم
والترب يحثى على الطريح	يا نفس إنني غداً طريح
لم تقدر في فيه أن تنوح	نوحى فلو قد حواك قبر

أحبابي قوموا بنا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى، لعل الله
يرحمنا في ظلمات القبر وعسى، فإن القبر ينادي في الصباح والمساء.

قيل وقف بعض الصالحين في المقابر وأنشأ يقول:

أغضب أحبابنا أم رقود	فإلى كم يكون هذا الصدود
إن تكونوا قوماً نياماً فهبوا	كم تاملوا عنا ونحن قعود
أو تكونوا هجرتمونا بذنب	كان منا فإننا لا نعود

حكى عن بعضهم رضي الله عنه أنه قال: مات لي صديق فاغتمت عليه لما
كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة، فرأيت بعد موته في المنام فسألته عن
حاله فأنشأ يقول:

أنا لكم إخواني نذير
عائنت ما لم تعاینوه
إنَّ الذي حلَّ بي جليل
فإنما أنت في غرور
فإن قدامك المنايا
إما إلى جنة وإما
من هول ما ضمت القبور
وإنما يتلى الخير
جداً فقد أعذر النذير
فلا يغرنك الغرور
والقبر والبعث والنشور
إلى حجيـم لها سـعير

فالله الله يا معشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام، فإن أمامكم وحشة القبور بعد سكرات هول الحمام، فمن ضيع في البطالة، والجهالة أيامه، وكثرت في صحيفته أوزاره وآثامه فمقام الحسرة غداً في القبر مقامه . وأنشدوا:

أبصر وتب يا رجل
إلى محل (ضييق)
مالك فيه مؤنس
أي غلام قام في
يقول في سجدته
يا ظاهرياً باطن
اغفر ذنوبي كلها
وتب عليّ توبة
قد أزعجت التنقل
تذهب فيه الحيل
إلا التقى والعمى
محرابه يتهل
ودمعه ينهمر
يا مالك لا تعجل
فشأنك التفض
فهـي المنى والأمل

[٣٣٢] نبأش القبور

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن جلوس في مجلس ابن عباس رضي الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال: يا ابن عباس ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى يا ابن عباس: ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل. قال: ثم خرج. فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له: يا ابن عباس إن هذا الفتى نبأش وإنما يتستر بهذه المقالة، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعري الموتى من أكفانهم. قال ابن عباس: لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وألمسه بكفي. فقال له الرجل: إن شئت لأرينك ذلك. فقال: قد شئت. فلما هجم الليل إذا الفتى قد

أقبل وفي يده اليمنى قنديل وفي اليسرى غلٌّ حتى توسط المقابر، ثم رمى بطرفه شاخصاً وقال: سلامٌ عليكم أهل مضايق اللحد، ومطعم البلاء والدود، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم، فليت شعري ما حالكم ارتهتم بأعمالكم وقطعتم دون آمالكم، بل ليت شعري أندم الحياة حل بكم، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم. سبقتمونا فليتيم، وأجبتكم قبلنا إذ دعيتم، ونحن للقدوم عليكم منتظرون، وللمنهل الذي وردتموه واردون، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه. ثم نزل في قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادي، يا ويلتي إذا دخلت في قبري وحدي ونطقت الأرض من تحتي فتقول لي: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً بمن كنت أمقته وهو على ظهري، فكيف وقد صرت اليوم في بطني لأضيغن (عليك) أرجائي، ولأذيقنك مكروه بلائي. ويلي إذا خرجت من لحدي حاملاً وزري على ظهري وقد تبرأ مني أبي وأمي. بل ويل من طول كذبي إذا أسمعني منادي ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جيرتي، وقد بدت إلى الناس سريرتي، وقمت عرياناً ذليلاً، وقاسيت كرباً طويلاً. ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض، والوقوف بين يدي جبار السموات والأرض. ويلي إذا وقفت أمام ربي فقال لي: عبدي استترت بمعصيتي عن المخلوقين، وبارزتنني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك؟ ثم خرَّ مغشياً عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال: يا ذخري ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطويتي وسريرتي، يا من عليه اعتمادي في حياتي، ومن إليه ألجأ بعد مماتي، لا تخذلني بعد الموت، ولا توحشني في قبري يا سامع كلِّ صوت، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن سعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادي، لبيك لبيك حبيبي ما أنبشك للذنوب والخطايا، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا. ثم التفت إلى الذي سعى به وقال له: يا عبدالله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش، فأرشدته إلى ابن عباس، فما أحبه وآثره لديه، يا ليت كل النابشين مثله. وأنشأ يقول:

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً	ونداوي بالدمع داء جليلاً
فعسى الدمع أن يبرد منا	بعض لوعاتنا ويشفى الغليلاً
وننادي الأحباب كيف وجدتم	سكرة الموت بعدنا والمقيلاً

لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا سكرةً تترك العزيز ذليلاً
بدلوا بعد القصور قبوراً ثم بعد اللباس ردماً ثقيلاً

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء
الأجل، واشعلوا في قلوبكم نيران الخوف والوجل، وتزودوا للقبر بينما أنتم في
فسحة ومهل، فإن الموت آت، والعمر فات، والطريق طويل، والزاد قليل، وهول
القبر ثقیل. وأنشدوا:

تضرع في دجى الليل	إلى مولاك يكفيكاً
ولا تأمن هجوم المو	ت إن الموت يأتيكاً
كأنني بالذي يهوا	ك في القبر يدليكاً
وقد أفردت في لحذك	فرداً بمساويكاً
وأسلمك الذي قد كا	ن في الدنيا يصافيكاً
فيا سؤلي ويا ذخري	وكل الخلق راجيكاً
ويا من ليس منا	أحد يحصى أياديكاً
تجاوز عن مقال ثم	حقق أملني فيكاً

يا أخي قم بين يدي مولاك إذا دخل الليل البهيم، وأسأله لعله يكفيك في
قبرك العذاب الأليم.

[٣٣٣] حكاية عن ابن الأسود

حكى عن الحجاج بن الأسود أنه قال: رأيت في المنام كأنني دخلت في
المقابر فإذا أهلها نيام في قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم، فمنهم النائم على
التراب، ومنهم النائم على القباطي، ومنهم النائم على السندس، ومنهم النائم على
الإستبرق، ومنهم النائم على الحرير، ومنهم النائم على الديباج، ومنهم النائم على
الياسمين والريحان، ومنهم النائم كالمبتسم في نومه، ومنهم حائل اللون، ومنهم
من قد أشرق نوره، ومنهم من قد اشتد كربه، ومنهم من قد اغتم في ضيق القبر
ووحشته. فبكيت في منامي مما رأيت ثم قلت: يا رب لو شئت لسويت بينهم في
الكرامة! فناداني مناد من بينهم: يا حجاج هذا الذي تراه من تفاضل الأحوال إنما
هي منازل الأعمال، ولكل امرئ منهم ما قدم. فاستيقظت فزعاً مرعوباً.
وأنشدوا:

تحرك إن قدرت وقم طويلاً فسوف يطول نومك في التراب
وحقق ما تقول فأنت عبدٌ تساءل ثم تطلب بالجواب
وكفر ما عملت وكن مُجِدّاً وتب لله تسعد بالمَتَابِ

عباد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلا التوبة، والندم على ما
سلف وحسن الأوبة لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر، وما طويتم عليه
خفيات السرائر، وينور لكم في ظلمات الأجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر.
وأنشدوا:

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت وزمت مطايانا إلى برزخ البلى
وساقت بنا سوقاً حثيثاً فأسرعت لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما مَوّت الأحياء إلا ليعثوا يقيناً وتجزى كل نفس بما سعت

عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيبون، والموت والقبر فلا
تذكرون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذهب السامعون والواعظون. وبقي الجاهلون
والغافلون. فلا سامع يعي ويسمع، ولا واعظ يداوي وينفع. كل قد شغل بالأمانى
والغرور، ونسي الرحيل إلى القبور. ووجد على قبر مكتوباً:

لا تثق بالحياة من بعد قبري كل حي مصيره كمصيري
كنت في نعمة وفي خفض عيش فمضى وانقضى كيوم قصير
ثم أفردت في القبور وحيداً وجفاني الصديق فوق القبور

[٣٣٤] حديث في منكر ونكير

روي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء: «كفى بالموت
طامة» فقال جبريل عليه السلام: ما بعد الموت أطم منه وأعظم. فقال
رسول الله ﷺ: «وما ذاك يا جبريل؟» قال: الملكان الأزرقان الأسودان يطآن في
شعورهما، ويخرقان الأرض بأنياهما، بيد كل واحد منهما عمودٌ لو ضرب به
الجال لقلعها من أصولها، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد
القاصف، يتلي بهما كل مؤمن وكافر، فيأتيانه في قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان
عليه عمله، ويريانه مقعده من الجنة أو النار. فقال ﷺ: «أما الكافر لهما أن

يروعانه ويفعلان به ذلك ، وأما المؤمن فكيف؟ قال جبريل عليه السلام: كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه في الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفوراً له ثم لا يدري روعة بعدها أبداً.

[٣٣٥] غرور

ذكر أن بعض الملوك بنى قصرأ وشيئده فأعجب بذلك وسرّ به ، فلما كان في بعض الليل سمع قائلاً يقول:

كأنني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيدُ القصر من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه تنادى بليل معولات حلائله
فخذ عدةً للموت إنك ميتٌ وإنك مسؤول فما أنت قائله؟

فأجابه الملك وهو يقول:

أقولُ بأنَّ الله حقٌ شهدته فذلك قول ليس تخفى فضائله
فأجابه الهاتف وهو يقول:

(فوالله يا قدم) إنك ميتٌ وقد أزعج الأمر الذي أنت نازله
فأجابه الملك وهو يقول:

متى ذاك حدثني هديت فإنني سأفعل ما قد قلته وأعاجله؟
فأجابه الهاتف وهو يقول:

تقيم ثلاثاً بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر وما أنت كامله

قال: فلم يتم الشهر حتى مات. وقال بعض الشعراء في هذا المعنى:

تمنيت نفسه قصرأ مشيداً يلد به ليعمره جديدا
فلما تم عاجله حمام فأخرجه إلى جدث فريدا
فقل لذوي الترجح في الأمانى ولا يغنون في التقوى مزيدا
تهابوا الموت إن له مجالاً فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختلف الملسوك ذوي المعالي ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

[٣٣٦] الملك الزاهد

حكى عن عباد المهلبى أنه قال: كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغرورها فبنى داراً وشيّد بها وأمر بفرشها وفرشت الدار ونجدت، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه، فمكث بذلك زمناً حتى فرغ من أمر الناس ثم أجلس نفرّاً من خاصة إخوانه فقال لهم: أترون سروري بداري هذه وقد حدثني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقيموا عندي أياماً استمتع بحديثكم، فأقاموا عنده أياماً يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبني، إذ سمعوا ذات ليلة هاتفاً يقول بصوت جهير:

يا أيها الرجلُ الناسي منيته	لا تأمنن فإن الموت مكتوبُ
على الخلائق إن سروا وإن كرهوا	فالموت حتم لذي الآمال منصوبُ
لا تبين دياراً لست ساكنها	وراجع النسك كيما يغفر الحوبُ

قال فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا، ثم قال لأصحابه: هل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما نجد؟ قال: أجد مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت، ثم أمر بالشراب فأهريق وأمر بالملاهي فأخرجت ثم قال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أنني تائب إليك من جميع ذنوبي، نادى على ما فرطت في أيام مهلتي. ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول: الموت حتى خرجت روحه، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه. وأنشدوا:

يا عجباً للناس لو أبصروا	وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها	فإنما الدنيا لهم معبرُ
والموعِدُ الموتُ وما بعده	حشرٌ فذاك الموعد الأكبرُ
عجبت للإنسان في فخره	وهو غداً في وحشة يقبر
ما بال من أوله نظفة	وجيفة آخره يفخرُ؟
أصبح لا يملك تعجيل ما	يرجو ولا تأخير ما يحذرُ
وأصبح الأمر إلى ربّه	في كل ما يقضي وما يقدرُ

لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر

[٣٣٧] موعظة للبهلول

حكى عن بعض السادات أنه قال: نظر إليّ بهلول وأنا أبني داراً فقال: لمن هذا الدار؟، فقلت: لرجل من كبار أهل الكوفة، فقال: أرنيه فأريته إياه، فناده: يا هذا لقد تعجلت الجناية قبل العناية، إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على نفسه كتاباً وأشهد على عقد ضمائره شهوداً هذا ما اشتري العبد الجافي من الرب الوافي اشتري منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع، فما أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك. شهد على ذلك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة، ولهذا الدار حدود أربع، فالحد الأول ينتهي إلى مبادئ الصفاء، والحد الثاني إلى ترك أخلاق الجفاء، والحد الثالث ينتهي إلى مدارج أهل الوفا، والحد الرابع ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على العرش استوى، ولهذا الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت بالولدان والخزام ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام. يا لها من دار لا ينقضي نعيمها، ولا يبئد كريمها، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود، وجعل بلاطها من البهاء والنور، وملئ خيامها من جوار بهن كمل السرور، من العين الحور، ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل البهلول ينادي خلفه ويقول:

يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه لا تهربن فإنه يعطيك
وأشدوا:

طاب المقام وطاب فيه نعيمه في دار عدن والجليل يراه

فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور، وتشيد القصور، فعمّا قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحد وظلمات القبور وأنشدوا:

سلام على أهل القبور الداورس كأنهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ولم يأكلوا من كل رطب ويابسٍ
فيا معشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن.

[٣٣٨] حديث في هدية أهل القبور

فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد عشر مرة وأهدى ثوابها للموتى، غفر الله تعالى للموتى وأدخل في قبورهم النور والسرور، ويكتب الله تعالى للقارىء بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات».

[٣٣٩] الصدقة والدعاء للميت

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أهدوا إلى موتاكم» قيل: وما نهدي يا رسول الله إلى الموتى؟ قال: «الصدقة والدعاء» وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور، فيقف على شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك اقبلها، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء فالله الله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور، ويغبطون بها في القبور.

[٣٤٠] رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء في الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الأحباب إلى رأس أربعين سنة، فمن أياسهم أياسه الله رحمته، ومن فرحهم أكرمه تعالى بتحيته. وفقنا الله وإياكم للأعمال الصالحة، وأعاننا وإياكم على طلب الرغائب والخيرات آمين برحمته فإنه مجيب الدعوات وقاضي الحاجات، ومقيل العثرات وصلى الله على من أخرجنا من الظلمات إلى النور المظهر من الآفات، المجتنى من أطياب الثمرات، وعليه منا أطياب السلام والتحيات، ما دامت الأرض والسموات، آمين فهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات، وغافر الذنوب والزلات، آنس الله وحشتي ووحشتكم في القبور، وآنس روعتي وروعكم يوم النشور وأحلنا وإياكم برحمته دار السرور. آمين آمين.

مجلس في فضل الصيام

[٣٤١] قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ الثَّوَابِ الْكَثِيرِ، وَالسَّاهِي عَنِ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ، وَاللَّاهِي عَنِ لِبَاسِ السَّنَدِ وَالْحَرِيرِ، الْمُتَقَاعِدُ عَنِ الْيَوْمِ الْعَبُوسِ الْقَمْطَرِيرِ، النَّائِمُ عَمَّا أَتَى بِهِ مُحَمَّدُ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ جَهَنَّمَ وَحَرِّ السَّعِيرِ. يَا غَافِلُ يَا سَاهِي أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ، الْمُتَضَمِّنُ لِلرَّحْمَةِ وَالْغَفْرَانِ، وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعَصِيَانِ، مُقِيمٌ عَلَى الْآثَامِ وَالْعُدُوانِ مُتِمَادِي فِي الْجَهَالَةِ وَالطُّغْيَانِ، مُتَكَلِّمٌ بِالْغِيَةِ وَالْبَهْتَانِ، مُتَعَرِّضٌ لِسُخْطِ الرَّحْمَنِ، قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِكَ الشَّيْطَانُ، فَالْقَى فِيهِ الْغَفْلَةَ وَالنَّسْيَانَ، فَأَنْسَاكَ نَعِيمَ الْخُلْدِ وَالْجَنَانِ، فَظَلَلْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالَ أَهْلِ النَّيْرَانِ فَإِنْ كُنْتَ يَا مُسْكِينُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ تَرْجُو الْفَوْزَ بِالرِّضْوَانِ، وَالْحُلُولَ فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالْأَمَانِ، وَالْخَلَاصَ مِنْ دَارِ الْعُقُوبَةِ وَالْهَوَانِ. وَأَنْتَ مُطْعَمُكَ حَرَامٌ، وَلِبَاسُكَ حَرَامٌ، وَلِسَانُكَ لَا يَفْتَرُ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ وَبَصْرُكَ حَدِيدٌ إِلَى مَا حَرَّمَ مِنَ الْحَرَامِ عَلَيْكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَيَدُكَ مَمْدُودَةٌ إِلَى مَا نَهَاكَ عَنْهُ الْمَلِكُ الْعَلَامُ، وَقَدَمُكَ تَسْعَى إِلَى مَا هُوَ إِثْمٌ وَحَرَامٌ، وَأَنْتَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَفْعَالِكَ مُخَالَفٌ لِلْقُرْآنِ وَالْأَحْكَامِ، تَارِكٌ لِسُنَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَجَسَمُكَ مِنَ الْجُوعِ مُتَعَوِّبٌ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْغُرُوبِ، وَيَلْحَقُكَ النَّصَبُ وَاللَّغُوبُ، وَصَوْمُكَ عَنْ مَوْلَاكَ بِالطَّرْدِ مُحْجُوبٌ وَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِكَ مَكْبُوبٌ، لِمُخَالَفَتِكَ لِعَلَامِ الْغُيُوبِ. فَخَمَصَ وَيْحُكَ بَطْنُكَ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا وَالْحَرَامِ، وَأَحْبَسَ لِسَانُكَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي جَمَاعَةِ الْإِسْلَامِ، وَغَضَّ طَرْفُكَ عَمَّا هُوَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْ أَعْظَمِ الْآثَامِ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ مِنْ حَرَمِ الْأَنَامِ، وَامْتَثَلَ مَا أَمَرَكَ بِهِ أَحْكَمُ الْحُكَامِ، وَقَمَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا هَجَعَ النَّوَامُ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ إِذَا أَدْهَمَ

الليل بداجي الظلام. وحيثُ يصح لك القبول لشهر رمضان، وتفوز بالنعيم الأبدي في دار السلام، وتنجو من الأهوال والعذاب الغرام. فليكن - ويحك - بصرك من النظر إلى المحارم معدولاً، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولاً وبطنك من أكل الحرام محمولاً وقلبك بالفكرة في الحسنات والمعاد مشغولاً، وذكر مولاك وسيدك في لسانك مجعولاً، ومالك في طاعة العزيز الجبار مبذولاً: ﴿إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان خذولاً، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوماً جهولاً. وأنشدوا:

<p>قل لأهل الذنوب والآثام إنه في الشهور شهرٌ جليلٌ وأقلُّوا الكلامَ فيه نهاراً واطلبوا العفو من إلهٍ عظيمٍ كم له فيه من إزاحة ذنبٍ كم له فيه من أيادٍ حسانٍ كم له فيه من عتيقٍ شهيدٍ إن دعاه مذلٌ بخضوعٍ أين من يحذر العذاب ويخشى أين من يشتهي التذاذاً بحورٍ التمس فيه ليلة القدر واترك واجتهد في عبادة الله واسأل يا لها خيبة لمن خاب فيه يا لها حسرة لمن كان فيه يا إله الجميع أنت بحالي وأمتني على اعتقاد جميلٍ</p>	<p>قابلوا بالمتاب شهر الصيام واجبٌ حقه وكيد الزمام واقطعوا ليلَهُ بطول القيام ليس يخفى عليه فعلُ الأنام وخطايا من الذنوب عظام عند عبد يراه تحت الظلام آمن في القيام خزي المقام وخشوع ودمعه (ذو سجام) أن يصلي الجحيم مأوى اللئام في جنان الخلود بين الخيام التماساً لها لذيذ المنام فضله عند غفلة الثوام عن بلوغ المنى بدار السلام سائراً شره بثوب الظلام عالمٌ فاهدني سبيل القوام واتبع لملء الإسلام</p>
---	--

[٣٤٢] فضل رمضان

فالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب، ومن العفو عن الأوزار وعتق الرقاب. وهو شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه

مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام. شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، شهر جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام، وأشرف قواعد الإسلام، المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام، شهر أنزل الله فيه كتابه، وفتح للتائبين فيه أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع، ولا عمل إلا مرفوع، ولا خير إلا مجموع، ولا ضرر إلا مدفوع شهر السيئات فيه مغفورة، والأعمال الحسنة فيه موفورة، والتوبة فيه مقبولة، والرحمة من الله لملتزميها مبذولة، والمساجد بذكر الله فيه معمورة، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة. وأنشدوا:

أيمن أهل القيام لله دأباً	بذلوا الجهد في رضا الجبار
أنتم الآن في ليالٍ عظام	قدرها زائدٌ على الأقدار
فاستزيدوا من العبادة فيها	تأمنوا اليوم من عذاب النار
أيمن من يركب الذنوب اغتراراً	لا يخافون سطوة القهار
قد أهل الهلال من رمضان	شهر زلفى وتوبة واذكار
فاذكروا الله فيه ذكراً كثيراً	واستجيروه من عذاب النار
وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب	صادقٍ واقبلعوا عن الإصرار
رب من كان مسرفاً مستمراً	في خطاياهم مكثراً الأوزار
ثم إن الإله تاب عليه	فاقتضى حمده سبيل الخيار
فاعملوا أيها المسيئون وادعوا	ربكم جهرة وفي الأسرار
واحذروا غفلة القنوط وداووا	داءها بالرجوع للغفار
تجدوا الله في المعاد كريماً	ماحياً للذنوب والإصرار

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، والشیطان مبعد مشبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحلٌ عنكم، شاهد لكم وعليكم، مؤذن بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مستول، من عند رب لا يحول ولا يزول، يخبر عن المحروم منكم والمقبول. فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام،

مع النظر إلى وجه ذي الجلال والإكرام، ومرافقة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنشدوا:

ألا داع إلى الله المجيب	بقلب من معاصيه معيب
ألا بأك لأيام تقضى	بلا عمل ولا قول مصيب
ألا بأك على أمد بعيد	يؤديه إلى أجل قريب
فإن الموت يندبنا ويغي	نفوساً ليس تألم للذنوب
تنادي للترخّل كل يوم	ولا تصغي إلى الداعي القريب
كأن يقيننا بالموت شك	ونلغي الحق بالإفك المريب
وشهر الصوم شاهده علينا	بأعمال القبائح والذنوب
فيا رباه عفواً منك وأطف	بفضلك للمحيّر والكثيب
وهذا الصوم لا تجعله صوماً	يصيرنا إلى نار اللهيب
سلام الله ما هبت عليه	قبولاً أو شملاً أو جنوب

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة. لأنه شهر عظيم، زكي مبارك كريم، من أطاع فيه الملك الجبار، واتبع فيه السنة والآثار، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار، وخاصة برحمته من عذاب النار، وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار، مع مجاورة النبي محمد المختار، صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار، ومن عصى فيه الملك القهار، وخالف القرآن والآثار، وعمل بأعمال الفجار، ولم يوقر شهراً عظمه الإله الستار، غضب عليه مقدر الأقدار، ولعنه كل شيء يختلج بالليل والنهار، هكذا روي عن الصادق المصدوق محمد المختار، قال الله الملك الجبار:

[٣٤٣] تقسيم الصوم

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٣] الصيام ينقسم على أحد عشر ضرباً، صيام الفرض وصيام الظهار وصيام النقل وصيام الوطء في رمضان وصيام كفارة اليمين. وصيام فدية الأذى وصيام التمتع والقران وصيام إفساد الحج وصيام كفارة قتل الصيد وصيام النوافل وصيام النذر.

والأيام المنهي عن صيامها ستة، يوم الفطر، ويوم الأضحية، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ويوم الشك.

[٣٤٤] الصوم اللغوي

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ [البقرة: ١٨٣] الصوم ضربان، صوم لغوي، وصوم شرعي، فالصوم في اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم. وذم أعرابي قوماً فقال: يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفواحش. قال الله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام: ﴿فقلولي إني نذرتُ للرحمن صوماً﴾ [مريم: ٢٦] يعني صمتاً. يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة. قال الشاعر:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وخيلٌ تعلقك اللجماً
أي خيل تصهل وخيل لا تصهل.

[٣٤٥] صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم في رمضان وفي غير رمضان، فصوم اللسان ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لأن النبي ﷺ قال: «من نظر إلى امرأة نظرة حراماً حشا الله عينه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضي الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب» وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم.

[٣٤٦] عقاب نظرة في الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال: نظرت يوماً إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى، فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لي: جز يا عبدي فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فأثر فيه هذه اللمة، فقال الله تعالى: يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك. هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر، ولم يغض البصر؟ وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل

رضى. وصيام البطن أن تخمسه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلماً. وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل لأنه قد قال رسول الله ﷺ: «من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤوس الشهداء ثم يؤمر به إلى النار». وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال:

[٣٤٧] عقوبة الزنا

«من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كائنة من كانت من النساء فتح الله في قبره ثلاثمائة باب من جهنم يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معذب مما يلقي من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ثم يؤمر به إلى النار وهو يؤذي أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب» وقال ﷺ: «من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام» وقال ﷺ: «عفواً تعف نساؤكم» من فسد به، وما من رجل زنى بامرأة إلا جلد بين يدي الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطاً من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل.

[٣٤٨] آفات الزنا

وقال ﷺ: «الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات - يعني في الدنيا وثلاث مؤخرات - يعني في الآخرة - فأما التي في الدنيا فإنها تذهب بالبهاء، وتورث الفقر، وتقصر العمر، وأما التي في الآخرة فإنها توجب سخط الله، وسوء الحساب، والدخول في النار».

وقال ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أناس أمامهم موائد حسانٌ وعليها لحمٌ مشوي كأحسن ما يكون من الشواء، وحولهم جيفٌ أنتن ما يكون من الجيف وهم يأكلون في الجيف ويتركون الشواء، فقلت: حبيبي جبريل من هؤلاء، قال: الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحل الله لهم، وأقبلوا على ما حرم عليهم، فاليوم يطعمون بما يكرهون، ويحرمون ما يشتهون» ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحدّ الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط حشره الله يوم

القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار، فإذا دخل النار أمر به فأدخل تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد في تلك المسامير، فلو وضع ما على عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمئة ألف أمة لماتوا جميعاً، وهو أشد من في النار عذاباً. ومن تاب ورجع في حياته فإن الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته. فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر في رمضان وفي غيره.

فالله الله عباد الله صوموا جوارحكم عن المنكرات، واستعملوها في الطاعات تفوزوا بنعيم الأبد في قرار الجنات، والتمتع بالنظر إلى جبار الأرض والسموات.

[٣٤٩] الصوم الشرعي

والصوم الشرعي هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر، ويجوز صوم رمضان بنية في أوله. فهذا حد الصيام في اللغة والشرعية.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] فيه أقوال كثيرة وأصحبها... إن المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التي سلفت من قبلكم، قال مجاهد: هم أهل الكتاب.

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئاً إلى الليلة المقبلة، وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة، ورخص الله تعالى في ذلك لهذه الأمة.

وقيل إشارة الله تعالى بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى الأمم الخالية وهذه الآية مدح لأمّة محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبي إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان، فأمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم. وقيل إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتى بعث الله محمداً ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان، فبقي الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع

أربعون رجلاً في الأمر منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جامعوا نساءهم بعد النوم.

[٣٥٠] حكاية الأنصاري

وجاء رجل من الأنصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بني النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته: على رسلك حتى أسخن طعاماً صنعت، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبها فقالت له: الخيبة الخيبة، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاوياً، وأصبح صائماً وعمل في أرضه فأصابه من التعب ما غشي عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادي بين رجلين فقال له: «مالي أراك أبا قيس طليحاً؟» والطيح هو الضعيف - وفي لغة أخرى هو التمايل - فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وكانت قصة الأنصاري أولاً، وكانت قصة عمر والأربعين رجلاً رضوان الله عليهم آخراً، فأنزل الله تعالى في قصة عمر وبدأ بها لأن الجناح في الوطاء هو أكثر منه في الأكل.

[٣٥١] قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله في قصة عمر رضي الله عنه وفي الأربعين رجلاً الذين وقعوا في الوطاء هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى قوله: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال الله تعالى في قصة صرمة بن قيس: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذا رحمة من الله تعالى لأمة محمد ﷺ. وقيل إن النصاري فرض عليهم صيام شهر رمضان في الإنجيل فكانوا يصومون شهراً فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام فكانوا يصومون أربعين يوماً، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحماً فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن برىء يزيد في سبعة أيام فبرأ فزادوا فيه، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا: اجعلوه في حين لا حر ولا قر فحجبه الله تعالى عن فضل الشهر العظيم، للإله الكريم الحكيم، وجعلهم من أصحاب الجحيم، وجعل ثوابهم لأمة النبي الرؤوف الرحيم.

[٣٥٢] الأعرابي المجتهد

روي عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل علي غير هذا؟ فقال: «لا إلا أن تطوع» قال رسول الله ﷺ: «وصيام شهر رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال النبي ﷺ: «أفلح إن صدق».

[٣٥٣] ثواب الصيام

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» فارغبوا رحمكم الله في هذا الثواب العظيم، والملك الجسيم، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم، فإنه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام. فارغبوا في فضله، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولي العقول والألباب، ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرّون أترون غيره أم لا.

[٣٥٤] فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله ﷺ: «أخبرني جبريل عليه السلام قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعد الله. فقال النبي ﷺ آمين، ثم قال جبريل عليه السلام: من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعد الله، فقال رسول الله ﷺ: آمين، ثم قال جبريل: يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فأبعد الله فقال رسول الله ﷺ: آمين». فالله إياكم والموت أن يفجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون.

[٣٥٥] صيام الدهر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر كله» وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴿البقرة: ١٨٣﴾ سماهم باسمه ورسمهم برسمه، وشرفهم حين عرفهم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ سهل عليكم بذلك موارد الخطاب. فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين، وأجل صفات العارفين، وأعلام مقام المحبين، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿أياماً﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿معدودات﴾ ثم زاد بياناً فقال: ﴿شهر﴾ ثم بين أي شهر فقال: ﴿شهر رمضان﴾ ثم بين ورقق ويسر فقال: ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [البقرة: ١٨٧] ثم بين تمامه فقال: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فكأنه سبحانه قال: كتبت عليكم الصيام أياماً في السنة ووعدتكم عليها المقام في الجنة، كتبت عليكم الصيام شهراً، ووعدتكم الثواب دهرأ. كتب الله الصيام على عبده وكتب الرحمة على نفسه، كتب الصيام أياماً معدودات، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات، كتب عليكم أن تصوموا شهراً وكتب لكم بالحسنة عشراً.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان في إنصات وسكون وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلا فرسخ أو ميل» شك عطاء بن يسار في هذا الحديث.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة» الإشارة في قوله تعالى: ﴿أياماً معدودات﴾ [البقرة: ١٨٤] كأنه سبحانه يقول: فريضتي عليكم معدودة، وعطيتي لكم (غير) محدودة، عبادتكم لي بارة ونعمتي عليكم بارة طاعتكم من الحين إلى الحين، وثابتي لكم أبد الآبدين، صيامكم لي من العام إلى العام، وإباحتي لكم من الجنة أحسن المقام. اعلّموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام، وشرفكم بملة الإسلام، وجعلكم من خير أمة أخرجت للناس، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام. فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور، تفوزوا في الجنان بالولدان والخور.

[٣٥٦] التوبة في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه ما دام الصائمون يصومون».

[٣٥٧] أحاديث عدة في فضل رمضان

وروي عنه ﷺ أنه قال: «للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحد».

وروي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم. ويا باغي الشر أقصر».

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ملكاً رأسه تحت العرش - عرش رب العالمين - ورجلاه في تخوم الأرضين، له جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء، والآخر من زبرجدة خضراء ينادي كل ليلة من شهر رمضان، هل من تائب فيتأب عليه، هل من مستغفر فيغفر له، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته. يا طالب الخير أبشر، ويا طالب الشر أقصر وأبصر».

فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم، وهذا الثواب العظيم، من عند الإله الكريم؟! ثم اجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر، واجتهدوا في هذه الأيام القليلة، تفوزوا بالنعيم الجزيلة، والراحة الدائمة الطويلة. اجتهدوا في شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشاكم الله فيه بالرحمة، ويغفر فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر فيه إلى تنافسكم،

[٣٥٧] حديث «إذا دخل رمضان».

البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس (٣٢٧٧) من حديث أبي هريرة. والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل رمضان (٦٨٢).

ويباهي بكم الملائكة، فأدوا فيه أنفسكم خيراً فإن الشقيّ كل الشقي من حرم فيه رحمة الله تعالى». فالله عباد الله إياكم والحرمان، والتماذي في العصيان، ولا ترضوا في أديانكم بالنقصان، في الشهر الفاضل شهر رمضان.

[٣٥٨] عظيم فضل رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس مالهم في شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان» فقالوا: يا رسول الله حدثنا به فقال: «إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها الميثرة فتصفق ورق الجنان وخلق المصارع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوج؟ ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ، ويقول الله تعالى: يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد ﷺ ولا تغلقها حتى ينقضي شهرهم هذا، فإذا كان اليوم الثاني أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار: يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضي شهرهم هذا، فإذا كان في اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن أهبط إلى الأرض فصعد مرده الشياطين وعتاة الجن وغلهم في الأغلال ثم أقذف بهم في لجج البحار كي لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم، فإذا غلقت في شهركم أبواب النيران، وفتحت أبواب الجنان، وصعد فيه الملعون الشيطان، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران، وهو الكريم المتفضل المنان.

[٣٥٩] الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصيام والقرآن يشفيان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعني فيه، ويقول القرآن: رب عبدك منعته النوم بالليل وتلاني وحرم النوم من أجلي فشفّعني فيه فيشفعان».

ويا أخي إذا كان شهر رمضان في القيامة شفيحاً فكن لمولك فيه عبداً سامعاً مطيعاً، وليكن قلبك عن معصيته ربيعاً.

[٣٦٠] الصيام باب العبادة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل شيء بابٌ وباب العبادة الصيام» وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن باباً فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجاباً. أين من يدل على طريق السعادة! عسى أصل بعد النقصان إلى الزيادة، وألزم نفسي الاجتهاد في العبادة. وأنشدوا:

أطير إليه منشور الجناح	ألا خيراً لمقترح النواح
سيسلي ما بقلبي من جراح	فأسأله والطفه عساه
بنور هدى كمنسلخ الصباح	ويجلو ما دجا من ليل جهلي
نهاني الله من أمر المزاح	سأصرف همتي بالكل عما
إلى شهر العفاف مع الصلاح	إلى شهر الخضوع مع الخشوع
بدار الخلد والحدور الملاح	يجازي الصائمون إذا استقاموا
وبالملك الكبير بلا براح	وبالغفران من رب عظيم
لهذا الشهر من قبل السراح	فيا أحببنا اجتهدوا وجدوا
ويغفر زلتي قبل افتضاحي	عسى الرحمن أن يمحو ذنوبي

[٣٦١] فضل السحور

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسحروا فإن الله يحب المتسحرين والملائكة تصلي على المتسحرين وتستغفر لهم».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور».

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام في رمضان إلى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة، فإذا فرغ ودعا آمنوا على دعائه، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات، ويرفع له في الجنة بعددهم درجات، ويمحو عنه بعددهم سيئات، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة. فالله الله اغتنموا في هذا الشهر المكرم هذا الثواب العظيم، ولا تقطعوا

نهاره بالغية وقبح الكلام، وتغفلوا في ليله عن طول القيام، وتفطروا فيه على السحت والحرام. وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام، فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام. وأنشدوا:

أتعصي بعد شيب الرأس جهلاً كما قد كنت تعصيه غلاماً
أراك من التهاون لا تبالي ولا ترعي الصلاة ولا الصياماً
وتفرح بالفطور ولا تبالي حلالاً كان كسبك أم حراماً

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذي بلغنا الله إليه في صحة من الأجسام، وسلامة من عوارض الأسقام فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها، وفضل هذه الأيام التي بلغها أن يحفظها من التخليط والالتباس، وأن يكف أذاه عن جميع الناس، وأن يحذر لغو الكلام، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام.

[٣٦٢] شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من سرق في رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراماً أو شرب خمراً أو تعدى ظملاً لم يتقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول». فكل من يؤذي في رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم. فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام، دائب على القيام مؤذٍ للأنام، فهو من لسانه وفعله موزور وعلى صيامه وقيامه غير مأجور. أين من زاغ عن الهدى، ودالٍ على سبيل الردى، بل أين من رانت الذنوب على قلبه، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه، ولم يخف من عذاب ربه، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور. إلى أي وقت تعانق حوبتك. ولأي يوم تؤخر توبتك، إلى حول حائل أو إلى عام قابل، كلا والله ما إليك الأقدار، ولا بيدك المقدار، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم، لم يبق من عمرك إلا يوم يا هذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها، بطنك من الحرام، ولسانك من قبح الكلام، وبصرك ويدك وسمعك من الإجمام، واكتساب الآثام.

[٣٦٣] كَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ الشَّرُورِ

عباد الله ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول للسانه: إنك اليوم صائمٌ من الكذب والنميمة، وقول الزور والباطل والغيبة، ولعينيه إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما، وللأذنين: إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى ما يكره ربكما، ولليدين: إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم عليكم من الغش في البيع والشراء والأخذ والعطاء، وللبدن: إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظري على ماذا تفطري وتجنبني المطعم الخبيث الذي تدعين إليه فإن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، وللقدمين: إنكما اليوم صائمتان من السعي إلى ما يكتب عليكم وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه. ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه ﷺ. ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها ما دام حياً، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصه عاجلة بكرمه. فالله عباد الله امثلوا في هذا الشهر المكرم وفي غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه.

[٣٦٤] أصل رمضان في اللغة

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فما جعله هدى فلا يكون ضلالة، وما جعله بياناً فلا يكون جهالة، وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة.

شهر رمضان، قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة. قال الخليل: الرمضاء الحجارة الحارة، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء، فسمي رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلًا، ويظهر القلوب تطهيراً. وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف. وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، يرفض قوماً إلى محل القرية والزلفى، ويرفض آخريين إلى محل البعد والسخطة. وقيل سمي شهراً لشهرته. وهو شهر الإيقان، وشهر القرآن، وشهر الإحسان، وشهر الرضوان، وشهر الغفران، وشهر إغاثة اللهفان، وشهر التوسعة على الضيفان،

وشهر تفتح فيه أبواب الجنان، ويصفد فيه كل شيطان، وهو شهر الأمان والضمان. شهر يخفف فيه عن المملوك. تزهو فيه القناديل، وينزل فيه بالرحمة جبريل، ويتلى فيه التنزيل، ويسمح فيه للمسافر والعليل، شهر رمضان للعباد مثل الحرم في أم البلاد الحرم يمنع منه الدجال اللعين، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين. شهر رمضان في الدنيا، مثل الجنان في العقبى، سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وملكه خلود، متصل ليس يبيد، وفي رمضان بذل المجهود، ورضى طلب المعبود، وحفظ الحدود، وإظهار الكرم والجود. أقبل الصوم يا مسكين، وكلنا مساكين، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار، مصر على الآثام والأوزار، عامل بأعمال أهل النار، متشبه بالنسك والأخيار، وأنت في جملة الفساق والفجار، وقد أطلع على شرك وضميرك عالم الضمائر والأسرار. وشهر الصوم شاهد عليك، والملائكة تلعنك والله لا ينظر إليك، وهو جل جلاله بإعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور. والله سبحانه ينظر من عبده إذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه، يقول جل جلاله: هذا عبدي لا يعرف لشهري هذا فضلاً، وأنا لا أعلم الآن له عندي فضلاً.

[٣٦٥] عظة بليغة

أفق يا ذا الغنى والمحال، واستيقظ يا ذا السهو والإغفال، وانتبه من السكرات الطوال. أترضى يا مسكين أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله؟ أتستحسن أن تكون جائعاً عطشان وليس لك جاه عند الله؟ أين النية المجردة، أين التوبة المجددة، أين الندامة المؤكدة، أين الحلال من الطعام، أين اجتناب الطعمة الحرام، أين حجر الأوزار والآثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والأيتام، أين الإخلاص للملك العلام، أين التزام شريعة الإسلام، أين الأسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام؟؟ انظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع، وأحييت ليلك بطول السجود الركوع، إنك فيما تظن صائم، وأنت في جهالتك جازم، وفي صلاتك دائم، وفي بحار سكراتك هائم. أين أنت من التواضع والخشوع، أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين في شهر رمضان؟؟ كلا والله حتى تخلص النية وتجردها، وتطهر الطوية وتجودها،

وتجنب الأعمال الدنية ولا تردها، وتكثر البكاء والحسرة، وتسيل الدموع والعبرة، وتلزم الفكرة والعبرة، وتسأل مولاك لإقالة العثرة، فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء، ومن العيوب سترة وجلاباً. أين الصائمون، أين القائمون، أين الطائعون، أين العاملون، أين السابقون، أين الخاشعون، أين الذاكرون، أين القانتون، أين الصادقون، أين الصابرون، أين المتصدقون، أين الآمرون بالمعروف، أين المغيثون الملهوف، أين الناهون عن المنكر أين المستشعرون للفكر، أين السامعون للعبير، بادوا والله مع الصالحين، وانقلبوا مع المؤمنين، ونزلوا مع النبيين، وسكنوا مع الصديقين، وبقينا والله مع الجاهلين، وسكننا مع الفاسقين وتأسينا بالغافلين، واصطلحنا على معصية رب العالمين. فصيامك يا مسكين في وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود، وأعمالك بالفسق موصولة، وجوارحك للعصيان مبذولة، وألفاظك في الغيبة مجعولة، وعزيمتك للطاعة محلولة، وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة، وفرائض مولاك بالمعاصي مهمولة. وأنشدوا:

الصومُ جنةٌ أقوامٍ من النارِ	والصومُ حصنٌ لمن يخشى من النارِ
والصومُ سترٌ لأهل الخير كلهم	والصومُ سترٌ لأهل الأوزارِ والعارِ
والشهرُ شهرُ آلِه العرش من به	(ربُّ) رحيمٌ ثقل الوزر سترِ
فصام فيه رجالٌ يربحون به	ثوابهم من عظيم الشأن غفارِ
فأصبحوا في جنان الخلد قد نزلوا	من بين حورٍ وأشجارٍ وأنهارِ

فهنيئاً لمن أطاع الملك الرحمن، في شهر الرحمة شهر رمضان، لقد فاز بالهور والولدان في دار السلام والرضوان. صبروا الأيام القليلة، فأعقبهم الراحة الطويلة، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وما تعمل في هذا الشهر، جوزيت إلى آخر العمر، فإن الخير عادة، والشر لجاجة. أين أنت يا صائم يا قائم، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم. تاجر مولاك فإنك تربح وعامله فإنك تفلح، واعتذر إليه فإنه يقبل عذرك، واستغفره فإنه يغفر ذنبك، وارغب إليه فإنه يكشف كربك، واسأله من فضله فإنه يوسع رزقك، وتب إليه فإنه يعظم حظك يا أخي هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب، وتلين فيه النفوس والقلوب، وتغفر فيه الأوزار

والذنوب، وينفس الله عن الحزين المكروب، يقول المولى جل جلاله للملائكة: يا ملائكتي انظروا إلى الألسن اليابسة كيف تبتل بذكري، انظروا إلى الأحداق الصلبة كيف تدمع من خوفي، انظروا إلى الأقدام المنعمة تنصب في المحارِب ابتغاء وجهي يا أخي متى أطعمت في هذا الشهر لله رب الأرض والسموات رفعت إلى الدرجات العالية في قرار الجنات، وحصلت مع مولاك مكسباً من الحسنات عرياناً من السيئات.

[٣٦٦] تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة، صوم الروح وهو قصر الأمل، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى. وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع. يا أخي من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضي، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقي، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد، ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] يا أخي هذه رحمة مولاك رضي أن ينقص من حقه لثلاثين نقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك. رخص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر، ورخص لك أن تفطر متتابعاً، وتقضي إن شئت متفرقاً ليسهل عليك، وتصوم الأيام القصار عوضاً عن الأيام الطوال، وهذا الرفق.

[٣٦٧] تمثيل الشهور كأخوة يوسف

قيل الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام. وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

[٣٦٨] نكت في ذلك

نكتة حسنة لامة محمد ﷺ، إن كان في يوسف من الحلم والعفو- ما غمر جفاهم حين قال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ [يوسف: ٩٢] فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات، والعق من النار، والغفران من الملك القهار، ما يغلب جميع الشهور، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار.

نكتة حسنة، الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل، وإزاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل. فأحسن لهم الإنزال، وأصلح لهم الأحوال، وبلغهم غاية الآمال، وأطعمهم في الجوع، وأذن لهم في الرجوع، وقال لفتيانہ: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها، فسد الواحد خلل أحد عشر. كذلك شهر رمضان واحد والشهور أحد عشر وفي أعمالنا خلل وأي خلل، وتقصير وأي تقصير، وتفريط في طاعة العليم الخبير. ونحن نرجو أن نتلافى (في) شهر رمضان ما فرطنا فيه في سائر الشهور، ونصلح فيه فاسد الأمور، ويختمه علينا بالفرح والسرور، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور. إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه، وعفوه وغفرانه، إنه سميع بصير، وهو نعم أولى ونعم النصير.

[٣٦٩] أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى، كان ليعقوب أحد عشر ولدًا ذكوراً وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيراً، وصار بصره منيراً، وصار قوياً بعد الضعف، بصيراً بعد العمى فكذلك المذنب العاصي إذا شَمَّ روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة وقول البهتان، يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً، وقريباً بعد ما كان قاصياً، ينظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب، ويوفق طول حياته، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء، ويحظى في الجنان بدرجات الالتقاء.

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله. هذه والله الراحة الوافرة،

والمنزلة السائرة، والحالة الرضية، والجنة السرية، والنعمة الهنية، والعيشة الرضية، لا تنال إلا بالوقار، لهذا الشهر الذي عظمه الجبار، وفُضِّل به محمد المختار، ومن لا يوقره كان مصيره إلى النار.

[٣٧٠] رمضان في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال بمنى: «إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتي والملائكة يضربونه وجهاً ودبراً، فيتعلق بي ويقول: يا محمد المستغاث المستغاث بك، فأقول: يا ملائكة ربي ما ذنبه؟ فيقولون: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة، فأقول: هل قرأت القرآن؟ فيقول: تعلمته ونسيته، فأقول: بشس الشاب بشس الشاب أنت، فلا هو يتركني ولا الملائكة يتركونه، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول: إلهي شاب من أمتي، فيقول الله تعالى: إن له خصماً قوياً يا أحمد، فأقول: ومن خصمه يا رب حتى أرضيه؟ فيقول الله تعالى: خصمه شهر رمضان، فأقول أنا بريء ممن خصمه شهر رمضان. ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان؟ فيقول الله تعالى: وأنا بريء ممن أنت بريء منه، فينطلق به إلى النار» فالله عباد الله لا تُهَوَّنُوا شهراً أعظم الله حرمة وأوجب حقه وقد فضلكم به عن سائر الأمم، وهو هدية من الله تعالى إليكم، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم، ويستتر عن النار عيوبكم، ويغشيكم منه الرحمة، ويرفع عنكم فيه النقمة. ويفضلكم بجزيل النعمة، ويشرح صدوركم بنور الحكمة.

[٣٧١] خسران العاصي في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سمعت جبريل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: يؤتى بشاب يوم القيامة باكياً حزيناً والملائكة تسوقه بمقامع من حديد ومن نار وهو يقول: الأمان الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له، ثم يساق فيوقف بين يدي الله تعالى فيأمر الله ملائكة العذاب أن تسجبه على وجهه إلى النار، قلت: يا جبريل من هو؟ قال: شاب من أمتك قلت: وما ذنبه؟ قال: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب إليه كي يغفر الله فأخذه الله بغتة» فالله عباد الله اسمعوا بأذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم، ويغفر العظيم من ذنوبكم.

هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم، يكرمه الله بجنات النعيم، والمستخف بحقه عند الله لئيم، مأواه في قرار الجحيم، مع الشيطان الرجيم.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان والناس في الموقف فيقولون: من هذا؟ نبي أم رسول أم ملك؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه!! فيقوم بين يدي الجبار جل جلاله فيقول: من كان له قبلي حق فليقم، فيقولون: من أنت؟ فيقول: أنا رمضان، قال النبي ﷺ: فتقوم أمتي إليه وبيده قضبان من نور تضيء ما بين المشرق والمغرب، فمنهم من يعطي قضيباً يضيء له مسيرة شهر، وآخر يضيء له مسيرة جمعة، وآخر مسيرة يوم، وآخر مسيرة ساعة، وآخر موضع قدميه، فمن شاء فليوقره ومن لا يوقره فيسألم عذاباً يصيبه عند الأنوار من الحسرة والندامة» فيا معشر أهل رمضان وقرّوا شهراً تنعموا فيه دهرًا، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك الكبير، ووقروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل، وقرّوا اليسير من الأيام تنظرون إلى وجه ذي الجلال والإكرام.

[٣٧٢] موعظة للحسن البصري

روي أن الحسن البصري مرّ بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال: إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضحك اللّاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون، وخاب فيه الباطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبيين، في شهر شرفه رب العالمين. فالله الله اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة، إلى أن يقضي بكم إلى دار الكرامة، والخلد والمقامة، وسرمد العز والكرامة، وينجيكم من هول يوم الطامة.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه

[٣٧٢] حديث «أحب الصلاة».

البخاري: كتاب التهجد، باب من نام عند السحر (١١٣١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص. وأبو داود: كتاب الصوم، باب في صوم يوم وفطر يوم (٢٤٤٨).

الصلاة السلام، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام، كان ينام من الليل نصفه، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

[٣٧٣] الصيام باب العبادة

روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: ليس في العبادات أفضل من الصيام لأنه باب العبادة. وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنوب وليس في الذنوب إلاّ عظيم، لأننا إنما نعصي بها الرب العظيم. وقد قالوا: لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت! تاب الله علينا حتى لا نعصيه. فالله الله عباد الله غُضُّوا ابصاركم في هذا الشهر العظيم وفي غيره عن النظر إلى المحظورات، واحبسوا ألسنتكم عن أخذ أعراض المسلمين والمسلمات، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوي الحاجات، وقوموا في لياليكم فيه بكثرة الصلوات، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات، وتضرعوا إلى الله في إقالة العثرات. عساه يبذل سيئاتكم بالحسنات.

فإن قيل ما الحكمة في فرض شهر رمضان؟ ففيه أقوال، أحدها أن الله تعالى أمرنا أن نصوم فيه ونجوع لأن الجوع ملاك السلامة في باب الأديان والأبدان عند الأطباء والحكماء. وقيل ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، والحكمة ملك لا يسكن إلاّ في بيت خال.

[٣٧٤] فضل الجوع

روي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال: من شبع من الطعام عجز عن القيام، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام، وإذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطاعات، وقعدت الجوارح عن العبادات. وأنشدوا:

تجوّع فإن الجوع يورث أهله عواقب خير عمها الدهر دائم
ولا تك ذا بطن رغب وشهوة فتصبح في الدنيا وقلبك هائم

وروي عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى عليه أنه قال: تجوّع بالنهار وقم بالأسحار تر عجباً من الملك الجبار.

وروي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال: لو كان الجوع يباع في

السوق لكان المرید محقوقاً إذا دخل السوق أن لا يشتري شيئاً غيره، والله تعالى قد فضلكم بدين الإسلام، ومنّ عليكم بشهر الصيام، والله أعلم. وأنشدوا:

وربك لو أبصرت يوماً تتابعني عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهداً
لأبصرتم قد حاربوا النوم وارتدوا بأردية الشهاد واستعملوا الكدّاً
وصاموا نهائراً دائماً ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستقربوا البعداً
أولئك قومٌ حسن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدُ

قيل أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لأنه ليس على أهل النار شيء أشد من الجوع وذلك أن الله تعالى يلقي عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع. فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة (عذاباً أليماً)﴾ [المزمل: ١٢] فيعبر في حلوقهم فيقولون: إنا كنا نبتلع الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون المهل كما قال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف: ٢٩] الآية. فأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الأمم، فأمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد ﷺ. وأنشدوا:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم يعص قلباً غاوياً حيث يمتا
قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت إذا ذكرت أمثاله تملأ الفما

وقيل فرض عليهم صيام شهر رمضان لأن الزهد زهذان، زهدٌ في الحلال وزهدٌ في الحرام وأشرفها الزهد في الحلال، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام. وقيل أراد الله تعالى بذلك انتباه الأغنياء ليعلموا حال الفقراء فيصوموا معهم وقيل حتى يذكروا بشدة الصوم شدة القيامة لأنه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع، وليعلموا أنه إذا كانت في طاعة الله تعالى شدة، فإن الجوع في النار أعظم شدة. فالله عباد الله اجتهدوا في حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يفوز فيه الصائم، ويحشر فيه المتأني المتهاون الظالم، إذا عرضت عليه الأوزار والجرائم، وانتهاك المحذورات والمحارم.

[٣٧٥] سبب فريضة الصيام

فإن قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوماً؟ فالجواب، أنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فإذا صمت ثلاثين يوماً أعانك الله في الموقف بالعافية والسلامة، والسعادة والكرامة ثلاثين سنة. فالحمد لله الذي جدوا واجتهدوا في هذا الشهر بلا إفراط، وخذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا من المكث الطويل على الصراط.

[٣٧٦] رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم، فإن أكرموا شأنه، وعظموا مكانه، وشرّفوا منزلته، وعرفوا فضيلته، رجع الرسول إلى السلطات شاكراً لأفعالهم، مادحاً لأحوالهم، راضياً لأعمالهم، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن إليهم كلّ الإحسان. وإن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته، ولم ينزلوه منزلته من الإكرام، وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم، وسيء أعمالهم، فيغضب السلطان لغضبه. كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان. فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، وهو رسول من عند الملك الديان، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام، وبطنه من أكل الربا والحرام، وأموال الأرامل والأيتام، غفر له الملك العلام، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام.

[٣٧٧] أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يصبح صائماً إلا فتحت له الجنة، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب فإن صلى ركعتين تطوعاً أضاءت له السموات نوراً، وإن سبّح وهلّل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتوارى بالحجاب». فالحمد لله عباد الله، يا أهل الذنوب، يا أهل المعاصي والعيوب، يا من عصى مولاه علام الغيوب، اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم، إذا وقفت بين يدي ربكم.

روي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل شهر رمضان: «إن الله فرض عليكم

شهر رمضان، وسنت لكم قيامه، فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه» وقال في حديث آخر: «ومن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة» فالله الله ارغبوا فيما رغبتكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم.

وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان: «مرحباً بالمطهر» قالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: «مطهر من الذنوب والخطايا» اللهم اكتب لنا فيه براء من النار، وشريعة من الإيمان. فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول في جوار ربكم، واحفظوا العهود في صيام شهركم فأدوا زكاة فطركم.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقاً بين السماء والأرض حتى يؤديها» فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبي الرسول، وأطيعوا رباً لا يحول ولا يزول، ولا تغيره الأيام ولا الدهور، لا إله إلا الله هو العزيز الغفور.

مجلس في تحريم الخمر وما جاء فيها

[٣٧٨] قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر في كتابه في ثلاث آيات فذمّها في الإثنتين وحرّمها في الثالثة. فالإثنتان الأولتان منسوختان، والثالثة الناسخة، وذلك أنها كانت تشرب في أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة، فالناسخة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فهذا تحريم، وكذلك نهى الله في كتابه كله تحريم في كل ما نهى عنه، كما كل ما أمر به فرض مفترض ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهي الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، وقد قال تعالى في آية أخرى ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] فقد قرن في نهيه بين الخمر والأصنام التي كانت تعبد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمها بعث رسول الله ﷺ مناد ينادي في المدينة: ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر، إن الله ورسوله يحرمان الخمر. فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه حين سمعوا المنادي. يقول: اسكتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادي، فلما تبينوا منه قوله قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فكفوا عنها وأهريقوا ما بقي عندهم منها، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم، فأنزل الله سبحانه ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣].

[٣٧٩] تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل في قوله سبحانه ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

[النحل: ٦٧]. قال الشيخ: وهذا ظاهره تعداد النعمة، وباطنه تعبير وتقريع وتوبيخ، يقول الله تعالى: رزقكم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن. فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا﴾ [النحل: ٦٧] فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكرًا، وبدلتم الطيب بالخبث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى في الخمر، ثم امتنع ناس من شربها وبقي على شربها الأكثرون حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

[٣٨٠] حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقى رجل من الأنصار وبيده ناضح له، والأنصاري يتمثل ببيتين من شعر لكعب بن مالك في مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما:

جمعنا مع الإيواء نصرًا وهجرةً فلم يرجُ (حيُّ) مثلنا في المعاشِرِ
فأحيأونا من خير أحياء من مضى وأمواتنا من خير أهل المقابرِ

[٣٨١] حمزة والأنصاري

فقال حمزة رضي الله عنه: أولئك المهاجرون، فقال الأنصاري: بل نحن الأنصار، فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصاري فلم يمكن الأنصاري أن يقوم به فانهزم وترك ناضحه فقصد حمزة إلى الناضح فضربه بالسيف فقطعه، ومضى الأنصاري مستعدياً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر حمزة وفعاله بالناضح، فأعطى النبي ﷺ الأنصاري ناضحاً.

[٣٨٢] عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما ترى ما تلقى من أمر الخمر يا رسول الله؟! إنها مذهبٌ للعقل متلفةٌ للمال، فأنزل الله تعالى بالمدينة ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] وقرىء كثير والمعنيان متقاربان ﴿ومنافع للناس﴾ [البقرة: ٢١٩] وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول: أين

المنفعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرّم عليها» فالجواب عن ذلك، أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالثمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالثمن الكثير، وكانت المنافع التي فيها من الأرباح. وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ [البقرة: ٢١٩] فانتهى عن شربها قوم وبقي قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري قوماً فأطعمهم وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلي بهم.

[٣٨٣] ابن أبي جمعة والخمر

وكان أكثرهم قرآنًا رجل يقال له أبو بكر بن أبي جمعة وكان حليف الأنصار، فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك. فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء: ٤٣] فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون، ثم يقومون عند صلاة الفجر فيصحون منها، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة.

[٣٨٤] سعد بن أبي وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناساً من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحى الجزور فضرب به أنف سعد ففزره فجاء مستعدياً إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة: ٩٠] الآية فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع التحريم هل وقع في قوله تعالى ﴿فهل أنتم متهون﴾ [المائدة: ٩١] أو في غير هذا الموضع. وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع في قوله تعالى: ﴿فاجتنبوه﴾ [المائدة: ٩٠] وقال الأكثرون منهم بل وقع في قوله تعالى: ﴿فهل أنتم متهون﴾ [المائدة: ٩١] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿أنصبرون﴾ [الفرقان: ٢] والمعنى اصبروا، وكذلك في الشعراء ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾

[الشعراء: ١١] والمعنى اتقوا. وكذلك في سورة يوسف ﷺ وعلى نبينا محمد وسلم قوله ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ [يوسف: ٤٧] والمعنى ازرعوا. وفي سورة الواقعة قوله ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾ [الواقعة: ٨٩] يعني الروح والمعنى ارجعوها، وكذلك قوله في الخمر ﴿فهل أنتم متهون﴾ [المائدة: ٩١] والمعنى انتهوا فقالوا عند ذلك: انتهينا انتهينا يا رسول الله، وهذه من الأخبار التي معناها الأمر. وقال بعض أهل العلم: إن تحريم الخمر في الآية التي في الأعراف قوله تعالى: ﴿إنما حرم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾ [الأعراف: ٣٣] والإثم هي الخمر، قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول
وقال آخر:

نشرب الإثم بالكؤوس جهاراً نترك الهتك بيننا مستعاراً
والهتك الأترنج. فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه، وأما تحريمها في الأنعام في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير﴾ [الأنعام: ١٤٥] فإنه رجس والدم رجس، والميتة رجس، والخمر رجس، بل الخمر أكثر رجساً، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالي. وأما قول الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

[٣٨٥] أحاديث في تحريم الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ مسكرٍ حرام» وما أسكر كثيره من جميع الأشرية فقليله حرام.

وفي حديث آخر قال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام» واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصدّه عن الإيمان وعن طاعة الرحمن، وأغلق في وجهه أبواب الخير كله. وأنشدوا:

الخمرُ داعيةٌ إلى العصيان والخمر قائدةٌ إلى النيران

والخمرُ شاربها يصدُّ عن الهدى
والخمرُ شاربها حليفُ ضلالة
شرب المدامةِ لِلإلهِ عداوةٌ
فبادروا التوبة يا أهل الزنا
وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى
فهى المحرمةُ التي تحريمها
ويبدل الطاعاتِ بالعصيانِ
ويبدل الإيمانِ بالكفرانِ
ومحبةٌ لِلْمَسَارِدِ الشيطانِ
وتقربوا لِلوَاحِدِ الديانِ
ومغالق الخيراتِ فِي الإيمانِ
فِي محكمِ الآياتِ وَالْقُرْآنِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخمر جماع الإثم» وهذا الحديث يخرج منه قول النبي ﷺ «ليس بين العبد والكفر إلّا ترك الصلاة» وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام، فهي جامعة للآثام، قائدة إلى الحرام، قاطعة عن طاعة الملك العلام.

[٣٨٦] الخمر شرُّ كلِّه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر» فهنا قد قال رسول الله ﷺ: «الخمر مفتاح كل شر» وما كان مفتاحاً للشر كله، كان مغلاقاً للخير كله. فإذا شربتم القهوة، وعصيتم رب الأرضين والسموات، وانغلقَت عنكم أبواب الخيرات، وانفتحت لكم أبواب المنكرات، وحلت بكم عظام المصيبات، وغضب عليكم رب الأرياب وسيد السادات، عاقبكم بأشد العقوبات، في دار المصائب والحسرات، ومحل العذاب والبلیات. وأنشدوا:

أهل الخمرِ من الرحمن قد بعدوا
وفي العذاب على الخسران قد وردوا
بشربهم من إله العرش قد بعدوا
وفي الصدور مع الشيطان قد قعدوا
دع المدامة لا تسلك طريقتها
فأهلها لنعيم الرب قد جحدوا
وقد تواعدهم رب السماء على
شرب الخمر بنار جمرها يقدُّ
غداً ترى أهل شرب الخمر كلَّهم
بدار ويل على النيران قد وردوا

[٣٨٧] قول ابن عباس في السكران

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: من بات سكراناً بات للشيطان عروساً، وللعروس حبيباً، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن، وإذا كنت

عَدُوّ الرحمن فأنّت من أهل الهوان، وفي سسوم النيران. عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره، ونهاكم بنهيه، ومنّ عليكم برفقه، ووسع عليكم من سعة رزقه. وجعلكم من خير الأمم، وأسبل عليكم جزيل النعم، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه، فإنه ذو انتقام وعذاب، ورحمة وثواب، فأطيعوا مولاكم في جميع الأمور، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمر، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. وأنشدوا:

يا شاربَ الخمرِ ترجو أن تنالَ به عفوَ الإلهِ وأنت اليوم مطرودُ
وأنت تشرب طولَ الدهرِ منهمكاً وأنت عن طاعةِ الرحمنِ مفقودُ

شربتم الخمر، وعصيتم الرب الغفور، وهتكتم الستور، وركبتم الفواحش والفجور، وتهاونتم بصعاب الأمور، ولم تفكروا في العرض والنشور، والوقوف بين يدي من يعلم ما تخفي الصدور.

[٣٨٨] ثمن الخمر خسارة

ذكر في بعض الأخبار، ما من عبد أنفق درهماً في الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من ربه سبعين درهماً، وجعل الله كل درهم ينفقه في الخمر سلسلة في عنقه من نار جهنم، وجعله ثعباناً يأكله في قبره إلى يوم القيامة، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه في نار جهنم، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله إليه، وإنما يكتب له صاحبُ الشمال، لأن رأس العبادات هي الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته، وصاحب الخمر لا تقبل صلاته فإذا تاب تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كلّ ذنب عمله في حال شربه، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يشتها الله تعالى وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه، ويكون أفضل ممن لم يشربها في الدنيا وأنشدوا:

لا تشرب الخمر يا مغرور إنّ لها وزراً عظيماً لدى الرحمن في الحشر
الخمر تبعد عن حق الإله وعن شرع الرسول الذي في محكم الذكر
إن السذي قطع الأيام يشربها له عذاب شديد كاشفُ الستر

روي أن النبي ﷺ أعار علياً بعيرين ليأتي عليهما بأذخر يستعين به على زفاف

فاطمة رضي الله عنها، فجاز بهما علي رضي الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه واستأجر يهودياً ليخرج معه، ويأتي بالأذخر وكان حمزة يشرب، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فتحرهما ودخل بأكبادهما، فجاء علي رضي الله عنه فوجد البعيرين نحيرين فمضى إلى النبي ﷺ فشكا إليه، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبي ﷺ.

[٣٨٩] كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضي الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال: ألتئم عبيدي!؟ فتأخر رسول الله ﷺ وقال: «لست بعبد لأبيك» فقال عمر رضي الله عنه: اللهم إن الخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال، فأنزل اللهم لنا في الخمر بياناً، فأنزل الله سبحانه ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس﴾ [البقرة: ٢١٩] إثم أي في تناولها، ومنافع للناس في ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف.

[٣٩٠] قراءة السكران

فقال قوم: نشربها لما فيها من المنفعة، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه، فقال عمر رضي الله عنه: اللهم أنزل علينا بياناً في الخمر فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء: ٤٣] فكانوا يشربونها في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبي وقاص ما كان مع الأنصاري وقد تقدم ذكره فقال عمر رضي الله عنه: اللهم أنزل علينا في الخمر بياناً، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان﴾ [المائدة: ٩٠] إلى آخر الآيتين إلى قوله: ﴿فهل أنتم متهون﴾ [المائدة: ٩١] فقالوا بأجمعهم: انتهينا يا رسول الله انتهينا، فعند ذلك بعث النبي ﷺ منادياً ينادي في المدينة؛ ألا إن الخمر قد حُرِّمت. قال أنس بن مالك: فسمعت النداء وأنا أسقي طلحة في رهط من الأنصار الفضيف والبرص والرطب فوالله ما انتظروا حتى قالوا: يا

أنس أخرجها عنا فأهريقفت في الحين فانتھوا . فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاھم ونبیھم ﷺ فما لكم لا تنأسوا بأفعالھم ، وتقتدوا بأعمالھم وتقفوا آثارھم ، وتسمعوا أخبارھم وتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعساه يجعل الجنة مأواكم ويكرم الآخرة مثواكم ؟؟ فراقبوه فإنه يراكم ويعلم سرکم ونجواكم والله أعلم . وأنشدوا :

لا يشرب الخمر إلا فاجرٌ بطرٌ قد خالف الله والقرآن والرسلاً
بئس الشراب وبئس الشاربون لها لا يسلكونه إلى دنياهم سبلاً
هي الدليل إلى دار الجحيم غداً بئس الدليل ولا يرجى لهم حوالاً
إلا يتوب عسى الرحمن يقبله فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلاً

[٣٩١] من مات يدمن الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة» وهي والله من ألد نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى : ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ [محمد: ١٥] يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات، في قرار الجنات، وعصيت رب الأرضين والسموات، بشربك القهوات المحرمات، في محكم الآيات، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات وأنشدوا :

أكثرت الخمر من عيوبي وزاد حزني مع الكروب
جلّ مصابي وضاق ذرعي واسودّ قلبي من الذنوب
يا ليتني تبّت باجتهاد لعالم الجهر والغيوب
الخمر مفتاح كل شر لكل عاص لها شروب

[٣٩٢] عذاب شارب الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذباً أو مغفوراً له، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة

[٣٩٢] حديث «بعثني الله رحمة».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦) من حديث أبي أمامة.

الفردوس» فيا معشر الإسلام، أطيعوا مولاكم الملك العلّام، ولا تخالفوا القرآن والأحكام، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام وأنشدوا:

إلى الله أشكو ضيق صدري من الضرِّ وعظم خطايا كالجبال وكالقطرِ
لعلَّ إلهي أن يجودَ بعفوه وينقذ عبداً عام في غمرة السكرِ
ظلوماً غشوماً لا يفارق محرماً ولا يستفيق الدَّهرَ من فتنة الخمرِ
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي لئن لم يجد لي عالمُ السرِّ والجهرِ

[٣٩٣] شارب الخمر في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة: خذوه، فيبتدرون له سبعون ألف ملك. فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رؤوس الشياطين ولا يكاد يسيغه فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع في بطنه فهي تجري فيه مثل الوحوش في البرية» أيها المصرون على الجراح والآثام، المترفون في شراب المسكر الحرام، أنفيتم أعماركم في الكذب والزور، وضيعتم أيامكم في الجهل والغرور، وقطعتم أوقاتكم في الفسق والفجور، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمر، أما علمتم أن الخمر متلفةٌ للمال، مذهبةٌ للبهاء والجمال، عاقبتها إلى وبال، ويؤول شاربها إلى شر مآل الخمر أولها لهو ومزاح، وآخرها بكاء ونياح، امرأة شارب الخمر في كل وقت مطلقة وثيابه في كل حين ممزقة. شارب الخمر خليل الشيطان، شارب الخمر عدو الرحمن، شارب الخمر بعيد من الإيمان، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران، شارب الخمر في بحار السخط عائم، شارب الخمر على عذاب النار حائم، شارب الخمر مخالف للتنزيل، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين. أما علمت يا من بعد من الإحسان، وتقرب من الفسوق والعصيان، وحل في سخط المهيمن الديان، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق، قاطعة للخير والأرزاق، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق. أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد، وتلقيه في الضلال والفساد، وتوقع العداوة والبغضاء بين

العباد، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد. وأنشدوا:

الخمير ولأدة للشير أجمعه ومن ولادتها العصيان والكفرُ
تعصي الإله إذا ما عشت تشربها وتبعد الخير والإحسان والشكرُ
العبد يشربها واللعن تابعه والخزي شامله والويل والعسرُ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الخمر وشاربها وساقبها وعاصرها ومعتصرها وباعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إليه وآكل ثمنها والدال عليه» يا أخي قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر واللعنة هواناً للعبد، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه عذابه وحر ناره، فبادر يا شاربها إلى المتاب، فإن الله قد حرّمها في الكتاب، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب. وأنشدوا:

يا من يبيت على شرب الخمر ولا يخشى الإله ولا يخشى من النارِ
تعصي الإله ولا تقضي فرائضه عارٌ عليك وما في التوب من عارِ
فتب من الخمر للرحمن خالقنا وكل ذنب قديم العهد أوتارِ

[٣٩٤] الخمر جريمة عظيمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن تاب تاب الله عليه، والذي بعثني بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوماً، وكان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من الخبال» قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه: هو صديد أهل النار وقيحهم. وفي بعض الأخبار لو أن قطرة من الخبال ألقيت من السماء السابعة لمات أهل السموات والأرض من التنن، فإن الله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمر، وهتك الستور، وعصى الملك الغفور، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور، وغره بالله عدوه الغرور. وأنشدوا:

تعصى الإله وتأتي الخمر تشربها وترتجي من إله العرش غفراناً
وأنت تحوي فعال الخير أجمعها وقد جمعت من العصيان ألواناً
فتب ولا تتمادي في الضلال عسى تلقى إلهاً كثير العفو رحماناً

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الأمهات، وأسبغ عليكم جزيل نعم والخيرات، وهداكم بفضلته إلى الصوم والصلوات، ووعد من أطاعه

بالخيرات في الجنات العاليات، وتواعد من عصاه بالخيات وشدائد العقوبات. أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات، ومفتاح الكبائر والخطيات، وباب المصائب والرزيات، وموجة لغضب رب الأرضين والسماوات، ومخرية الديار بوقوع الشتات. فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فإنها أم الكبائر والآثام، ومن شربها فقد خالف القرآن والأحكام، وحل في سخط الملك العلام؛ أما تستحي يا مطرود من باب الله، يا مخالفاً لحدود الله، يا مؤالفاً لأعداء الله، من رب منّ عليك بنعمة الإسلام، وجعلك من خير أمة أخرجت للناس، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فعصيت يا مغرور مولاك، واتبعت غيك وهواك، ونسيت النعم التي أولاك، ولم تنته عمّا عنه نهاك. أهذا جزاء من أحسن إليك، وسترك وأنعم عليك؟ بشئ ما صنعت يا من ظل في المعاصي سرّاً وجهراً، يا من بدل نعمة الله كفراً، يا من هتك بعصيانك حجاباً وسترّاً، يا من حرم بذنبه توفيقاً ويسراً، يا من أورثه العصيان سرّاً وعسراً. أما تستحي يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود، يا من خالف الأحكام والحدود، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود، عبثاً حلالاً أخرجته من العود، تعصر منه خمراً تعصى به الملك المعبود؟ ما أجهلك بطريق المتقين، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين، يا قليل الدين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا خليل الشيطان اللعين، ستعلم غداً إذا وقفت بين يدي أسرع الحاسبين، وأمر بك إلى العذاب المهين، فحيثنّ تقول بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، اللهم تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

[٣٩٥] وفي صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمة محمد ﷺ من سائر الأمم. الحكمة في ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الأمم أعماراً، جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل في الجنة وهي كالأيام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير. فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجراً كبيراً، فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات، ويتقرب فيه بالصدقات، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات، وصومه سنة مستحبة لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٣٩٦] ثواب صيامه

«من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد، وثواب كل حاج ومعتبر في ذلك العام، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها، وقيام ليلاتها، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة». فالله الله عباد الله تقربوا إلى الله في يوم عاشوراء أيما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فإن يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم، ويضاعف الأجر للمؤمن السخي الكريم، ويجزي الله جل جلاله معطي الزكاة جنات النعيم، ويبدل فيه السخط على الشقي اللثيم،

الذي يمنع الزكاة المفروضة في القرآن الحكيم. فالله الله معشر المؤمنين، وجماعة الموحدين ارغبوا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة، التي ليس لها زوال ولا انقطاع، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة، ومن كسا فيه مسكيناً فكأنما كسا مساكين أمة محمد ﷺ وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض في يوم عاشوراء، وخلق الشمس والقمر في يوم عاشوراء، والنجوم كمثلها، وخلق العرش والكرسي في يوم عاشوراء، وخلق القلم في يوم عاشوراء، واللوح كمثلها، وخلق جبريل في يوم عاشوراء، وملائكته كمثلها، وخلق آدم في يوم عاشوراء، وحواء كمثلها، وخلق الجنة في يوم عاشوراء، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء ونجاه الله من النار في يوم عاشوراء؛ وهده الله في يوم عاشوراء، وأغرق الله فرعون في يوم عاشوراء، ورفع عيسى في يوم عاشوراء، ورفع الله ادریس في يوم عاشوراء، وولد عيسى بن مريم في يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء». ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء.

[٣٩٧] الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت، ومن اكتحل بالانمد يوم عاشوراء لم ترمد عيناه في تلك السنة كلها، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام، ومن سقى مؤمناً شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشاً، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة

الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً وخمسين عاماً مقبلاً، وبني له الله ألف منبر من نور الله عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب.

روي أن موسى عليه السلام قال: مكتوب في التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه، ومن كسا فيه عرياناً فكأنما كسا جميع خلق الله، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شجرة على رأسه سبعمئة شجرة تحمل من الحلي والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملاً قلبه نوراً، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات في الجنة، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً، ومن قرأ آية في كتاب الله في ليلة عاشوراء أو في يومها أعطي من الثواب مثل ما أعطي لإدريس عليه السلام، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيباً في عبادة الخائفين، ومن أتى عالماً في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطي مثل ثواب المهاجرين والأنصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي، ومن صام يوم عاشوراء محتسباً عالماً بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلًا وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل في بقيته وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى.

[٣٩٨] النفقة على الميال

وتستحب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلباً لمرضاته ولوجوب البركة فيه، فإنه روي «أن من أنفق فيه درهماً أخلف الله له

سبعمائة. وكل درهم ينفقه فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والأرضين السبع».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أكثروا خير بيوتكم في ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويجمل، فمن لم يجد فليوسع خلقه - أظنه مع قرابته - وليعفُ عمَّن ظلمه.

[٣٩٩] بنو إسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو إسرائيل ويعظمونه، وكانت قريش تصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ. فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات المرتفعات، وتخلف فيه النفقات، وتكثر فيه البركات. ويفرح فيه أهل الفاقة والحاجات. يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال؛ ويوسع فيه على العيال، وتزكوا فيه الأفعال والأقوال، ويرحم فيه عبده ذو الإكرام والجلال. يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام، وتربح فيه الكرام، وتخسر فيه اللثام، لمخالفتهم القرآن والأحكام، وعصيانهم الملك العلام. يوم عاشوراء تفرح فيه الأرامل والأيتام، ويرحم فيه ذو الجود والانعام، ويغفر فيه السيئات والإجرام، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الأقفال، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال، ويفتح في قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم - إن أطعمتموه شر مآل، يا أخي البخيل صاحب الشيطان الدليل، يمنع الزكاة، ويقل النفقات، ويفوت نفسه جميع الخيرات. فعيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء فيا معشر المؤمنين كونوا كراماً ولا تكونوا لثاماً فإن الكرام في جنة الخلد والنعيم، واللثام في عذاب الجحيم فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بأداء الزكاة، وتطوَّعوا فيه بالنوافل من الصلوات. فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات.

[٣٩٩] حديث «لما قدم المدينة».

أبو داود: كتاب الصوم، باب في صوم يوم عاشوراء (٢٤٤٢) من حديث عائشة.

[٤٠٠] صيامهم له

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى افترض على بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسّعوا فيه على عيالكم وأهليكم» فمن وسّع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيًا ليلة عاشوراء أو أصبح صائماً إلا مات ولم يذق طعم الموت، يا أخي إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركتها عليك ليوم القيامة، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهماً أو مثقالاً إلا أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفاً مثل ما أنفق، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله يا عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغثوا الملهوف، يغثكم الرب الرحيم الرؤوف.

[٤٠١] كل معروف صدقة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل معروف صدقة، والمعروف يقي سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء» والمعروف والمنكر منصوبان للناس في المحشر يوم القيامة، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار. أعاذنا الله وإياكم من النار. فالله الله احرصوا أن تكونوا من أهل الجنان، ولا تكونوا من أهل النيران، واجتهدوا في الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان.

[٤٠٢] أهل المعروف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبيب إليهم المعروف وحبيب إليهم فعالة، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها، وإن الله

[٤٠٠] حديث «إن الله افترض على بني اسرائيل...».

ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٩٧). وقال: رواه ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعاً وساقه في اللآلئ مطولاً وفيه من الكذب على الله وعلى رسوله وهو موضوع بلا شك.

[٤٠٢] حديث: «إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف...» قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد.

إتحاف السادة المتقين (٨ / ١٧٨).

تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعالة، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه كما حظر الغيث عن الأرض المجذبة، ليهلكها ويهلك أهلها، وما يغفر الله عز وجل أكثر فالله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف. فكونوا من أهل المعروف، وأعينوا الفقير وأغِيثوا الملهوف، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رؤوف.

[٤٠٣] إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحَب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى في يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذي معه رغبة في فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالا حلالاً يزكى عليه. فإياكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين، لأنه قد جاء في الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان في قلبه سبعين باباً من الفقر حتى يحول بينه وبين إخراجها، فإن مَنْ الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكرياً من المشركين وقتلهم. ويدل على صحة هذا القول أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم على إخراجها لبس درعه وتقلد بسيفه وأخذ رمحه وركب فرسه فتقول الصحابة رضي الله عنهم: مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك؟ فيقول: أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكاة فجهد الشيطان هو الجهاد الأكبر، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك إلى فقر نفسك، ويصدقك عما وعدك ربك جل جلاله حين قال عز وجل ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسعٌ عليم ﴿[البقرة: ٢٦٨] والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذي يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله. وقوله تعالى: ﴿عليم﴾ أي عليم بما يفعله العباد من الخير والشر، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى، يقول المولى جل جلاله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ [سبا: ٣٩] فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم

جل جلاله في الخلف ولا تطيعوا الشيطان الذي يعدكم الفقر والتلف .

[٤٠٤] اللعنة على مانع الزكاة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل من السماء في كل يوم اثنان وسبعون لعنة على مانعي الزكاة من هذه الأمة وقد سمّاهم الجليل جل جلاله كفاراً في قوله تعالى: ﴿وويل للمشركين الذين لا يأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ [فصلت: ٦] وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو والحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله: هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضي وحقوقي، ثم قال عز وجل للفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) في أموال الأغنياء وقال لهم عز وجل: هذه أرزاق الفقراء من عبادي وديعة في أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبي وسخطي فإني قد ائتمتكم عليها.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من يوم إلّا وملكان يناديان تحت العرش المال مال الله والعباد عباد الله فإن جاع الفقراء عذب الله الأغنياء». فالله عباد الله أوفوا لديه بالعهود، وارغبوا في دار النعيم والخلود، ومجاورة الملك المعبود.

[٤٠٥] من شبع وجاع جاره

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائعاً» وقد جاء في الحديث «إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا الغني لم منعني معروفه؟ وسدّ بابَه دوني؟» وفي حديث آخر يقول: «يا رب سل هذا لم بات طاعماً وبت إلى جنبه طاوياً؟».

ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد في وصيته: «يا أسامة

[٤٠٥] حديث «إن الجار الفقير».

ذكره الذهبي في ترجمة بشر بن زياد الخراساني مستشهداً به على أن بشر يأتي بالمناكير. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٨). أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣١٦١) من حديث أسامة بن زيد.

إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فإنه يقول ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره طاوياً إلى جنبه».

وقال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعاً وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد برىء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ» فيا لها من خسارة لم تدبرها بعقولنا، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف، وزمن لا يمتلكون قيمة رغيف، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال، وتضيعوا للفقراء وأهل الاقلال، فإن غاية كل شيء الانقلاب والانتقال، والنفاد والزوال. وقد ذكر في تفسير هذه الآية ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [البقرة: ٦١] قيل يحرص العبد على جمع الحطام، والسحت والحرام، وكل من أدى زكاة ماله فهو كريم، قد برىء من وعد الشيطان الرجيم، ووثق بوعد العزيز الرحيم، ونجا من العذاب الأليم.

[٤٠٦] حديث في ذم الشح

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». وأنشدوا:

صافي الكريم فخير من صافيته من كان ذا كرم وكان عفيفاً
إنَّ الكريم وإن تضعض حاله فالفعلُ منه لا يزال شريفاً

روي عن النبي ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي. فقال رسول الله ﷺ: «ما ذنبك؟ صفه لي» فقال الرجل: هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الأرضون؟» قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الجبال؟» قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم السموات؟» قال بل ذنبي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الله؟» قال: بل الله أعظم وأجل، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك فصف لي ذنبك» قال: يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني شيئاً فكأنما يستقبلني

[٤٠٦] حديث «أنه كان يطوف بالبيت».

قال العراقي: الحديث بطوله باطل لا أصل له. (إتحاف السادة المتقين ٨ / ١٩٧)

بشعلة من نار قال رسول الله ﷺ: إليك عني لا تحرقني بنارك، والذي بعثني بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام، ثم صليت ألف عام وألف عام، حتى تجري من دموعك الأنهار، وتسقي بها الأشجار، ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار، ويحك أما علمت أن الله تعالى قال: ﴿ومن يوق شح نفسه فأُولَئِكَ هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩]. وأنشدوا:

إن البخیل إذا ما مات يتبعه سوى الثناء ويحوي الوارث الإبلأ
يرى البخیل سبیل المال واحدةً إنَّ الجواد يرى في ماله سُبلأ

[٤٠٧] عظة في الحض على الزكاة

فأله الله يا معشر المؤمنين كونوا من الأسخياء الصالحين، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين، فالبخل هو شريك الشيطان اللعين، قال الله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد رعدهم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً﴾ [الإسراء: ٦٤] فكل مال لا تؤدي زكاته فصاحبه خازن الشيطان، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان، حبيب الرحمن، وامل بالسنة والقرآن، وناج من عذاب النيران، وداخل في نعيم الجنان. فكل من مات وترك مالاً قد أدى زكاته فإن صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة، وكل من مات وترك مالاً لم يؤدي زكاته فلا يزال وزره يجري عليه إلى يوم القيامة، وإن وصله وقع المال عند من يزيكه، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه إلا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقاً من نور الجنة يضيء لأهل الجمع من المؤمنين حتى يعجزوا الصراط ويدخل به الجنة، وما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا طوّقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم لو أن ذلك الطوق وضع في الدنيا لاحتقرت الدنيا كلها وتقطعت جبالها وجفت بحارها. فوالله لو لم يكن فخر الكريم السخي إلا ذكر الله تعالى له في كتابه لكفي في قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأُولَئِكَ هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام، وتفضح في اللثام. وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ، وهو يوم النفقة في الله فيه مخلوفة،

[٤٠٧] حديث «أي الصدقة أفضل».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤١٥) من حديث أبي هريرة.

والنفقة فيه في غير الله متلوفة. فإذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات، فأولى أن تغفر فيه الخطيئات، وتتضاعف فيه الحسنات وينجي الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وتظهر فيه السرائر والخفيات. وأنشدوا:

يا جامعَ المالِ يَرجو أن يدومَ له كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلثُ مالي للمساكين
روي أن النبي ﷺ: سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا».

[٤٠٨] من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلاً مات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالا كثيراً فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال: «هل من وارث؟» فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين» فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال، فجيء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلي وذهب وورق وثياب. فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا المال إلي بيت مال المسلمين» فرفع كما أمر رسول الله ﷺ، فالتفت عبدالله بن عمر رضي الله عنه في المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال: يا رسول الله هذه من ذلك المال، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها في كفه وجعل يقلبها في يده ثم قال ﷺ: «لو تصدق بها في حياته حين كان صحيحاً شحيحاً يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحب إليه من هذا المال كله يعطى من بعده في سبيل الله» فالحمد لله عباد الله اسمعوا صواب المقال، وبادروا إلى حسن الفعال، ولا تغفروا بالعز والمال. فإن المال يذهب، والدنيا تخرب، ونفسك تموت، والمرد غداً إلى الحي الدائم الباقي الذي لا يموت، واعلم يا أخي أنك مرتتهن بالذنوب، وأنت محاسب مطلوب، مسئول بين يدي علام الغيوب، فاستعد للسؤال، ونهياً للجدال، في يوم تشيب فيه الرؤوس، وتضيق من فظاعة هولة النفوس، ذلك يوم هائل عبوس. يوم تضع فيه الحوامل أحمالها، وتزلزل الأرض زلزالها، وتخرج

بأمر الله بعد ذلك أنقالها . يا مغرور يا مسكين، ظلمت الفقراء والمساكين، وتركت مالك للوارثين، ولم تخف من عقوبة رب العالمين، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين . وأنشدوا:

ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلثُ مالي للمساكين
روي أن النبي ﷺ: سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا» .

يا جامعَ المالِ لأولاده	يخشى عليهم شمت حساده
ولا ييالي كيف كان الغني	يغترب بالله وإيعاده
اسمع مقالاً سوف تحظى به	إن أنت لم تعمل بأضداده
بنوك إن لاذوا بمولاهم	وتابعوا منهج إرشاده
فالله يكفيهم ويحميهم	والله لا خلف لميعاده
وإن يحددوا عن سبيل الهدى	وقابلوا الدين بإفساده
فقد يكن مالك عوناً لهم	في طاعة الله وأجناده

قيل وقف رجل في حلقة منصور بن عمار في يوم عاشوراء فقال: أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل، وأنفق من كفاف، وآثر في فاقة. فقال لهم منصور: معشر الناس ما ترك منكم أحداً. فلم يكن أحد في المجلس إلا واساه، قال منصور بن عمار: اللهم عجل لهم بالخلف في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، قال منصور: فلقد افتقدت أهل مجلسي كلهم واحداً بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال: أخلف الله علي سبعين ضعفاً مما أعطيت. قال منصور: فأخذتني عيناى فمنت قرأيت قائلاً يقول: أبشر يا منصور قد غفر الله لجميع من كان في ذلك المجلس فأخبرهم بذلك، وقد غفرت لك فأنت الذي دلتهم على الخير فالله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه .

[٤٠٩] تحذير من البخل

ذكر في بعض الأخبار أن ملكاً ينادي كل يوم تحت العرش، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر. وأنشدوا:

لا تؤثرن بما جمعت سواكَا الموت لا تدري متى يغشاكَا
إن البنين مع البنات رأيتهم يتطلعون ويشتهون فناكَا
من كان يعلم أن مالك ماله بعد الممات فلا يحب بقاكَا

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا في ثواب يوم فضله الرحمن، ووعد من
أدى زكاة ماله جنة الرضوان، وأتاب مؤدي الزكاة إخلاص الإيمان، وذم مانع
الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان، وبين ذلك في القرآن. وأنشدوا:

يا جامعَ المالِ في الدنيا لوارثه هل أنت بالمال بعد الموت تنتفعُ
قدّم لنفسك قبل الموت في مهلٍ فإن حظّك بعد الموت ينقطعُ

[٤١٠] من أقرض الله فضاعفه له

ذكر أن رجلاً دخل بعض الأسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلاً يقول: ﴿من
ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ [الحديد: ١١] قال:
فقام إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير، فلما كان العام القابل إذا بالرجل
السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة؛ فقال الرجل الذي
رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير: يا أخي أقسمت عليك أما أنت الذي أعطاك
فلان التاجر العشرة دنانير عام أول في يوم عاشوراء؟ قال: نعم، قال: قلت: ألم تك
فقيراً ذلك اليوم؟ قال: بلى! قال: قلت له: فما أغناك؟ قال: لما علم الله صدق نيتي
وأني ما أخذت الصدقة إلا وأنا محتاج، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق بإعطائها
بارك لي في تلك العشرة دنانير وأنماها لي حتى وجبت علي اليوم عشرة دنانير زكاة في
مالي قال: فلما سمعت منه ذلك مضيت إلى الرجل الذي كان تصدق عليه بالعشرة
دنانير فقلت: صف لي قصتك في العام الماضي في يوم عاشوراء إذ جاء الرجل الذي
قال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾
[الحديد: ١١]، فقال الرجل المتصدق: إنه لما قرأ هذه الآية وقع في نفسي أن الله
سبحانه سيخلف علي في الدنيا ويوفيني في الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية
فرايت ربي جل جلاله في منامي وهو يقول: يا عبدي قد أنجزت الأمرين وقد
أوجبت لك الجنة.

[٤١١] يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمون يوم النحس لقتل الحسين رضي الله عنه فيه، وهذه غاية السخافة في الجهالة وفي معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء، ولولا البغي والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذا استشهد في مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين. هذا ورسول الله ﷺ أخبره جبريل عليه السلام بقتله.

[٤١٢] الحسين وجده

قالت أم سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مع الحسين في منزلي إذ دخلت عليهما فطالعتهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجري على خديه، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله اطلعت عليك وفي يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكي؟! فقال لها النبي ﷺ: إني لما فرحت به وهو على صدري يلعب إذ أتاني جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التي يقتل عليها الحسين، فلذلك بكيت.

[٤١٣] رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضي الله عنه في منامه يوم قتل الحسين، رسول الله ﷺ ويده قارورة وهو يلتقط شيئاً من الأرض قال: فقلت له: ما هذا يا رسول الله، قال: قتل ولدي الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه في القارورة وأرفعه إلى الله تعالى. فكان كما رأى رضي الله عنه. وقيل لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول:

شأمضي فما في الموت عارٌ على الفتى	إذا ما نوى حقاً وحارب مجرمًا
وواسى الرجال الصالحين بنفسه	وخالف مشبورا ووافق مسلمًا
وجاهد في الرحمن حق جهاده	كفى بك ذلاً أن تعيش فتغرمًا

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين: ما وراءك يا أبا فراس؟ قال: أصدقك أم لا؟ قال: الصديق أريد، قال: أما القلوب فمعدك، وأما السيوف فمع بني أمية عليك. قال له الحسين: ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد للمال، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ما ردت به معائشهم، فإذا تحولوا للإبتلاء قل الديانون. ثم التفتت إلى أصحابه وقال: على الخير سقطن.

[٤١٤] آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن: لم نر هذه الحمرة في السماء إلا حين قتل الحسين ووجد على حائط قسطنطين:

أترجو أمةً قتلت حسيناً شفاعةً جدّه يوم الحساب
ويقال ناحت الجن على قتل الحسن سبعة أيام حتى سمعت من تحت السبع
أرضين، وأبكت الملائكة أجمعين.

[٤١٥] حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضي: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره؟ قال: فكان يقول: شهدت قتل الحسين ولكنني لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال لي: أجب رسول الله ﷺ، فقلت: ما لي وله؟ فأخذني وجذبني جذبة شديدة وانطلق بي إليه، فإذا رسول الله ﷺ جالساً في المحراب مغتماً حاسراً عن ذارعيه آخذاً بخصده وبين يديه نطع وملك قائم بين يديه، وبين يدي الملك سيف من نار وكان لي تسعة من الأصحاب فقتل أصحابي التسعة كلما ضرب الملك أحداً انتهت نفسه ناراً، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات، فدنوت من النبي ﷺ وحبوت إليه فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال لي: صدقت ولكن كثرت السواد، أدن مني فدنوت منه فإذا طشت مملوء دماً من دماء الحسين، فكحلني من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئاً.

[٤١٦] حكاية عن قتلة الحسين

وقال الفضل بن الزبير: كنت قاعداً عند السدي فجاءه رجل فجلس إليه فإذا منه ريح قطران، فقال له السدي: أتبيع قطراناً؟ فقال: لا. قال له: ما هذه الرائحة؟ قال: شهدت عسكر عمر بن سعد فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله ﷺ في النوم والحسين وعلي معهم وهو يسقي الماء من قتل من أصحاب الحسين، فاستسقيته فأبى أن يسقيني، قال: فقال لي: ألسنت ممن أعان علينا؟ فقلت: بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد، قال: فقال: لعلي أسقه قطراناً، قال: فناولني قدحاً فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة علي. قال: فقال له السدي: كل خبز البر وكل من كل النبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعاین الجنة ولا محمد أبداً.

[٤١٧] من استخف بالحسين

حكى أن رجلاً ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال وعلى وجهه الاستخفاف -: ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون: إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب ببلاء، وإني حضرت يوم قتله ولم يصبني بلاء ولا شيء، قال: وكان ضيفاً عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل ناراً ومات على المكان.

[٤١٨] بر سليمان بن عبد الملك للحسين

وحكى عن الحسن البصري أنه قال: رأى سليمان بن عبد الملك في النوم أنه يبره ويلطفه، فسأل الحسن عن ذلك فقال: لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفاً؟ قال: نعم، إني وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمساً من الدُّيَّاج وعليت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته. فقال الحسن: إن رسول الله ﷺ قد رضي عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري وأمر له بالجوائز. فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا في غاية الإسراف.

[٤١٩] في قتل الحسين

ورأيت في كتاب التعازي والعزاء من وضع أبي محمد عبدالله بن محمد البللوري أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو

عطشان، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة، وذبح ذبْحاً وسييت حرمة وحملن مكشفات الرؤوس على الأكف بغير وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهما على رمح، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها جارس بسوطه، ووقف أهل الذمة لهن في سوق دمشق يبصقون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمة حوله ووكل به الحرس وقال: إذا بكت منهن باكية فالطموها. فظللن ورأس الحسين بينهما مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت: يا جداه - تريد رسول الله ﷺ... هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لكمة حصر وجهها، وثلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي:

لقد ضلَّ قومٌ أصبحوا في تلددٍ	سباياهم في الحرب آل محمدٍ
كما ضل سعي الناكبين بعجلهم	فأعقبهم لعناً بدين التهود
وموسى وعيسى بُشراً بمحمد	عليه سلام الله من متهم
أيا أمة الإسلام يا أمة الذي	هدى الله منا بالنبي كل مهتد
وثوب لأبناء النبي فلو ترى	بنو اللعن إذ عنوا لهم بالتهدد
بسوق دمشق يبصقون وجوههم	فداء لها نفسي وما ملكت يدي
فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب	ولا زندي للوحسين بمصلد

[٤٢٠] عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوماً فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب، تحت كل عمود قائدٌ من حشمه تحت يده ألف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال في نفسه: يا ليتني وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسي ومالي وحشمي، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله ﷺ، فقال له: قل لعمرو بن الليث: اطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل. فجاءه فأخبره فبكى بكاء شديداً.

[٤٢١] من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه، قال وهب بن منبه: أنزل

الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال: يا آدم هذا خاتم عهدي فإذا نسيت عهدي يا آدم اخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائي من لا ينسى عهدي وأورثه خلافتك، ففرغ آدم وقال: يا ربي من هذا الذي تورثه خلافتي؟ قال الله تعالى: ولدك سليمان، أسلمه من الكبر وأجعله مثلاً للمردة من ولدك الذين يفسدون في أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكاً في أكنافها. فأخذ آدم عليه السلام فتختم به فكان يضيء لنوره أشجار الجنة، وتضحك حور الجنان، وتميل الخزنة لرؤيته عجباً منه ومن حسنه وجماله فسبحان من أكرمه واصطفاه ﷺ حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيراناً فرعاً مذعوراً حتى استجار بركن من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال: إلهي وسيدي هذا آدم قد رفضني وأنت قد طهرتني به وجعلتني لأهل الطهارة، فقال الله جل جلاله: استقر فلك الأمان، وسنجعلك لمن نسله من الكبر ونعزه بك على أن لا يملكك أحد بعده أبداً، فلما اصطفى الله سبحانه سليمان عليه السلام بالخلافة والولاية وأحب أن يرى عباده قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام في ذلك الخاتم وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة، وسليمان قائم في محرابه وخلفه إثني عشر سبطاً في كل سبط إثني عشر ألفاً من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلمهم الطير من فوقهم فينما سليمان عليه السلام في قراءة الزبور إذا ناداه جبريل عليه السلام.

[٤٢٢] خاتم سليمان

وقال له: السلام عليك يا سليمان هذه هدية الله إليك، خذ هذا الخاتم فتختم به، فسجد سليمان لله رب العالمين شكراً وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيماً لله عز وجل وتحميداً له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع في يده كالبرق الخاطف فقال لهم: هذا خاتم جمع الله لي فيه سلطاني وعزتي وفضلني به على العالمين، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقي نقي قالوا له: قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقي النقي الأمين، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الأول؛ أنا الله لم أزل وعلى الثاني، أنا الله الحي القيوم، وعلى الثالث، أنا الله العزيز لا عزيز غيري وعزيز من

ألبسته إياه، وعلى الرابع آية الكرسي، محيط به لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء. فهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام.

[٤٢٣] كيف نجا أسير

وحكي أن أميراً كان يأيدي الكفار وكانوا يغذبونه، فلما كان في يوم عاشوراء قال: اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلا ما فرجت عني، قال: فلطف الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه، وقيل خرج أسير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجيني وتحفظني منهم، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجأ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر عليه عند الليل فنام وأطعم وسقى في النوم لفضل يوم عاشوراء. فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب. وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا في فضله، لا حرمتنا الله فضله وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب، وستر علينا ما أتينا من القبائح والعيوب.

[٤٢٤] دعوات صالحة

اللهم كما تبت على آدم في عاشوراء فتب علينا، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا، وكما رفعت إدريس مكاناً عالياً فارفعنا، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبتنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهاييل واجعلنا يا رب من أحبائك كما فعلت بالخليل.

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم، وأهلك أعداءنا كما أهلك أعداء موسى في اليم.

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى، وانزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا.

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى.

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما فات منا من طيبات التقى.

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر وما أعلننا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا عماد من لا عماد له ويا ذخرك من لا ذخرك له ويا حرز من لا حرز له ويا ناصر من لا ناصر له ويا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عثرة العائرين ويا أرحم الراحمين أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا.

اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الإحسان من نفسك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ووجدناك كريماً فدعوناك ولقيناك رحيماً فسألناك.

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت صرعتنا وآنس في اللحود وحشتنا، وارحم بين يديك ذل موقفنا، واغفر لنا ما خفي على الناس من أعمالنا.

اللهم انظر إلينا النظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزي والعلل.

اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك، ومحوت عنه عفوك، وأغلقت عنه باب التوبة، وقطعت من يديه أسباب العصمة وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه، ووكلته إلى نفسه، إنك على كل شيء قدير.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا ما رزقنا وبارك لنا فيما أعطيتنا ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطاناً ولا سبيلاً يا أرحم الراحمين.

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا للعسرى .

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطيك رزقاً طيباً مباركاً فيه .

اللهم إهدنا للهدى وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة واقية في الدنيا والآخرة .

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا همماً إلا فرجته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا غائباً إلا أدنيت ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها .

اللهم أذ دين المدينين ، وفرج عن المهمومين والمكروبين ، واكتب سلامة المسافرين في البر والبحر أجمعين ، وجاز اللهم خير المحسنين .

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم منقلبنا ومثوانا وسرنا ونجوانا إليك مردنا ومصيرنا أنت فوق العباد بعزتك ؛ أنت الخالق ونحن المخلوقون ، وأنت المالك ونحن المملوكون أنت الرب ونحن العبيد ، أنت الغني ونحن الفقراء إسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا فإن ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مجلس في قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾

[٤٢٥] مثل ضربه الله المولى البصير السميع، لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة في القرآن، من نور الملك الرحمن. فقال خالق الطول والعرض، الذي عبد بالنوافل والفرص ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السموات والأرض. ثم قال تبارك وتعالى ﴿مثل نوره﴾ [النور: ٣٥] يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين ﴿كمشكاة﴾ [النور: ٣٥] يعني قلب المؤمن، والمشكاة هي الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذاً فتكون الكوة أكثر نوراً مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروباً مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السموات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام. فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله في كتابه العزيز. فقال الله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] إلى قوله: ﴿عذاب النار﴾ فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس

والقمر وعلموا بنور الهدى إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه. فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئاً من المنكرات، ولا يضيع شيئاً من الطاعات.

[٤٢٦] النور هو الهدى

قال بعض أهل العلم: أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لأن الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الألوان، ولا يشبه بملك ولا إنسان، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] وقال بعض العلماء: هذا مثل ضربه الله ببارك وتعالى في وصف نور محمد ﷺ الذي هدى به المؤمنين، واستنقذهم به من موارد الهالكين، لأن الله تعالى رحم بمحمد ﷺ العباد، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد. وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة، وأعظم عليهم به المنّة. ثم قال تعالى ﴿فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] يعني سراجاً، ﴿المصباح في زجاجة الزجاج﴾ كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴿[النور: ٣٥] الآية. فشبّه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلألؤه بكوكب دري، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية، أي لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرّها، ولا غربية أي ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل بيرده كل النهار، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجد لحملها وأنور لزيتها. ثم قال تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [النور: ٣٥] أي ولو لم يسرج به من شدة صفائه. ثم الكلام، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿نور على نور﴾ [النور: ٣٥] يعني نور المصباح على نور الزجاج وصفاء الزيت. وهذا مثل ضربه الملك الجبار، لقلوب المؤمنين الأبرار، قال سبحانه وتعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] فنور الهدى إذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعة عنه الضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار

[٤٢٦] حديث [إن في آدم لمضغة].

البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢) من حديث النعمان بن بشير، مسلم:

كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩ / ١٠٧).

القرار، والمنجية من سخط الملك الجبار، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فإذا صلح صلح جميع الجسد، وإذا فسد فسد جميع الجسد، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان، وينظر الملك الرحمن، وفساده إنما هو بظلمة العصيان، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر «إن في ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب».

[٤٢٧] شجرة الزيتون

وقال الله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [المائدة: ١٥] وقال عز وجل ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] وقال سبحانه ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ [النور: ٣٥] لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها، ولا نربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها، وهي أفضل ما يكون من الشجر. وهذا مثل ضربه الله تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ، والنور الذي أنزل عليه هو القرآن. فكلما تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل فكلما حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان، ولا زيادة ولا نقصان، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة قال الله تعالى: ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ [المائدة: ٤٤] ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ [المائدة: ١٣] وقال سبحانه ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم. ثم يقولون هذا من عند الله﴾ [البقرة: ٧٩] فأخبرنا الملك الرحمن في محكم القرآن، أنهم أوقعوا في كتبهم الزيادة والنقصان، والتحريف والبهتان. وخبرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] وما حفظ الملك الديان فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا بهتان. فكتابنا قد حفظه الملك الجليل، فسلم من التحريف والتبديل، وكذلك حفظ نبيه محمداً ﷺ وعصمه وهده فقال تعالى في عصمته لنبيه حبيبته وصفه ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تبارك وتعالى في هدايته لنبيه ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ [الفتح: ٢] فأخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن

محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم، وأعاده من الشيطان الرجيم، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران، والعوج والبهتان، فقال له الديان في محكم القرآن ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [الأنعام: ١٦١] فهده الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم، ولا مفرط ولا ملوم، فأخبرنا الحي القيوم، عن النبي الصادق المرحوم، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم وقال له ﴿فتول عنهم وما أنت بمعلوم﴾ [الذاريات: ٥٤] وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧] فأمره تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ. وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار، فقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] فصار المؤمن في عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه، لما دخل نور الهدى في قلبه. فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم، المنان المتفضل الكريم، لنبيه الصادق الأمين، ولكتابه النور المبين. ثم قال تعالى: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ [النور: ٣٥] فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون، أن لو كان كيف كان يكون. ثم إن الله تبارك وتعالى أثنى على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين لله في المساجد في جميع الآناء والأوقات، الخائفين من عقوبة رب الأرضين والسماوات، فقال رب الأرباب وسيد السادات في محكم الكتاب ﴿بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها﴾ [النور: ٣٦] الآية. أي يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنی وصفاته العلی، لا يذكر فيها زور ولا بهتان، ولا غيبة ولا عصيان، ولا نسيمة على اللسان، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن، وعبادة الملك الديان، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم.

[٤٢٨] المساجد لذكر الله

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم الأصوات قد علت في المساجد في غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا علت الأصوات في المساجد في ذكر

الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم: اسكتوا يا أولياء الله، اسكتوا يا أعداء الله، اسكتوا عليكم لعنة الله» وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ [النور: ٣٦] يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير في كتابه المبين، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير. قال الله مولانا الذي بيده ضلالتنا وهدانا ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام في كل مكان. فإذا كان فضول الكلام وبالأعلى على العباد في غير المساجد، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد.

[٤٢٩] كلمة السوء

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على عمار المساجد المؤمنين. وقد أثنى عليهم الملك الرحمن في محكم القرآن، حيث أوجب لهم الإيمان ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٨].

وجاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الجبار تبارك وتعالى: أين جبراني؟ فتقول الملائكة: مولانا ومن ينبغي أن يكون جارك؟ فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي أين عمار المساجد في الدنيا». وأشد يحمي بن معاذ بعرفات:

إليك جئنا وأنت جئت بنا وليس شيء سواك يغنيننا
فناك رحب وأنت ذو كرم تدعو إلى بابك المساكيننا

قال الله تعالى: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: ٣٧] يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقيناً فتتقلب، وما كانت عليه من الكفر والشك في الحساب، والبعث والثواب والعقاب، والنعيم والعذاب، فترى الأبصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] وقيل تتقلب الأبصار من الكحول إلى الزرقة، ومن البصر إلى العمى، ومن بياض الوجه إلى السواد، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين، ومن الأمن إلى الخوف، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه، ولم

يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه. ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩] يراه من البعد ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ [النور: ٣٩] كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاء وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر، لأنه عمل لم يعمل له لوجه الله تبارك وتعالى، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصاً، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان، ومن زوال النعمة بعد الإحسان، ومن القطيعة والحرمان، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان، ومن ترك العز واتباع الهوان، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان.

ثم وصف العجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى: ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا﴾ [النور: ٣٦] يعني المساجد ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْآصَالِ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦] فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء ما بلغنا جزءاً واحداً من فناء الإعداد من حق الملك الجواد الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، خير نبي وأكرم إمام، شاهداً علينا في جميع الأحكام، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام. فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله؟! وتجارته مع الله رابحة، ومحاسنهم لذوي الألباب لائحة. ثناؤهم عطر الأنام، فهو بين الناس كالأعلام، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب، وفي جملةهم يحشر السعيد والنجيب ومن فاخرهم يخب، ومن حاربهم نكب، ومن أقلع إليهم بغير ريح عطب، بدعائهم يستمطر الغمام، فهو دواء الآلام وشفاء الأسقام وبهم يستنقذ المغلوب، وبهم يفرج الله عن المكروب، كروبهم كشف العمى عن القلوب، وبهم تغفر الخطايا والذنوب، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب، وأقلع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب. وأنشدوا:

وربك لو أبصرت يوماً تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهداً
لأبصرت يوماً جانبوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد واستقربوا البعداً

وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستعملوا الكداً
أولئك قوم حَسَّنَ الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدأ

رجال جالت قلوبهم في الملكوت، رجال تفكروا في العظمة والجبروت،
رجال استقاموا على عبادة الحي الذي لا يموت، رجال خطرت على قلوبهم
الاشجان، وأتعبوا النفوس والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وأقبلوا على
مولاهم كورود الظمآن. شربوا بكأس الزلال مع اليمين، وتأسوا بسيد المرسلين،
وعملوا أعمال الصالحين، وأتبعوا سيرة المؤمنين واستقاموا على طريق الهدى
والدين. رجال شربوا بكأس الوداد والحب، فكشف لهم حجب الغيب، وغفر لهم
ما عملوا من ذنب، فأشعلوا في قلوبهم نيران خوف الملك الرب. رجال أقلقهم
خوف الوعيد، وأنحل أجسامهم التفكير الشديد، رجال تجنبوا الفواحش والآثام
ولذيذ الشراب والطعام، رجال ليلهم قيام، ونهارهم صيام، يطلبون رضا ذي
الجلال والإكرام. وأنشدوا:

سُقُوا كأس المحبة فاطمأنت قلوبهم وهيجهما اليقين
إلى ملك تحن إليه شوقاً وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلاً كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهرة، وغضوها عما لا يحل من النظر، وشغلوا
خواطيرهم بالفكر، وأشغلوا قلوبهم بالعبر، رجال أزعجوا أنفسهم عن الأوطان،
ولزموا مساجد الملك الرحمن، وجالت قلوبهم في علوم القرآن وما واعدتهم
وتواعدتهم به الماجد الديان. وأنشدوا:

اختصم الطرف مع فؤادي فني وصاراً إلى عنادٍ
فقال طرفي أنا ابثليت بطول ليلي وبالسهادِ
وقال قلبي أنا المقللا بالكُرب الصعبة الشدادِ
فقال جسمي: قتلتماني أنا الذي ذبت في الجهادِ

[٤٣٠] الزهاد

رجال قد نحلت منهم الأبدان، وتغيرت منهم المحاسن والألوان، وخوف
العذاب والنيران وشوقاً إلى نعيم الجنان. رجال صحبوا القرآن بحسن العمل، ولم

يغترون بطول الأمل، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل، وسمت همهم إلى الرفيع من
المحل، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل، فلو رأيتم لرأيت قوماً
يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، وأجسام ناحلة، وعقول
زائلة، وخواطر في عظمته جل جلاله جائلة. وأنشدوا:

لله قوم شـروا الله أنفسهم فأتعبوها بزجر الله أزماناً
أما النهار فقد وافوا صيامهم وفي الظلام تراهـم فيه رهباناً
أبدانهم أتعبت في الله أنفسهم وأنفس أتعبت في الله أبداناً
ذابت لحومهم خوف العذاب غداً وقطّعوا الليلَ تسيحاً وقرآناً

رجالاً إذا نظروا اعتبروا، وإذا سكتوا تفكروا، وإذا ابتلوا استرجعوا، وإذا
جهل عليهم حلموا، وإذا علموا تواضعوا، وإذا عملوا رفقوا، وإذا سئلوا بذلوا عوناً
للوارد، وتفضيلاً للقاصد، حلفاء صدق، وكهوف ودق قد عملوا بالسنة والكتاب،
ونطقوا بالحكمة والصواب، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب، وخافوا من عقوبة
رب الأرباب. رجال لزموا البكاء والعويل، ورضوا من الدنيا بالقليل، فآزموهم إلى
الآخرة التحويل، ورغبوا في ثواب الملك الجليل، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل،
وتمسكوا بالسنة والتنزيل، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل، وأشفقوا من هول
اليوم العبوس الثقيل، الهائل المنظر الطويل. وأنشدوا:

لله قوم لدار الخلد أخلصهم وخصّهم بجزيل الملك مولاناً
قلو تراهـم غداً في دار ملكهم قد توجوا من حلي الكون تيجاناً
وقد دعاهم إلى الفردوس سيدهم إلى الزيارة والتسليم ركبـاناً
على نجائب دركى تطير بهم والخيـل من جوهر والسرـج مرجـاناً
حتى إذا جاوزوا دار السلام وقد أبدى لهم وجهه الرحمن سبحاناً
خرّوا سجوداً فناداهم بعزته إني رضيت بكم قريـاً وجيراناً
إني خلقت لكم دار النعيم فلا ترون بؤساً ولا تخشون أحزاناً
هذا النعيم الذي لا ينقضي أبداً ولا تغيره الأزمان ألواناً
وهو الجزاء لكم مني على عمل أخلصتموه وكنتم في إخواناً

رجال ركبوا فلك السلامة، وجروا بريح الاستقامة، فقطعوا بحار العطب

والندامة، ونجوا من الأهوال يوم القيامة، فحفظوا في دار المقامة، وأرسوا في سرمد الكرامة.

[٤٣١] خيار الأمة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيار أمتي المملأ الأعلى في الدرجات العلى» قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله، وبكوا سراً من خوف عذاب الله. هم بالغداة والعشي في بيوت الطيبة يدعون بالسنتهم رغباً ورهباً، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويشتاقون إليه بقلوبهم غداً وعشياً. مؤنتهم على الناس قليلة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة أقدامهم ديبب النمل بغير مرح، ولا ميل ولا ترح. يمشون بالسكينة والوقار، ويتقربون بالوسيلة إلى الملك الجبار. يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن، ويتلون القرآن، ويشفقون من عذاب النيران، ويخافون يوماً يكثر فيه الويل والأحزان، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان، ولم يأمنوا مكر الملك الديان، رجالٌ تعوقوا ريب المنون، وجزعوا من السابقة في الغيب المكنون، فحال بينهم وبين ما يشتهون، ينتظرون الخاتمة كيف تكون، أولئك أولياء الله الصالحون ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] رجال المساجد وأوامهم، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم، تركوا المعاصي خوفاً من الحساب والسؤال، وبادروا إلى الطاعة وحسن الأعمال، وتنزهوا عن الغي واللهو والمحال، وحادوا عن طريق كل مطرود بطل، وأشفقوا من عقوبة ذي المجد والجلال، وعملوا ليوم لا بيع فيه ولا خلال. وأنشدوا:

الله قوم أخلصوا في حبه	اختصهم ورضى بهم خداماً
قومٌ إذا هجم الظلام عليهم	قاموا فكانوا سجداً وقياماً
يتلذذون بذكره في ليلهم	ونهارهم لا يفترون صياماً
خمس البطون من الحرام أعفة	لا يعرفون سوى الحلال طعاماً
فسيفرحون بورد حوض محمد	وسيسكنون من الجنان خياماً

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلاً، وبدلوها تبديلاً، ولم يشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً، وعلموا أن وراءهم يوماً عبوساً هائلاً ثقيلاً، وأن أمامهم من الموت خطباً جليلاً، وبدلت عيونهم وقلوبهم بكاءً ونوحاً وعويلاً، حين سمعوا مولاهم يقول ﴿كان وعده مفعولاً﴾ [المزمل: ١٨] رجل قطعوا الأيام والليالي بالتفكير، وخافوا

من هول يوم عبوس قمطرير، وجالت قلوبهم خوفَ العلي الكبير، فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير، ويجاورون السيد النذير البشير، في جنة ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير، رجال اطمأنت قلوبهم بذكر الرحمن، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان، واتبعوا السنة وأحكام القرآن، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان، فأنابهم الجبار بجنة الرضوان، ومتعهم بالحدود الغنجات الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان، فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن، عما أنابهم به من الجود والامتنان، فقال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾؟ [الرحمن: ٦٠] فالإحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله، والإحسان من الله في الآخرة الجنة. فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء، ونهاية العطاء.

[٤٣٢] صفة المؤمنين

روي أن النبي ﷺ قال لطائفة من المؤمنين: «ما أنتم؟» قالوا: نحن المؤمنون، فقال: «ما علامة إيمانكم؟» قالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرجاء، ونرضى بمواقع القضاء. فقال: «مؤمنون ورب الكعبة» وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيباً على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣] فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلانيتك، وظاهره وباطنك، وحركاتك وسكناتك، وتعلم أنه رقيب عليك، وتستحي ممن هو معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد. وقيل: المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب، وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقاً. والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكتيف والمزابل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم. فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥] الآية. وتأبى أنت عليه فيقول الله سبحانه: يا عبدي لا تذب في الدنيا، رافة منه لعبده، فيقول العبد: لا بد لي من الذنوب، فيقول الرب جل جلاله: عبدي فتب إلي أقبلك على ما كان منك، فيقول العبد: لا أفعل لأنني مبتلي بالاهل والبطن والفرج، فيقول الرب جل جلاله: عبدي فكن مكانك حتى أوتيك

فيقول العبد: ربي أي شيء تؤتين؟ فيقول الله عز وجل: الجوع والفقر والعري والمرض، فيقول العبد: لا حاجة لي في هذا. ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك. قال: فتقول الملائكة عند ذلك: يا رب أما تستجيب لعبدك هذا أما ترحمه؟ فيقول الله عز وجل: سوف يحمدي عبدي إذا أدخلته الجنة. قال: فإذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنة. فيقول العبد ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤] الآية. فيقول الرب جل جلاله: الآن يحمدي عبدي وكان في دار الدنيا يلومني، ويشكو إلي نظري إليه وكان أصلح له مما كان يريد لنفسه. فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته مني ووصلته جنتي فادن مني يا عبدي بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتي له والنظر إلى وجهي. لا أحرمن الله النظر إلى وجهه الكريم، وأدخلنا برحمته جنات النعيم.

مجلس في قوله تعالى
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً

[٤٣٣] اعلِّموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهيِّن، فصلى عليه ربنا ومولانا تشریفاً وتكريماً، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيماً، وأمر عباده أن يصلُّوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاماً كريماً، فقال من لم يزل سميعاً عليماً عليّاً عظيماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى، أن يشفعه فينا يوم تشق السَّماء بالغمام.

ذكر في بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبي ولا ولي ولا صفي ولا صديق ولا شهيد ولا تقي ولا سعيد إلّا وهو يقول يوم القيامة: بحرمة محمد أن تنجيني من عذابك، وما من عبد سأل ﷺ وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضي الله عنه إلّا قضى الله حاجته، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعاً من البلاء في بدنه وفي دينه وفي ماله وفي أهله. ورفع له سبعين درجة. اللهم صل على النبي محمد المختار، وسيد الأنبياء والأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار، أبي القاسم الأواب المختار. أنشدوا:

صلى الإله وكلّ عبد صالح	والطيون على السراج الواضح
المصطفى خير الأنام محمد	الطاهر العلم الضياء اللائح
زين الأنام المرتضى علم الهدى	الصادق البر الوفي الناصح
صلى عليه الله ما هبت صبا	وتجاويت ورق الحمام النائح

وذكر في بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلا
تصير روضة من رياض الجنة، وحصناً وحجاباً بين المصلين وبين حجاب النار.
فاجتهدوا في الصلاة على محمد يا معشر المؤمنين والمؤمنات، وتحصنوا بها من
العذاب الشديد.

[٤٣٤] الصلاة على النبي وشفاعته

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثرُوا من الصلاة علي فإني أشفع لكم على
قدر ذلك». وأنشدوا:

صلى الإله على قدر الحبيب ومن وسط المدينة يعلو فوقه النور
رفعت قريش (هنالك) نعرش سيدها فثم نكل التقى والبر مقبور
وثم خير عباد الله كلهم وثم أكرم خلق الله محبور
عباد الله تحصنوا من العذاب والويل، بإكثار الصلاة على نبينا محمد في
النهار والليل.

ذكر في بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوباً: من اشتاق إلى
رحمتي رحمته، ومن سألني أعطيته، ومن لم يسألني لم أنسه، ومن تقرب إليّ
بقدر محمد ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر. فالله الله يا أمة محمد ويا
أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع في شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر
محمد وبحرمة محمد ﷺ فإن قدره عند الله عظيم. فأكثرُوا عباد الله الكريم، يا
معشر من آمن بالله العظيم، الصلاة على محمد الكريم والنبي السيد الرؤوف
الرحيم، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم، ويدخلكم جنات الخلد والنعيم، إنه
هو الحكيم العليم.

[٤٣٥] الصلاة عليه في يوم الجمعة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في يوم الجمعة مائة مرة غفر الله
له خطيئة ثمانين سنة». فالله الله يا معشر المؤمنين والمؤمنات، أكثرُوا من الصلاة
على حبيبكم محمد في جميع الأيام والأوقات، والأحايين والساعات، عسى الله أن
يخلصكم من الأهوال والآفات، والعذاب والعقوبات، ويدخلكم الجنات
العاليات، يوم تبدل الأرض والسموات. وأنشدوا:

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى زَلْفَى تَقْرِيبَكُمْ إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مَا اكْتَسَبَا
أَعْلَا الْأَنْامِ عَلَى فِي جَلَالَتِهِ وَأَشْرَفَ الْخَلْقِ مَنْسُوباً إِذَا انْتَسَبَا
وَأَسْرَعَ النَّاسِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَغْفِرَةً إِذَا الْعِقَابُ بَدَا لِلْخَلْقِ وَانْتَصَبَا

حكى عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال: مات رجل من جيرانى فرأيت فى المنام فسألته عن حاله . فقال: يا شبلي مرت بى أهوالٌ عظام، وذلك أنه لما سئلت تلجلى لسانى عند السؤال منه جاءنى الملكان وأراد أحدهما أن يبادرنى بالعذاب، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهاً فحال بينى وبينهما، فقلت له: من أنت؟ - من بعد ما لقننى حجتى - فقال: أنا ملك خلقنى الله من ثواب الصلاة على محمد، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد ﷺ لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان، ومن عذاب النيران، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله . فإله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العباد، الذى خلصنا به من حر جهنم وبش المهاد. وأنشدوا:

مَنْ كَانَ يَكْثُرُ بِالصَّلَاةِ هُؤُمْلًا فَضْلَ النَّبِيِّ
أَعْطَاهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَوْنًا مِنَ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ، يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك، ومن نور بصرى إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك، فأكثر من الصلاة على حبيبى محمد ﷺ. وأنشدوا:

صَلَّى الْآلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْأَنْامِ وَجَاءَهُ التَّنْزِيلُ
وَبَفَضْلِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبَيَّنَتْ بِصِفَاتِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
ذَاكَ النَّبِيَّ الْهَاشِمِيَّ الْمُصْطَفَى قَدْ جَاءَهُ التَّرْفِيعُ وَالتَّفْضِيلُ
أَسْرَى بِهِ الْمَوْلَى إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ فَوْقَ الْبَرَقِ وَعِنْدَهُ جَبْرِيلُ

[٤٣٦] عجيبة

روى عن محمد بن النعمان رضى الله عنه أنه قال: كنا عند النبى ﷺ فجاءه فتى من الأنصار فى حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلس

هذا الفتى بيني وبينك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أي والله يا رسول الله إنه ليشق عليّ أن يكون بيني وبينك أحد.

[٤٣٧] فضل المصلي وأبو بكر

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن هذا الفتى يصلي عليّ صلاة، ما يصليها عليّ أحد من أمتي» فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف يقول يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «يقول اللهم صلّ على محمد عدد من صلّى عليه، وصلّ على محمد عدد من لم يصلّ عليه، وصلّ على محمد كما أمرت بالصلاة عليه، وصلّ على محمد كما تحب أن يصلي عليه، وصلّ على محمد كما ينبغي أن يصلي عليه» واعلم يا أخي علماً يقيناً لا شك فيه أنه ليس أحد أحظى عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة، لكن خص النبي ﷺ الفتى بإقعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ما حنّ مشتاق إليه.

[٤٣٨] حكاية الشافعي عن مؤمني الجن

فما يقوي ما ذكرناه من فضل الأركان الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين، ما روي عن محمد بن إدريس قال: رأيت بمكة أسقفاً وهو يطوف بالكعبة، فقلت له: ما الذي رغبت بك عن دين آبائك؟ فقال: تبدلت خيراً منه، فقلت: كيف ذلك؟ قال: ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب، فعلوت لوحاً فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد، وألين من الزبد، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله على ذلك وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الدواب فعلمت شجرة من تلك الأشجار فتمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل فإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار، محمد رسول الله النبي المختار، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار، عمر الفاروق مفتاح الأمصار، عثمان القتيل في الدار، علي سيف الله على الكفار، فعلى

مبغضيهـم لعنة الجبار، ومأواهم جهنم وبئس القرار. فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (إذا) طلع الفجر، قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد، محمد الهادي الرشيد، أبو بكر الصديق الموفق السديد، عمر بن الخطاب سور من حديد، عثمان القتيـل الشهيد، علي ذو البأس الشديد، فعلى مبغضيهـم لعنة الرب المجيد فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة، فخشيت على نفسي الهلكة فهربت بنفسي أمامها فوقفت فقالت: ما دينك؟ قلت: النصرانية، فقالت: ويلك ارجع إلى الحنيفة فقد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً، قلت: وكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقلتها فقالت: أتم إسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان علي رضوان الله عليهم أجمعين. قلت: ومن أتاكم بذلك؟ فقالت: قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول: «إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق يا إلهي قد وعدت أن تشد أركاني، فيقول الجليل جل جلاله: قد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وزيتك بالحسن والحسين، ثم قالت الدابة: المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك؟ قلت لها: الرجوع، فقال: أصبر حتى تجتاز مركب، وإذا مركب تجري فأشرت إليهم فدفعوا إلي زورقاً، فلما علوت معهم فإذا في المركب إثني عشر رجلاً كلهم نصارى، فأخبرتهم خبري فأسلموا عن آخرهم.

فالله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام، وعلى هدايتكم لسنة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام، ومحبتكم لأصحابه البررة الكرام، فقد فضلكم على جميع الأنام، قال الله ذو الجلال والإكرام، والطول والإنعام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ونرجع إلى ما كنا فيه من الصلاة على خير الأنام، محمد رسول الملك العلام. وأنشدوا:

لهجت بذكرك مهجتي ولساني	وحللت من قلبي بكل مكان
فأنا بذكرك في البرية كلها	علمٌ وحبك أخذٌ بعناني
سلطان حبك في الهوى عينُ الهوى	وبه تعزَّزَ في الهوى سلطاني
أنت النبيُّ الهاشميُّ محمد	صلَّى الإلهُ عليك في القرآن
أنت الحبيب لأهل دينك كلهم	يومَ المعاد وموقفِ الخسران

أنت الشفيْعُ لمن عصى ربَّ العلا أنت الدليلُ لجنةِ الرضوان
فلاذكرك ما بقيت معمراً حتى الممات ولا يمل لساني
فصلاةُ ربي ماجدٌ ومهيمنٌ ترى عليك تعاقب الملوان

[٤٣٩] أوتاد المجالس

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن للمجالس أوتاداً جلساؤهم الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ﷺ، يقولون: أكثروا رحمكم الله، فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبواب الجنة، واستجيب لهم الدعاء، وتطلع عليهم الحور العين، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم، ما لم يخوضوا في حديث غيره ويتفرقوا» وأنشدوا:

إذا طيَّب الناسُ المجالسَ بينهم مداماً وريحاناً فذكرك طيناً
ولو كانت الدنيا نصيباً لأهلها فحبك من كلِّ الأمانى نصيباً
وإن كان حب الخلق بعضاً لبعضهم فأنت من الخلقِ الجميعِ حبيباً
إخواننا طوبى لمن رزق لساناً رطباً بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله،
طوبى لمن رزقه مولانا لساناً مشغولاً بذكر الإله الكريم. وبالصلاة على الرؤوف
الرحيم.

[٤٤٠] صيغة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه: «ما قلت البارحة من قول الخير؟» قال الرجل: يا رسول الله صلى الله عليك، قلت: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلوات شيء، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء. فقال رسول الله ﷺ: «لذلك رأيت البارحة الملائكة يحقون بأزقة المدينة» فأكثرُوا من الصلاة على سيد الأنبياء، وأفضل الأحياء وأكرم الأصفياء، وأجل من ولدت النساء، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء في الليل إذا يغشى، وفي النهار إذا تجلى، وفي الآخرة والأولى. وأنشدوا:

صلى الإله على خير الأنام ومن نرجو النجاة به في موضع العطبِ

فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعند الله والكرب
 روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بي أكثرهم عليَّ صلاة»
 فأكثرُوا من الصلاة عليه يا معشر الإسلام، وتحصنوا بها من العذاب الغرام واطلبوا
 بها رضا الملك العلام، وأنشدوا:

يا خيرَ مولودٍ تعاظمَ فخره وأتى بأشرفِ ملّةٍ وكتابِ
 صلّى إلّاهُ عليك يا خيرَ الوري ما أنهل في الآفاق قطرُ سحابِ
 يا خيرَ مبعوثٍ إلى خيرِ أمة وأكرم من يدعو لسُبلِ صوابِ

[٤٤١] ثلاثة تحت ظل العرش

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا
 ظل إلا ظله» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «من فرّج عن مكروبٍ أمّتي، ومن أحيا
 ستي ومن أكثر الصلاة عليّ» فاجتهدوا رحمكم الله في التفريج لهموم المكروبين،
 وفي إحياء سنة خاتم النبيين، وفي الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على
 رب العالمين. وأنشدوا:

صلُّوا على خير الأنام كرامةً وجلالة يا معشر الإسلامِ
 فهو النبي المصطفى علمُ الهدى وأدل من يدعو لسُبلِ قوامِ
 نطق الكتابِ بفضلِهِ وجلالِهِ وبفضله ننجو من الأسقامِ
 صلُّوا على خير البرية كلّها ما لاح بدرٌ تحت جُنج ظلامِ
 فهو السبيلُ لدارِ كلِّ كرامةٍ وهو الدليلُ لجنّةٍ وسلامِ
 وهو الشفيعُ لمن يدين بدينِهِ ولمن يلوذُ بملّةِ الإسلامِ

[٤٤٢] للصلاة رائحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم قالوا: ما من مجلس
 يصلى فيه على النبي ﷺ إلا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول
 الملائكة: هذه رائحة مجلس صلي فيه على النبي محمد ﷺ.

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلى عليه ﷺ. وأنشدوا:

تتطر الأنفاس ما ذكرت أخباره في المجلس العطرِ

سبحان باريه وخالقه نوراً تصور أجمل الصور
المسك منحدرٌ يبردته والوجهُ منه طلعةُ القمرِ
يا صادقاً فيما يخبرنا بشهادةِ الأسماعِ والنظرِ
سبحانَ من أنشاك من بشرِ يا سيداً للخلقِ والبشرِ
القولُ تتبعه شواهده والخيرُ مقرونٌ مع الخيرِ
أنت النبي بلا مدافعة والمصطفى من خيرةِ البشرِ

[٤٤٣] الإمام الشافعي

روي عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال: قال: عبدالله بن عبدالحكم رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: رحماني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها، فقلت له: ما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قال لي: بما في آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد ﷺ؛ فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لي: وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. قال: فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الأمر كما ذكر. وأنشدوا:

صلُّوا على خير الأنام ومن به تنجو العبادَ بموقف الأهوالِ
إنَّ الصلاةَ على النبيِّ حيينا من أفضل الأفعال والأعمالِ
فهو النبيُّ المصطفى علمُ الهدى الطيب الأَقوالِ والأفعالِ

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار، وخففوا عن ظهوركم ثقل الأوزار، بكثرة الصلاة على النبي المختار.

[٤٤٤] أبخل الناس

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ» أعوذ بالله من اللئيم البخيل. الذي يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل، الذي خصَّه الله بالكرامة والتفضيل، واثمنه على الإيضاح عن بيان التأويل في جميع التنزيل. وأنشدوا:

[٤٤٤] حديث «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ».

رواه ابن السني (٣٨٤) من حديث علي.

صَلُّوا عَلَى الْقَمَرِ الْمُنِيرِ إِذَا بَدَأَ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ خَلْقاً مِثْلَهُ
خَتَمَ النَّبُوَّةَ طَيْبَةً فَخْتَأَمَتْهُ
صَلُّوا عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي مِنْ أَمَّةٍ
صَلُّوا عَلَى بَدْرِ التَّمَامِ مَحَبَّةٍ
إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ سَلَامَةٌ
وَتَوَدُّدٌ وَتَحَنُّنٌ وَتَشَوُّقٌ

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبينا محبة وكرامة، فهو الشفيع لنا يوم القيامة.

[٤٤٥] أنجاكم أكثركم صلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم عليّ صلاة» عباد الله الملك الديان، يا أهل الإسلام والإيمان، صلُّوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن، لعله يخلصنا من عذاب النيران. وأنشدوا:

صَلُّوا عَلَى مَا جَدَّ جَلَّتْ مَآثِرُهُ
أَتَى الْعِبَادَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَالِكُهُمْ
وَيُبَيِّنُ الدِّينَ بِالتَّذْكِيرِ مُجْتَهِدًا
وَأَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ لَظَى
لَا تَبْغِ طَيْبًا إِذَا مَا كُنْتَ ذَاكِرُهُ
فِيهِ الْجَنَانُ وَفِيهِ الْحَسَنُ مُجْتَمِعٌ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ كُنَّا لَهُ تَبْعًا
وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ إِفْضَالًا وَإِحْسَانًا
فَأَوْضَحَ الْحَقَّ تَبْيَانًا وَبِرْهَانًا
وَأَظْهَرَ الشَّرْعَ أَحْكَامًا وَقِرْآنًا
وَأَوْرَدَ النَّاسَ جَنَاتٍ وَرِضْوَانًا
وَلَا تَرُدُّ بَعْدَهُ رُوحًا وَرِيحَانًا
وَالنَّبْلُ وَالظَّرْفُ أَشْكَالًا وَالْوَنَانُ
لَقَدْ تَفَضَّلَ بِالْخَيْرَاتِ مَوْلَانَا

[٤٤٦] ثمرة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً تَعْظِيمًا لِحَقِّي خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ مَلَكًا جَنَاحَهُ بِالْمَشْرِقِ وَالْآخِرَ بِالْمَغْرِبِ وَرِجْلَاهُ مَغْرُوزَتَانِ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَعُنُقُهُ مَلُوءٌ بِتَحْتَ الْعَرْشِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: صَلِّ عَلَى عَبْدِي كَمَا صَلَّى عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ فَهُوَ يَصْلِي عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أَحِبَابِي تَحْصِنُوا

من أليم العذاب، وارغبوا في جزيل الثواب، بالصلاة على النبي الصادق الأواب.

اعلموا عباد الله أَنَّ الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمداً ﷺ حبيباً أقسم بحياته فقال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] فهذه غاية المحبة. ولما أحب الله تعالى أن يصلي العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب، ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلي على محمد هو وملائكته، ثم أمر بالصلاة عليه أهل الإيمان، لينجيهم بها من عذاب النيران، فقال الملك الرحمن في محكم القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فكانه قال جل وتعالى: عبدي قد أعلمتك أني أصلي على محمد حبيبي وملائكتي تصلي عليه، فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب، جعلت له من الجنة أوفر نصيب، وكان رفيقاً وجاراً لأبي القاسم الحبيب. وأنشدوا:

صَلَّى إِلَهُهُ بِعَظَمِهِ وَجَلَالِهِ ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ عَلَى النَّبِيِّ
فَهُوَ الْحَبِيبُ لِرَبِّنا رَبِّ الْعَالَمِ وَهُوَ الدَّلِيلُ لَجَنَّةٍ لَا تَخْتَبِي

[٤٤٧] الملائكة تستغفر للمصلي

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد ﷺ فتحت له أبواب السموات السبع والسرادات حتى العرش، فلا يبقى ملك في السموات إلا صَلَّى على محمد ﷺ، ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة ما دام العبد، أو الأمة يصلي على النبي ﷺ. وأنشدوا:

صَلُّوا بِنَا يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ عَلَى النَّبِيِّ الْوَاضِحِ الْأَحْكَامِ
نَطَقَ الْكِتَابُ بِفَضْلِهِ وَجَلَالِهِ وَبِفَضْلِهِ نَجَّوْا مِنَ الْإِجْرَامِ

[٤٤٨] مقام الشبلي

حكى عن بعضهم أنه قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالساً إذ أقبل الشبلي فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه، فقلت: يا سيدي تفعل هذا بالشبلي وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون؟! فقال: قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به، وذلك أني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أقبل الشبلي فقام النبي ﷺ فعانقه وقبله بين عينيه، فقلت له: يا رسول الله تفعل هذا بالشبلي؟! فقال ﷺ: نعم

لأنه يقرأ في آخر كل صلاة ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية .
ثم يتبعها بالصلاة علي . وأنشدوا :

صلاة رب كريم ماجد صمد	على النبي الذي قد نال تفضيلاً
صلّى عليه إله العرش خالقنا	جاء الكتاب بذا وحياً وتنزيلاً
فهو الدليل لأهل الخير كلهم	لمن أراد (إلى) الفردوس تحويلاً
ومن أراد فراراً عن تمرده	ومن أراد (له) الرحمن توصيلاً
هذا بيان لأهل الفضل كلهم	يعجلون لدار الخلد تعجيلاً

عباد الله ارغبوا في هذا الملك الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل ، النبي السيد النبيل ، الذي جاء بالوحي والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل ، وجاءه الأمين جبريل ، بالتكريم والتفضيل ، وأسرى به الجليل ، في الليل البهيم الطويل ، كشف له عن أعلا الملكوت ، وأراه أسنى الجيروت ، ونظر إلى قدرة الحي الذي لا يموت . فلقد رأى في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى ، وانتهى إلى سدره المنتهى . وأنشدوا :

صلُّوا على خير الأنام محمد	فهو الدليل إلى السبيل المرشد
صلّى عليه الرب ما دام الدجى	ومضى النهار وفي الظلام الأسود

[٤٤٩] إبلاغ الصلاة إلى الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله تبارك وتعالى أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ، فليس أحدٌ من أمتي يصلي علي إلا قال ذلك الملك : يا محمد فلان بن فلان يصلي عليك صلى الله عليك ، وضمن لي الرب عز وجل أن من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ، وإن زاد زاده الله» فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الحميم ، والفوز والخلد في جنات النعيم ، فأكثرُوا من الصلاة على النبي الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم .

[٤٥٠] صلاة الملائكة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ، ومن

[٤٤٩] «إن الله تعالى أعطى ملكاً من الملائكة» .

رواه البزار وأبو الشيخ عن عمار بن ياسر .

صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ؛ فَلْيَقُلْ الْعَبْدُ أَوْ لِيَكْثُرْ» وَاَعْلَمُوا أَنَّ الْفَاجِرَ الشَّقِيَّ الَّذِي يَسْمَعُ هَذِهِ الْفَضَائِلَ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَبَسَ لِسَانَهُ عَنْهَا فَيَجِبُ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْهُ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لِسَانٍ جَامِدٍ، عَنْ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَسُولِ الْمَلِكِ الْمَاجِدِ، الْعَزِيزِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ. وَأَنْشُدُوا:

صَلُّوا عَلَى النُّورِ الْبَهِيِّ مُحَمَّدٍ إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ تَنْجِي مَنْ لَظَى
فَهُوَ الدَّلِيلُ إِذَا اهْتَدَيْتَ بِنُورِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ فَذَلِكَ مُصْبِحُ الْهَدْيِ
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهَبَ ذُنُوبَكُمْ عِنْدَ الْاسْتِغْفَارِ فَمَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَجَعَ مِيزَانُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ كُنْتُ شَفِيعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» عِبَادَ اللَّهِ ارْغَبُوا فِي الشِّفَاعَةِ، وَتَمَسَّكُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى شَفِيعِ الْمَذْنُبِينَ يَوْمَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَارْغَبُوا إِلَى مَوْلَاكُمْ أَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَى أَعْمَالٍ أَمَلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَأَنْشُدُوا:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالَقَهُ وَمُحَمَّدًا قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
فَلْيَكْثُرِ التَّسْلِيمُ بَعْدَ صَلَاتِهِ لِلطَّيِّبِ الْمَبْعُوثِ بِالتَّيَّانِ
الْهَاشِمِيُّ الْأَبْطَحِيُّ مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْأَنَامِ وَزَيْنُ كُلِّ مَكَانٍ

[٤٥١] مِنْ كُتُبِ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّيُ عَلَيْهِ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ» فَيَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَطِيعُوا رَبَّ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَوَاتِ، بِالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ. وَأَنْشُدُوا:

جُذِّبَ بِالصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْوَرِيِّ كَرَمًا ذَاكَ النَّبِيَّ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالنُّورِ
فَهُوَ الْإِمَامُ لِأَهْلِ الْحَقِّ كُلِّهِمْ وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الْوُلْدَانِ وَالْحَوَرِ

[٤٥٢] الصَّلَاةُ تَبْلُغُهُ عَنِ الْعِبَادِ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَبَاهَوْا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّهَا تَبْلُغُنِي» فَبَلِّغُوا

[٤٥١] حَدِيثُ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ...».

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ السَّخَاوِيُّ: فِي سَنَدِهِ مِنْ أَتَاهُمْ بِالْكَذِبِ وَقَدْ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ بِصَحِيحٍ مِنْ وَجْهِ كَثِيرٍ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: أَحْسَبُهُ مَوْضُوعًا.

صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته وأن يجعلكم من أمته، وأن يجعله شفيعكم من النار، وقائلكم إلى دار الراحة والقرار، إلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلني علي إلا قال الملكان مجيبين: آمين؛ فيقول الله تعالى جواباً للملكين: آمين، ولا أذكر عند أحد فلا يصلني علي إلا قال الملكان: لا غفر الله لك فيقول الله تعالى وفلائكته جواباً لقول الملكين: آمين» فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبي الفاضل الزكي ولا يصلني عليه، ﷺ وملائكته وبلغ سلامنا إليه. وأنشدوا:

صلُّوا بنا في الليل والنهار	على النبي الصادق المختار
أسرى به الرحمن في جنح الدجى	قد جاء في القرآن والآثار
الهاشمي المصطفى خير الورى	الطائع الأواب للجبار
صلوا على المبعوث يا أهل النهي	من جاء بالتنزيل والأخبار

[٤٥٣] حسنات الحرم

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي من أمتي كتبت له عشرُ حسناتٍ من حسناتِ الحرم» قيل: يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: «الحسنة بسبعمائة حسنة» يا أخي هذا والله قولٌ يسير وثوابٌ كثير.

[٤٥٤] الصلاة صلة تعارف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليردن علي أقوام يوم القيامة عند حوضي ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علي» عباد الله أنتم ترون نبيكم وحببيكم وصفيكم، فأكثرُوا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لأن الصلاة عليه نورٌ لصاحبه يوم القيامة، فعلى قدر الصلاة على الهاشمي القرشي التهامي الأمي الأبطحي يكون النور المضيء الذي يعرف به المؤمن النقي، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبي فهو مبعد مطرود شقي. يا إخواني في الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل، وجعل أصلها الخليل، وجعل خلالها التفضيل وزينها بالتنزيل، وجعل رقيقها جبريل، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل. أصولها عربية، وأغصانها

مضرية، وأوراقها قرشية، وثمرتها تهامية، غرسها الملك الديان، وأخضع لها جميع
الإنس والجان، فصلوا عليه يا معشر الإخوان وأنشدوا:

الله فضّل خيرَ الخلقِ بالكِرمِ وأفضّلَ الناسِ من عربٍ ومن عجمِ
هو النبيّ الذي فاقَتْ فضائلُهُ وخصَّه اللهُ بالتَّزْيِيلِ والحكَمِ
اختصّه بكتابِ يُّنِ عَلَمِ هَدَى العبادَ به من غمة الظُّلَمِ
الله فضّلَه اللهُ أَكْرَمَه اللهُ أَرْسَلَه من جملة الأُمَمِ
صَلُّوا (عليه) عبادَ اللهِ كلِّكموا إِنَّ الصَّلَاةَ لَهُ تُنْجِي مِنَ النِّقَمِ

عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ.

[٤٥٥] طيب مجلس صلّى فيه عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلساً ففرقوا عن غير صلاة
عليّ إلا تفرقوا عن أثنين من جيفة حمار» فإذا كان المجلس الذي لا يصلى فيه على
النبي ﷺ تفرّق أهله عن أثنين من جيفة حمار، فلا غرو أن يفرق المصلون عليه من
مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار. وذلك أن النبي ﷺ كان أطيب الطيبين
وأطهر الطاهرين، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك، فكذلك مجلس
يذكر فيه النبي ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش
ويجد كل من خلق الله ريحها في الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك
الرائحة اشتغل كل منهم ببلذته عن معيشته، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من
خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم
حسنات، ويرفع لهم درجات، سواء كان في المجلس واحد أو مائة أو ألف كل
واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد، وما عند الله تعالى أكثر. فيا أحباب
رسول الله ﷺ صلّوا على حبيب غذي بماء الوصال وكسي ثوب الجمال والكمال،
وزيّن بكتاب الكريم المتعال.

[٤٥٥] حديث «ما جلس قوم مجلساً ففرقوا...».

عزاه ابن القيم في جلاء الأفهام إلى أبي داود والحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ «ما من قوم
يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار». رواه أيضاً الإمام أحمد
وابن حبان عن أبي هريرة.

[٤٥٦] حكاية نَسَاحٍ أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: كان لي جارٌ نَسَاحٌ فمات فرأيتُه في المنام في حالة حسنة فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي على ما كان مني، فقلت له: بم كان ذلك؟ فقال: كنت إذا كتبت اسم النبي ﷺ صليت عليه ﷺ فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فأكثرُوا من الصلاة عليه ﷺ تسليماً كثيراً. وأنشدوا:

نور النبي علا على الأنوار	فهو الدليل لسبل دار قرار
صلُّوا عليه لعلكم تنجوا به	يوم الحساب وكشفة الأسرار
صلُّوا على القمر المنير إذا بدا	فهو الحبيب لربنا الجبار
صلُّوا على نورٍ تكوّن بالهدى	فهو الشفيع لصاحب الأوزار

عباد الله ارجبوا فيما رغبكم فيه الملك القهار، من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار، ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار، فإن الله ينجيكم بها من عذاب النار، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. الصلاة على النبي فضيلةٌ جزيلةٌ، والصلاة على أصحابه سنةٌ وفضيلةٌ والصلاة على الملائكة قرينةٌ ووسيلةٌ، صلُّوا رحمكم الله على النبي الرفيع، والنور البديع، والحبيب الشفيع. أكرم من ولد، وأعز من فقد. وأنشدوا:

صلاة ربٍّ ماجدٍ وهَّابٍ	على النبي الصادق الأواب
صلُّوا على المختار أنوار الهدى	صلُّوا عليه معشر الأجباب
صلُّوا على النور البهي محمد	صلُّوا عليه جماعة الأصحاب

[٤٥٧] عدد الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى عليّ عشراً صلى الله عليه مائة مرة، ومن صلى عليّ مائة صلى الله عليه بها ألفاً، ومن صلى علي ألفاً، حرّمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت في القبر عند المسألة، وجاءت صلواته عليّ نوراً يضيء له الصراط مسيرة خمسمائة

[٤٥٧] حديث «من صلى علي ألف مرة لم يخرج من الدنيا...». المنذري: رواه أبو حفص بن شاهين.

عام، وبنى الله له بكل صلاةٍ صلأها عليّ قصراً في الجنة قل ذلك أو أكثر». وأنشدوا:

صلُّوا على المختار من آل هاشم وخير نبي خصه بالمكارم
ومن بين الرحمن في الذكر فضله وأوضح نور العدل بعد الظالم
وأرسله الجبار للناس كافةً مبين محض الحل بعد المحارم
فذاك لدين الله حصنٌ وملجأ وذاك على الأعداء ليثٌ بصارم

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال، وفكُّوا رقابكم من السلاسل والأغلال وارغبوا في نعيم دار الخلد والجلال، بصلاتكم على محمد رسول الكبير المتعال.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عليّ ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى ييشر بالجنة» فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان، بإدمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان. نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على محمد، وإذا أراد الله بعبد خيراً بلّ لسانه بذكره، وبالصلاة على محمد حبيبهِ ووليه وصفيه صلى الله عليه. صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة، الأمر بالمعروف والاستقامة، الشفيح لأهل الذنوب في عرصات القيامة. اللهم صلّ على محمد الزاهد، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاةً دائمةً متتهى الآباد، طيبةً باقيةً بلا انقطاع ولا نفاد، صلاةً تنجيناً بها من جهنم ونشس المهاد. وأنشدوا:

صلُّوا على هذا النبي الأوضح الهاشمي الأبطحي الأفضح
إن الصلاة على الشفيح محمد تبدي الفلاح مع النجاح الأنجح
فتكثروا من ذكره أما، التُّهى لا تبتغوا بدلاً بذكر الأرجح

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة عليّ فإن الله يستحي أن يرد عبده في حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين عليّ، صلاةً قبل السؤال وصلاةً بعد السؤال» وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ.

اللهم صلّ على محمد صلاةً تزلف بها مشواه، وتشرف بها عقباه، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه.

[٤٥٨] صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] كأنه يقول من خيركم نفساً، وأطهركم قلباً، وأصدقكم قولاً وأزكاكم فعلاً، وأثبتكم أصلاً، وأوفاكم عهداً، وأمكنكم مجدداً، من أكرمكم طبعاً، وأحسنكم صنعاً، وأطيبكم فرعاً، وأكثركم طاعةً وسمعاً. من أعلاكم مقاماً، وأحلاكم كلاماً، وأوفاكم زمناً، وأزكاكم سلاماً. من أجلكم قدراً، وأعظمكم فخراً، وأكثركم شكراً، وأرفعكم ذكراً، وأعلاكم أمراً، وأجملكم صبراً، وأحسنكم خبراً، وأقربكم بشراً، من أبعدكم مكاناً، وأعظمكم شأناً، وأرجحكم ميزاناً، وأولكم إيماناً، وأوضحكم بياناً، وأفضلكم لساناً، وأظهركم سلطاناً، وأبينكم برهاناً. من أرسخكم قدماً، وأبينكم علماً وأوصلكم رحماً، وأبركم قسماً، وأبعدكم كرمياً، وأرعاكم ذمماً. من أسطعكم نوراً، وأنوركم سروراً وأجملكم حبوراً وأفضلكم حياً ومقبوراً.

[٤٥٩] صيغة للصلاة

اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة، وجعلته إليك أكبر وسيلة، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة، وأعليته إلى المرتبة الجليلة، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة. اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجاباً، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثاباً، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية باباً. اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار، وعدد رمال الأودية والقفار، وعدد ورق الأشجار، وعدد زيد البحار، وعدد مياه الأنهار، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار، وعدد أهل الجنة وأهل النار، وعدد الأبرار والفجار، وعدد ما يختلج في الليل والنهار، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً من عذاب دار البوار، وسبباً لإباحة دار القرار. اللهم صل على محمد النبي المختار، وسيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار. وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، أبي القاسم النبي الصادق المختار. اللهم صل عليه عدد من صلى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه، وصل عليه كما تحب أن يصلى عليه، وصل عليه كما ينبغي أن يصلى عليه. اللهم صل على النبي الصادق الأواب، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحاب، وتوفنا اللهم على سنته، واجعلنا من أهل ولايته، وانفعنا بهدايته وعنايته، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الأخيار، آمين آمين يا أرحم الراحمين.

مجلس ثاني في قوله تعالى
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[٤٦٠] إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، ومحمد ﷺ ولياً وحبيباً ونبيّاً وصليّاً، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام، وصلت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام، فصلوا بنا معشر الأنام، على محمد عليه السلام، رسول ذي الجلال والإكرام، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام. واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام إلّا نُورُ الله قلبه، وغفر ذنبه، وشرح صدره، ويسر أمره، فأكثرُوا من الصلاة لعل الله يجعلكم من أهل ملته، ويستعملكم بسترته، ويجعله رفيقنا جميعاً في جنته، فهو المتفضل علينا برحمته.

[٤٦١] في الصلاة عشرُ كرامات

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات: إحداهن صلاة الملك الجبار، والثانية شفاعة النبي المختار، والثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة محو الخطايا والأوزار، والسادسة قضاء الحوائج والأوطار، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار، والعاشرة سلام الملك الغفار.

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلّا بحياة محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] تقدير الآية، أنتم خير أمة أخرجت للناس.

[٤٦٢] أحاديث في فضل الصلاة

وقال رسول الله ﷺ: «وافيتم سبعين أمة أكرمها وأفضلها عند الله» فأخبر الله تعالى أنه قال: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ [البقرة: ٨٣] يعني محمداً ﷺ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار، ووافق أمر الجبار، وأما محو الخطايا والأوزار.

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في يوم جمعة مائة مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة».

وقال ﷺ: «من صلى علي مرة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتب عليه ذنباً ثلاثة أيام». وأما قضاء الحوائج والأوطار.

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء بين الصلاتين لا يرد».

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: «الصلاة علي» قال: أجعل ثلث عبادتي الصلاة عليك؟ فقال ﷺ: «إذا هديت» قال: أجعل ثلثي عبادتي الصلاة عليك؟ فقال ﷺ: «إذا كفيت» قال: أجعل جميع عبادتي الصلاة عليك؟ قال: «من جعل جميع عبادته الصلاة علي قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة» وهذا كله مع أداء الفرائض. وأما تنوير الظواهر والأسرار.

[٤٦٣] الصلاة تُنَوِّرُ القلب

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكثر الصلاة علي نور الله قلبه» وذلك أن الذنوب تسود القلوب لأن العبد إذا عمل ذنباً صار نكتة سوداء في قلبه، فإذا تزايد على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد ﷺ غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال، فإذا غفرت ذنوبه زال السواد عن قلبه وبدا فيه النور، لأن الإسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبي ﷺ، وذلك أنه لو قال عبد، لا أرى الصلاة على النبي ﷺ واجبة

[٤٦٢] حديث «وافيتم سبعين أمة».

أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٨).

(*) حديث «أي الدعاء أفضل؟ قال: الصلاة علي». رواه الترمذي وأحمد والحاكم وقال الترمذي: حسن صحيح من حديث أبي بن كعب.

لكان كافراً وراداً على الله، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] فهذا بيان واضح من الله. وأنشدوا:

نورُ القلوبِ يزيدُ عندَ صلاتنا للهاشميٍّ فنوره لا ينجلي
فضياؤنا من ضوءِ نورِ محمدٍ صلُّوا على ذاك النبيِّ الأفضَلِ

[٤٦٤] حكاية في كثرة الصلاة على النبي

روي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فصحبني رجل في الطريق كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يجيء ولا يذهب، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يتطهر ولا ينام، ولا يتصرف في شيء إلا أكثر من الصلاة على محمد ﷺ، فسألته عن ذلك فقال: أحدثك بعجب عجيب، خرجت مرة إلى مكة معي والذي فترلنا منزلاً في موضع من منازل الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: يا فلان قم فقد أَمات الله والدك وقد سوّد وجهه، فانتبهت فرعاً مرعوباً مما سمعت فإذا هو راقدٌ وقد غطي وجهه، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود، فاشتد حزني لذلك وتحيرت في أمره فغلب عليّ النوم فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه، وأربعة عند رجله بأيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والذي مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذي كنا فيه، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال: تنحوا عنه، فتنحى السودان عنه من ساعتهم وغابوا عني فلم أرهم، ثم أقبل على والذي فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضاً من الثلج، والنور قد علا وجهه، ثم أقبل عليّ فقال لي: بيض الله وجه أهلك وزال عنه السواد، فقلت له: من أنت فجزاك الله عنه خيراً، قال: أنا محمد رسول الله، فقلت له: يا رسول الله ﷺ ما كان السبب في مجيئك إليّ؟ فقال ﷺ: أما والدك فكان مسرفاً على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة عليّ، فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليّ، فقممت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض فأخذت في أمره وشرعت في دفنه فما تركت الصلاة على النبي ﷺ بعد ذلك. فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة!! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نوراً،

وقد سماه في كتابه سراجاً منيراً، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب، قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] فمالكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة، والنعمة الدائمة الجزيلة؟ وأنشدوا:

صلُّوا على نورٍ تزايد فخرُهُ	يعلو على الأنوارِ والألبابِ
محمدُ زينُ الخلقِ شرقاً ومغرباً	وخيرُ شفيعٍ ناطقٍ بصوابِ
وخيرُ حبيبٍ لئله نينا	وخيرُ رسولٍ عامِلٍ بكتابِ
أتى الخلقِ والأصنام تعبد جهرةً	ويؤأهم إبليس شرّاً مآبِ
فأنقذ بالنورِ البهي عباده	ويؤأهم بالدينِ حُسنَ مآبِ
فصلُّوا على خيرِ الخلائقِ كلِّهم	لتستوجبوا يا قوم خيرَ ثوابِ

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد ﷺ لأن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً يَسِّرْ لسانه للصلاة على محمد ﷺ، وإذا أراد بعبد شراً حبس لسانه عن الصلاة على محمد ﷺ فيكون ذلك سبباً لسواد وجهه، كما أن الصلاة لتنوير القلب. وأما قضاء الحوائج والأوطار.

[٤٦٥] الصلاة تحل العقد

فما روي أن رسول الله ﷺ قال: «من عُسِّرَتْ عليه حاجةٌ فليكثر من الصلاة عليَّ فإنها تحل العقد، وتكشف الهم والحزن، وتكثر الأرزاق». وأنشدوا:

كم بالصلاة عليه فاز من رجلٍ وكم رأيتُ بها في الشدةِ الفرَجَا
وأما النجاة من عذابِ دارِ البوارِ.

[٤٦٦] الصراط والصلاة

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصلاةُ عليَّ نورٌ على الصراط» ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان، وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ رسول الملك الرحمن، فلا يكون من أهل الهوان في سموم النيران، بل يكون من أهل الأمان في نعيم الجنان، وأما دخول دار الراحة والقرار.

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة» فالله عباد الله يا إخواني تثبتوا وآجتهدوا في الصلاة على خير العباد، وفخر البلاد وزين الحشر والمعاد، فغسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاذ. ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل، والملك الدائم الجليل، بالصلاة على النبي الأصيل، الذي نعتة في التوراة والإنجيل، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم، المهيمن القديم، من عند الملك العزيز الكريم، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنت النعيم، وينجيننا من العذاب الأليم، في سواء الجحيم، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كل شيطان رجيم، وعدو فاسق فاجر لثيم.

[٤٦٧] جهنم والصلاة على النبي

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان في يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم، فإذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرة إلى أهل المعاصي اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض، وغلا بعضها على بعض، وأخنى بعضها على بعض، زفرت زفرة فلا يبقى غل ولا قيد ولا سلسلة ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل، على ظهرها، وأكبت الزبانية على وجوههم، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي ولا صفي إلا جثا على ركبته، وفر الناس كلهم هارين، ونبينا ﷺ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام، وهو ﷺ يُلَوِّح إليها بكمه ويقول:

كفي عن أمتي كفي عن أمتي، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به ﷺ وهو يقول: يا نبي الله أنقذني من عذاب الله، فيقول له ﷺ: ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت؟ فيقول: يا رسول الله غلبت علي شقوتي، فيقول ﷺ: لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاة علي فيشفع له عند الله تعالى، فإذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت. فإذا كانت جهنم أحمدها الجبار، من نور وجه النبي المختار، فكيف لا تطفئ الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والأوزار؟! وإذا كان نور المصطفى أحمد عظيم النيران، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي ﷺ أحمد سموم الجحيم، فكيف لا

تورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر إلى وجه الحكيم العليم؟! وأنشدوا:

يا من تمرّد في الأيام منهمكاً صلوا على المصطفى يا أكرم الأكرام
صلّوا عليه لعل الله يرحمكم يوم الحساب ويوم الكرب والزحيم
إنّ الصلاة على المختار قارئةٌ لقلب صاحبها جزءاً من الحكم
فهو الشهيد لأهل الجمع كلّهم وهو الدليل إلى الفردوس والنعم

[٤٦٨] الصلاة بشارة بالجنة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى عليّ ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة» وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد ﷺ أو سمع بذكره فلا يصلي عليه. وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة. فإذا كان العبد عاجزاً لنفسه فهو لغيره أعجز. وأما سلام الرحيم القهار، فهو أن كل من كان مصلياً على النبي ﷺ فهو من أهل الجنة. سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى: «سلامٌ قولاً من رب رحيم» [يس: ٥٨] وقوله تعالى: «وتحيّتهم فيها سلامٌ» [يونس: ١٠] وقوله: «ويلقون فيها تحيةً وسلاماً» [الفرقان: ٧٥]، «تحيّتهم يوم يلقونه سلامٌ» [الأحزاب: ٤٤].

[٤٦٩] ما للمصلي عند الله

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: من صلّى عليك صليّتُ عليه، ومن سلّم عليك سلمتُ عليه، قال: فيسجد لله شكراً. فالعبد يجزي بالسلام على النبي المختار، سلام الملك الجبار. وأنشدوا:

يا راكباً نحو المدينة قاصداً بلّغ صلاتي للنبي محمد
وقل السلام عليك يا علم الهدى فهو الدليل إلى الشفيع الأجود
إنّ الذي ورث النبوة والهدى فهو الدليل لكل عبد مرشد
صلّى عليه الله ما هبت صباً وترنمت ورقاً بصوت تغرد

[٤٦٨] حديث «من صلى عليّ ألف مرة...».

قال المنذري: رواه أبو حفص بن شاهين.

[٤٦٩] حديث «قال الله تعالى لرسوله: من صلى عليك...» أخرجه الإمام أحمد في مسنده

(١٦٦٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[٤٧٠] نكت في فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على نبي الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكتاً كثيرة، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبي الرشيد، السيد السديد، مجرى شهادة التوحيد، قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾ [آل عمران: ١٨]. وهكذا قال رب القريب والبعيد، في الصلاة على النبي ﷺ الصادق الرشيد: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] إشارة حسنة ونكتة مليحة.

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ولم يقل أذكركم عشر مرات، وقال تعالى وجل علا: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] وقد قال ﷺ: «من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً» فكان الله سبحانه وتعالى يقول: عبدي إذا أثبت علي مرة أثبت عليك مرة، وإذا أثبت علي حبيبي مرة أثبت عليك عشراً لأنه أكرم الخلق علي وأجلهم عندي.

ثانية: قال الله تبارك وتعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال في المؤمنين: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤٣] بصلاتكم على النبي المحبوب. وأنشدوا:

فأكثرُوا التسليم بعد صلاتكم للسَّيِّدِ المختارِ ذاك الأَمجدُ
ومن يك ذا بخل شديد بذكره فذاك عن الحق المنير مبعُدُ

[٤٧١] كاشفة الكرب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة علي فإنها تحل العقد، وتكشف الكرب» في دار الامتحان، فأولى أن تنجي في الآخرة من النيران في الدار الباقية.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى علي مائة مرة ترحضت النار عنه مسيرة خمسمائة عام» فأكثرُوا من الصلاة عليه يا أهل ملته. ﷺ صلاة مقرونة بالكمال والحسن والجمال، والخير والإفضال.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكثركم عليَّ صلاةً أكثركم أزواجاً في الجنة» فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين. وخاتم النبيين، وارعوا في المقام الأمين، والتمتع بالحدود العينية، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين.

[٤٧٢] من أكثر الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثركم عليَّ صلاةً أقربكم مني مجلساً» وفي هذا الحديث إشارة حسنة، وهي أن من قرب في الآخرة من النبي نظر إلى وجه العزيز الجبار ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار، وقرب من النبي المختار، زحزح جسمه عن النار، وأسكن دار الراحة والقرار، في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، لا يذوقون فيها طعم الحمام، ولا يجدون ضر الأسقام، ولا تلحقهم فتور الآلام، قد آمنوا من الزوال والانتقال ورضي عنهم الكبير المتعال، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال. وأنشدوا:

صلى الإله ومن يحف بعرشه	والطيون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أبر وأوقى ذمة من محمد
ولا طلعت شمس النهار على أمرى	تقي نقي كالنبي محمد
ولا لاحت الجوزاء شرقاً ومغرباً	بأطيب من طيب النبي محمد

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علي فإنها تطفئ غضب الجبار» فأولى أن تطفئ عن المصلي عليه ﷺ في الدنيا كيد الشيطان الفرار. عباد الله الزموا هذه الفضائل، وارغبوا في هذه المنازل، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل، بالصلاة على النبي المختار من أشرف القبائل، الذي أوضح الله به الدلائل، وجعله إليه أكبر الوسائل، وأنشدوا:

حبُّ النبي على الأنام فريضة	ولا تنس ذكر الهاشمي الأكرم
إنَّ الصلاة على النبي وسيلة	فيها النجاة لكل عبد مسلم
صلُّوا على القمر المنير فإنه	نورٌ تبدى في الغمام المظلم
رحم العباد به عزيز قادر	فالشكر لله العلي المنعم

[٤٧٣] الصلاة والدعاء

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي علي عقيب سؤاله، فترجع الحاجة على سحابة، فإذا صلى علي قضيت حاجته، واستجيبت دعوته، وتفتحت له أبواب السماء» فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ تقضي في الدنيا الحاجات، فالأولى أن تنجي صاحبها في الآخرة من العذاب والعقوبات، وتدخل الجنات العاليات.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ دعاءٍ محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة عليَّ صعد الدعاء» يا أحبائي والله إذا صعد الدعاء، ارتفع البلاء، ورضي إله الأرض والسماء.

[٤٧٤] كيف تدعو الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإنَّ الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه، وملاً قدحه، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو يشرب شرب وإلاَّ أهراقه، فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره» وإنما معنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعائه، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب. فيجب على من هو من أهل ملة محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبي ﷺ.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثرُوا من الصلاة علي فإنها تهن كيد الشيطان» فأولى أن تدفع عن المصلي عليه آفات الزمان، وتحول بينه وبين عذاب النيران، وتوجب له دارَ الخلدِ والأمان، وجنة النعيم والرضوان، وأنشدوا:

امدح نبي الهدى يا أيها الرجلُ واذكر فضائله والدمع منهملُ
وصلَّ دهرًا على المختار مجتهداً تحت الظلام وداجي الليل منسبلُ
عساك تحظى بدارٍ لا نفاذ لها نعيمها دائمٌ والظلُّ والأكلُ

[٤٧٥] فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاة على النبي الرفيع، والحبيب الشفيق، يغفر لكم مولاكم ما عملتم من الآثام، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام. توسلوا بالصلاة على النبي

المختار، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار، وينجيكم مولاكم من سموم النار، ويدخلكم برحمته جنات تجري من تحتها الأنهار. توسلوا بالصلاة على النبي الصادق الأواب، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب ويدخلكم الجنة وحسن المآب. توسلوا بالصلاة على النبي الرشيد، ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد، ويدخلكم برحمته النعيم الذي لا يبيد. توسلوا بالصلاة على النبي البر الرؤوف الرحيم يدخلكم مولاكم جنات النعيم، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم.

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ، أمحق للذنوب من الماء البارد للنار. والصلاة على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، فاسمعوا وعوا يا أولي العقول والألباب. وأنشدوا:

تواترت الخيراتُ شرقاً ومغرباً بذكر رسول الله في السرّ والجهرِ
فذكركَ للمختارِ فخرٌ ورفعةٌ وذكركَ للمختارِ من أفضل الذكرِ

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسناتُ بعض المؤمنين وسيئاتهم في الميزان، فترجح سيئاتهم على حسناتهم، فيشفق المؤمنون لذلك، فتنزل صحائفُ بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم، فترجح حسناتهم على سيئاتهم، فيقول الربُّ جل جلاله: هذه صلاتكم على النبي محمد - ﷺ - ثقلت بها موازينكم، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة. فهذا يا إخواني فضل الله العظيم، بالصلاة على الرسول الرؤوف الرحيم.

[٤٧٦] ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبي ﷺ بأمته ما روي عنه ﷺ أنه كان في بعض الأيام جالساً فقرأ هذه الآية: ﴿إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى رسول الله ﷺ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد مم بكاؤك؟ فقال ﷺ: «فكرت في أمتي» فقال جبريل: يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتك. يا أحبابي نبيكم عند مولاكم مكين، ومولاكم ذو القوة المتين، وإنك يا أخي عبد مهين، فهل رأيتم مهيناً يعذب بين مكين ومتين؟! مولاكم عظيم ونبيكم كريم، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم؟! فصلُّوا عليه كما أمركم مولاكم في القرآن الحكيم. يا أمة

محمد ﷺ مولاكم لطيف، ونيبكم سيد شريف، وأنت يا مؤمن عبد ضعيف، فهل رأيتم ضعيفاً يضيع بين لطيف وشريف؟! وأنشدوا:

يا إلهي عسى تكون مجيري	بصلاتي على البشير النذير
إنني خائفٌ كئيبٌ حزينٌ	أن أصلى بحر نار السعير
أيها الناسُ بادروا ثم جدوا	بصلاةٍ على السراج المنير
ذاك خيرُ الأنام جاء بصدق	وكتابٍ من السميع البصير
فيه أمرٌ وفيه نهْيٌ وفيه	ما يؤدي إلى النعيم الكبير
لا تملوا من الصلاة عليه	سوف تنجوا من حر نار الزفير
ثم تحظوا بها بدار نعيم	ليس تبلى من عند ربٍ قدير

[٤٧٧] المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي ﷺ حيناً ولا وقتاً، ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة، إنما يجب عليك أن تصلي عليه في صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك، فتعود عليك بركتها، وتقبل عليك خيراتها، وتقضي بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان، تصلي بها كلها عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار.

[٤٧٨] مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال آدم: يا رب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك؟ فقال الله تعالى: يا آدم هو نبيي وصفيي وهو خبيبي، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً، فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال: يا رب زوجني منها، فقال الله تعالى: وما مهرها يا آدم؟ فقال: يا رب ما أعلم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم صل على محمد عشر مرات، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لامة الملك الجبار، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحوار العين في دار القرار، ومن

دخل دار القرار نجا من عذاب النار، لأنه قال ﷺ: «أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة».

[٤٧٩] إشارات وبشارات

إشارة حسنة. وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار، لأن الله تعالى إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم.

أخرى. قال الله تعالى: ﴿مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ [يونس: ٢٤] وقوله: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ [يونس: ٢٤] فإذا جاءت الساعة بعذابها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب حتى تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نبات قط، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كأن لم تكن قط. هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات؟! لأن النبي ﷺ قال: «من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات»، فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات، بكثرة صلاتهم على سيد السادات، وخير البريات.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم وبالاً وحسرة يوم القيامة فتزينوا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم ﷺ.

[٤٨٠] مكفرات الذنوب

روي عن النبي ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقاة من المنبر فقال: آمين، وقال: آمين في الدرج الثاني، وقال: آمين في الدرج الثالث، ثم قال ﷺ: «جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت: آمين، ثم قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قلت: آمين، ثم قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت: آمين».

روي عن النبي ﷺ المختار «من صلى علي لم يلج النار».

اللهم صلّ على محمد ما اتصلت عينٌ بنظر، وتزخرفت أرضٌ بمطر، وحجّ حاجٌ واعتمر، ولبي ونحر، وحلق وقصر، وكاف بالبيت وقبّل الحجر.

اللهم صلّ عليه وعلى آله صلاةً لا نفاذَ لها ولا انقطاع، صلى الله عليه عدد من يصلي عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة، وصلّ عليه عدد الذاكرين، وغفلة الغافلين، واحشرونا وجميع المسلمين، في زمرة يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس الآيات

آية	رقمها	رقم الفقرة
[١] الفاتحة		
﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾	٦	١٨
[٢] البقرة		
﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾	٦١	٤٠٥
﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾	٧٩	٤٢٧
﴿وقولوا للناس حسناً﴾	٨٣	٤٦٢
﴿فاذكروني اذكركم﴾	١٥٢	٤٧٠
﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾	١٨٣	٣٤٣، ٣٤١
		٣٤٩، ٣٤٤
		٣٥٥
﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان﴾	١٨٥	٣٦٤
﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالئن بشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهنّ وأنتم عكفون في المساجد تلك حدود الله﴾	١٨٧	٣٥٥، ٣٥١
﴿يسألونك عن الخمر والميسر قلّ فيهما إثم كبير ومنفع للناس﴾	٢١٩	٣٨٩، ٣٨٢
﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله وسع عليم﴾	٢٦٨	١٥، ١٣، ٤
		٤٠٣

[٣] آل عمران

٤٧٠	١٨	﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾
٤٣٨	١٩	﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾
١٦٠، ١٥١	٣٠	﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾
١٦٥، ١٦٤		
١٦٨، ١٦٦		
١٧٤، ١٧٠		
١٧٦		
١٧٩	١٠٦	﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾
٤٦١	١١٠	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾
٢٧٩، ٢٤٨	١٨٥	﴿كل نفس ذائقة الموت﴾
٤٢٥	١٩٠	﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيت لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون ١٩١﴾
		﴿في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحتك فقنا عذاب النار﴾

[٤] النساء

٣٩٠، ٣٨٣	٤٣	﴿يأيا الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾
١٩	٧٦	﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾
١٥	٨٩	﴿وَدُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾
١٣٦، ١٣٣	١٤٢	﴿إن المنافقين يخدعون الله وهو خدعهم﴾
١٣٦	١٤٥	﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾
٤٢٧	١٧٤	﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾

[٥] المائدة

٤٢٧	١٣	﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾
٤٢٧	١٥	﴿قد جاءكم من الله نور وكتب مبين﴾
١٢٦	٢٧	﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾
٤٢٧	٤٤	﴿بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء﴾

الآية	رقمها	رقم الفقرة
﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾	٦٧	٤٢٧
﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾	٩٠	٣٨٤ ، ٣٧٨
﴿فهل أنتم متهون﴾	٩١	٣٩٠
﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصلحت جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصلحت﴾	٩٣	٣٧٨
﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾	١١٨	٤٧٦
[٦] الأنعام		
﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾	٣٨	١٩٠
﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾	٩٠	١٢٧
﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحة أو لحم خنزير﴾	١٤٥	٣٨٤
﴿قل إنني هدي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾	١٦١	٤٢٧
[٧] الأعراف		
﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾	١٦	١٧
﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم﴾	١٧	٢٩
﴿إنه يركم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾	٢٧	٢٢
﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾	٣٣	٣٨٤
﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾	٤٣	٤٣٢
﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾	٤٤	٢١٨
﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلم عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون﴾	٤٦	١٣٨ ، ١٣١
﴿وإذا صرفت أبصرهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾	٤٧	١٣٧
﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾	٤٩	١٤٥ ، ١٤٦

الآية	رقمها	رقم الفقرة
﴿وهو الذي يرسل الرياح بشر آيين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقنه لبلدٍ مَيِّتٍ فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾	٥٧	٤٠
﴿وإما يترغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾	٢٠٠	١٨٠١
[٨] الأنفال		
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أنفسكم وأنتم تعلمون﴾	٢٧	٩٠
[٩] التوبة		
﴿إنما يعمر مسجداً من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾	١٨	٤٢٩
﴿ومسكن طيبة في جنت عدن﴾	٧٢	٤٢٩
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾	١٢٨	٤٥٨
[١٠] يونس		
﴿دعوهم فيها سبحنك اللهم وتحيتهم فيها سلم وآخر دعوههم أن الحمد لله رب العلمين﴾	١٠	٤٦٨، ٢٧٨
﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أنها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك﴾	٢٤	٤٧٩
﴿والله يدعو إلى دار السلم﴾	٢٥	٤٣٢
﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾	٦٣	١٤٩
[١١] هود		
﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾	١٥	١٩١
﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾	١١٤	١٨٤
[١٢] يوسف		
﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾	٤٧	١٨٤

الآية	رقمها	رقم الفقرة
﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾	٩٢	٣٦٨
[١٣] الرعد		
﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾	٣٣	٤٣٢
[١٤] إبراهيم		
﴿وتغشى وجوههم النار﴾	٥٠	١٩٢
[١٥] الحجر		
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون﴾	٩	٤٢٧
﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾	٤٢	٤٢٧، ١٨
[١٦] النحل		
﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾	٦٧	٣٧٩
﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾	٩٨	١
﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾	٩٩	١٨
﴿يوم تأتي كل نفس تجدل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾	١١١	١٥٠
[١٧] الإسراء		
﴿وكل إنسن ألزمه طوره﴾	١٣	١٩٨
﴿اقرأ كتبك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾	١٤	١٨٤
﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه﴾	٣٦	٣٤١، ٣١٣
﴿وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾	٦٤	٤٠٧
[١٨] الكهف		
﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾	٢٩	٣٧٤
﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾	٤٩	٢٠٤، ١٩٧
		٢٠٥
[٢٩] مريم		
﴿قولي إني نذرت للرحمن صوما﴾	٢٦	٣٤٤

الآية	رقمها	رقم الفقرة
		[٢٠] الانبياء
﴿ ونضع الموزين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾	٤٧	٨٣، ٧٨، ٧٤
		[٢١] الحج
﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾	٣٠	٣٧٨
		[٢٢] النور
﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مبركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثل للناس والله بكل شيء عليم ﴾	٣٥	٤٢٦، ٤٢٥ ٤٢٧
﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾	٣٦	٤٢٩، ٤٢٧
﴿ يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار ﴾	٣٧	٤٢٩
﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾	٣٩	٤٢٩
﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾	٤٠	٤٦٤
		[٢٣] الفرقان
﴿ اتصبرون ﴾	٢٠	٣٨٤
﴿ وكان الشيطان للإنسن خذولاً ﴾	٢٩	٤
﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾	٦٨	١٦٠
﴿ ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾	٧٥	٤٦٨
		[٢٤] الشعراء
﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾	١١	٣٨٤
		[٢٥] القصص
﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعقبه للمتقين ﴾	٨٣	٢١١

الآية	رقمها	رقم الفقرة
﴿ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾	٨٨	١٩١، ٣٢

[٢٦] لقمان

﴿أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾	١٤	٩٤
﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾	٣٣	١٢٩
[٢٧] السجدة		
﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾	١٧	٢٣٥، ٢٣٢

[٢٨] الأحزاب

﴿هو الذي يصلي عليكم وملئكته وليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾	٤٣	٤٧٠
﴿تحتهم يوم يلقونه سلم﴾	٤٤	٤٦٨
﴿إن الله وملئكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾	٥٦	٤٤٦، ٤٣٣
		٤٧٠

[٢٩] سبأ

﴿وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾	٣٩	٤٠٣
--	----	-----

[٣٠] فاطر

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾	٢٨	١٢٦
﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾	٣٤	٢٣٥، ٢١١
		٤٣٢
﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها الغروب﴾	٣٥	٢١٨

[٣١] يس

﴿هم وأزواجهم في ظلل على الأرائك متكئون﴾	٥٦	٢٣٤
﴿سلم قولاً من رب رحيم﴾	٥٨	٤٦٧

[٣٢] الصافات

﴿في جنت النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين﴾	٤٥، ٤٣	٢١١
--	--------	-----

[٣٣] الزمر

٢٢	٤٦٣، ٤٢٦	﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾
	٤٦٤	
٢٤	١٩٢	﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة﴾
٤٧	١٧٥	﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾
٧٤	٢٣٥	﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾

[٣٤] فصلت

٧٠٦	٤٠٤	﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كفرون﴾
-----	-----	--

[٣٥] الشورى

٣٦	١٢٠	﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾
٥٢	٤٢٧	﴿ولكن جعلناه نورا آنهدي به من نشاء من عبادنا﴾

[٣٦] الزخرف

٦٨	١٤٩	﴿يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾
٦٩	١٤٩، ٦٩	﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾
٧١	٢١١	﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾

[٣٧] محمد

٢٤	١٧٦	﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾
----	-----	---

[٣٨] الفتح

٢	٤٢٧	﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾
---	-----	--------------------------

[٣٩] ق

٢١	١٥١	﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾
٢٢	٤٢٩	﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾
٣٥	٢٣٤	﴿ولدينا مزيد﴾
٤١	٤٢	﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾

[٤٠] الذاريات

٥٤	٤٢٧	﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾
----	-----	---------------------------

[٤١] الرحمن

٦٢	٣٣	﴿يمعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطن﴾
١٧٣	٤١	﴿يعرف المجرمون بسيمهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾
٢٢٠	٥٦	﴿فيهن قاصرت الطرف لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان﴾
٤٣١	٦٠	﴿هل جزاء الإحسن إلا الإحسن﴾

[٤٢] الواقعة

٢٤٠	١٩	﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾
٢٣٣	٣٤	﴿وفرش مرفوعة﴾
٢٢٠	٢٣، ٢٢	﴿وحور عين كأمثل اللؤلؤ المكنون﴾
٢٣٦، ٢٢٠	٣٧، ٣٥	﴿إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً﴾
٣٨٤	٨٦	﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾

[٤٣] الحديد

٤١٠	١١	﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضعفه له وله أجر كريم﴾
-----	----	---

[٤٤] المجادلة

٤٣١، ١٢٧	٢٢	﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾
----------	----	--

[٢٥] الحشر

٤٢٨، ٣٧٤ ٤٧٠	٧	﴿وما إناكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا﴾
-----------------	---	---

٤٠٦، ١٤	٩	﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾
---------	---	--------------------------------------

٤٠٧

[٢٦] المنافقون

٣٩٩، ٢٩٨	١٠	﴿وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾
----------	----	---

[٢٧] التحريم

١٤٥	٨	﴿يقولون ربنا أئتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾
-----	---	--

[٢٨] الحاقه

١٤	٥١	﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾
١٩، ٢٥	١٨٩، ١٨٥	﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتبه إني ظننت
١٩٠		أني ملق حسايه فهو في عيشه راضية﴾
٢٥- ٣٢	١٩٢	﴿في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في
		الأيام الخالية وأما من أوتي كتبه بشماله، فيقول يليتني لم
		أوت كتبه ولم أدر ما حسايه يليتها كانت القاضية ما
		أغني عني ماليه هلك عني سلطنة خذوه فغلوه ثم الجحيم
		صلوه ثم في سلسله ذرعها سبعون ذراعاً فأسلكوه﴾

[٢٩] المزل

١٢	٣٧٤	﴿إن لدينا أنكالا وجحيماً﴾
١٨	٤٣١	﴿كان وعده مفعولاً﴾

[٣٠] النازعات

٣٦	٣١٣، ٦١	﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾
----	---------	------------------------

[٣١] عبس

٣٧	١٢٢	﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾
----	-----	---------------------------------

[٣٢] المطففين

١٥	١٩٠، ١٨٠	﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾
----	----------	-----------------------------------

[٣٣] الفجر

٢١	٥٠	﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا﴾
----	----	-----------------------------

[٣٤] الزلزلة

١	٣٣، ٣١	﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾
٢	٤٥	﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾

[٣٥] القارعة

٦- ٨	٧٨	﴿فأما من ثقلت موازينه وأما من خفت موازينه﴾
------	----	--

[٣٦] التكاثر

٣١٢، ٣١١ ٨ - ١

٣١٣

﴿إِلهَكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْتَلْنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

فهرس الأطراف

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
أبشر يا أمير المؤمنين	عمرو بن العاص	٣٢٥
أتاكم شهر رمضان يغشيكم الله فيه بالرحمة		٣٥٧
أتاني جبريل وناولني الطينة التي يقتل عليها الحسين		٤١٢
اتقوا الشح		٤٠٦
اجعلوه [الموت] نصب أعينكم		٢٤٩
أجهل الناس سيء آمن	منصور بن عمار	١٦٥
أحب الصلاة إلى الله صلاة داود		٣٧٢
أخبرنا كيف وجدت الموت؟		٢٥٢ - ٢٥٣
أخطأ طريق الجنة من ترك الصلاة علي		٤٦٦
أدخلني من هو أملك لها منك ومني		٢٩١
ادعوا الله أن يخفف عني سكرات الموت		٢٥٦
إذا أتوا [حملة القرآن] إلى الصراط تلقنهم الملائكة		١٢٧
إذا أراد الله بعبده خيراً أعانه على حفظ لسانه		٩٨
إذا أراد الله قبض روح العبد المؤمن دعا ملك		٢٨٨ ، ٢٨٧
الموت		٢٩٠ ، ٢٨٩
إذا أسكن الله تعالى أهل الجنة الجنة وأهل النار	أنس بن مالك	٢٣٩
النار هبط ربنا		
إذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطعام	يحيى بن معاذ	٣٧٤
إذا بلغ الرجل أربعون سنة ولم يغلب خيره		١١
على شره قبله الشيطان		

الطرف	القائل	رقم الفقرة
إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي		٣٠٦
إذا جاء أجل العبد سقطت [ورقة من تحت		٢٦٠
العرش] في حجر ملك الموت		
إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد أين	ابن عباس	١٥٢
اللوح المحفوظ		
إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد		٧٠
هذا يوم الدين		
إذا خرج العبد من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك		٤٥
من الملائكة واقف عليها		
إذا دخل الضيف بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة		١٠٢
إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة		٣٥٧
إذا سمعتم الأصوات قد علت في المساجد فلا تجالسوهم		٤٢٨
إذا أخرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة		٢٨٤
إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء		٣٠٧
إذا قرأ قارئ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ يدعى بمؤدي		٣١١
الشكر لله		
إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى رجلاً		١٨٤
إذا كان يوم القيامة فيؤتى بشاب من أمتي يتعلق بي		٣٧٠
إذا كذب المؤمن تباعد منه المكان		١٠٩
إذا كفيت		٤٦٢
إذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن	ابن عباس	٣٨٧
إذا هم [أحدكم] بإخراج درهم لوجه الله فتح		٤٠٣
الشيطان في قلبه		
إذا هممت بصدقة فبادر إليها الشيطان		١٣
أذكروا القبر ووحشته		٢٩٢
أرحم ما يكون المولى بعبده إذا دخل قبره	ابن عباس	٣٣٠
أرى الضحك قد غلب على مجلسكم		٢٦٨
أعار النبي علياً		٣٨٨

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
أعطى النبي الأنصاري ناضحاً		٣٨١
أعقل الناس محسن خائف	منصور بن عمار	١٦٥
أعوذ بالله العظيم وبوجه الكريم من الشيطان		٢٠
أفلا تذكرون مكدر اللذات		٢٦٩
أفلح إن صدق		٣٥٢
أقسم ربنا بعزته لا يشرب عبد من عبيده جرعة		٣٩٢
خمر إلا سقيته من حميم جهنم		
أكثر ما تزل النساء		٨٧
أكثر ما يجد المؤمن في صحيفته الاستغفار		١٩٨
أكثر ما يزل النساء		١١٢
أكثركم علي صلاة أقرىكم مني مجلساً		٤٧٢
أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة		٤٧٨ ، ٤٧١
أكثروا ذكر هازم اللذات		٢٤٩
أكثروا من الصلاة علي		٤٧٤ ، ٤٧٢
		٤٣٤
أكثروا من ذكر هازم اللذات	عمر بن الخطاب	٢٦٧
ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين في الميزان		٨٣
سبحان الله والحمد لله		
ألا إن الخمر قد حرمت		٣٩٠
ألا متأهب لموت يوصف له ويراه	ابن السماك	٣٢٨
ألا من متأهب لموت يوصف له ويراه		٣٢٨
ألا وإن إبليس قد يأس منكم		٢٧
اللهم اكتب لنا براء من النار		٣٧٧
اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة		٦
اللهم إني مقر مذنب مستغفر	عبد الله بن عمرو	٢٦٣
اللهم انزل علينا في الخمر بياناً		٣٩٠
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد		٤٤٠
اللهم هون علي سكرات الموت		٢٥١

الطرف	القائل	رقم الفقرة
إليك عني لا تحرقني بنارك		٤٠٦
أما القلوب فمعك ، وأما السيوف فمع بني أمية	الفرزدق	٤١٣
أما ترى ما نلقى من أمر الخمر يا رسول الله	عمر بن الخطاب	٣٨٢
أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن	الحسن البصري	٣٧٢
بإحسانه والمسيء بإساءته		
أنجاكم من أهوال يوم القيامة أكثركم علي صلاة		٨٧
أنجاكم يوم القيامة أكثركم علي صلاة		٤٤٥
إن آدم رفع رأسه فنظر على ساق العرش :		٤٧٨
لا إله إلا الله محمد رسول الله .		
إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة		٤٠٥ ، ١٠٦
إن الدموع تطفئ بحار النار		٢٠٧
إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار		٩٨
إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد .		٣٠٤
إن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به		١١٠
إن العبد إذا ابتدأ بالصلاة على محمد فتحت		٤٤٧
له أبواب السماوات		
إن العبد المؤمن إذا قام في رمضان . . . جعل		٣٦١
الله خلقه سبع صفوف من الملائكة		
إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار		٤٢٩
إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي فترجع الحاجة		٤٧٣
على سحابة		
إن القبر ينادي كل يوم سبع مرات		٣١٦
إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق		٤٤٩
إن الله افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة		٤٠٠
إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه		٤٠٢
إن الله خلق في الأرض مما ذرأ أوبراً ثمانية		٣٠٠
وأربعين ألف قبيلة		
إن الله فرض عليكم شهر رمضان		٣٧٧

الطرف	القائل	رقم الفقرة
إن الله قال لإبراهيم لما مات : يا خليلي كيف وجدت طعم الموت؟		٢٥٤
إن الله قد جعل شهر رمضان مضمراً خلقه يستبقون فيه	الحسن البصري	٣٧٢
إن الله لا ينظر إلى صوركم		٢٣
إن الله لم يجعل شقاء أمتي فيما حرم عليها		٣٨٢
إن الله وكل بي ملكين		٤٥٢
إن الله وهب ذنوبكم عند الاستغفار		٤٥٠
إن الله يخلو بعبده يوم القيامة		١٦٩
إن الله يسر إلى عبده سرين		٢٦٧
إن الميت إذا وضع على المغتسل ينادى : أين لسانك الفصيح		٢٩٨
إن الناس الذين ينجون من الصراط يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار		١١١
إن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام		٧٣
إن النبي أعار علياً بعيرين		٣٨٨
إن أهل الجنة إذا زاروا ربهم يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء		٢٤٤
إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون		٢٢٧
إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها		٢٤٥
إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر		٢٢٩
إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة		٤٤٠
إن تحت العرش ملكاً ينادي كل يوم وليلة :		٢٩٤
الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على الله بشر		
إن جبريل هبط على نوح فوجده قد عمل خصاً على البحر		٢٦١
إن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثران من مسك		١٢٧
إن خطيئتها تعلو كل الخطايا [الخمر]		٣٨٦
إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي		٢٥٠

الطرف	القائل	رقم الفقرة
إن سليمان دعا الله أن يريه ملك الموت		٢٩١
إن في ابن آدم لمضغه إذا صلحت صلح الجسد كله		٤٢٦
إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى		٢١٣
إن للشيطان أعواناً من بني آدم		٢٨
إن للمجالس أوتاداً جلساؤهم الملائكة		٤٣٩
إن للموت لسكرات		٢٥١
إن الله شجرة فرعها تحت العرش		٢٥٩
إن لله ملكاً رأسه تحت العرش		٣٥٧
إن ملك الموت ينظر لوجه العباد كل يوم سبعين مرة		٢٩٧
إن ملكاً ينادي تحت العرش الويل لمن ترك عياله بخير		٤٠٩
وقدم على الله بشر		
إن هذا الفتى يصلي على صلاة ما يصليها على		٤٣٧
أحد من أمتي		
إنما تقوم الساعة على شر خلق		٣٣
إنما يزورون المقابر بالموت ولا بد لكل زائر أن	عمر بن عبد العزيز	٣١٣
يعود لوطنه		
إنه [الضيف] إذا نزل نزل برزقه		١٠٣
إنه [الشح] أهلك من كان قبلكم		٤٠٦
إنها تحمل العقد وتكشف الكرب [الصلاة على النبي]		٤٧١
إنها تحمل العقد وتكشف الهم		٤٦٥
إنها [الصلاة على النبي] تطفى غضب الجبار		٤٧٢
إنها [الصلاة على النبي] تن كيد الشيطان		٤٧٤
إنها [الخمر] مذهبة للعقل متلفة للمال		٣٨٢
إنهما المقربتان [سبحان الله والحمد لله]		٨٣
إني أشفع لكم على قدر [الصلاة على النبي]		٤٣٤
أهدوا إلى موتاكم		٣٣٩
أوحى الله إلى موسى يا موسى إن أردت أن أكون إليك		٤٣٥
أقرب من لسانك فأكثر من الصلاة على محمد		

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
أوحى الله للملك الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه		١٩٥٠
أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد		١٨٥
أول من يحاسب من هذه الأمة عبدالله بن عبد		١٨٦، ١٨٥
الأسد وأخوه		١٨٨، ١٨٧
		١٨٩
		٨٧
أولاكم بشفاعتي أكثركم علي صلاة		٤٦٢
أي الدعاء أفضل		٤٠٨، ٤٠٧
أي الصدقة أفضل		٢٤٩
أي المؤمنين أكيس؟		١٦٤
إياكم ومحقرات الذنوب		٤٠٥
أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعاً وهو يعلم		
بجوعه فقد برىء من ذمة الله		
أين الصائمون		٣٥٧
أين الملوك وأبناء الملوك		١٤٨
أين عمار المساجد في الدنيا		٤٢٩
أيها الناس إني لكم ناصح أمين		٢٧
أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا		٣٨
أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل		٤٨
أيها الناس لا تكرهوا الضيف		١٠٣
أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه؟	عمر بن عبدالعزيز	٢٧٤
بادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا		٣٨
بش الداء [قسوة القلب] داؤك		٢٧٣
بش الشاب بش الشاب		٣٧٠
بعثني الله رحمة وهدى		٣٩٢
به يعرف الله ويعبد [العلم]		١٢٦
بين العبد والكفر ترك الصلاة		٣٨٥
تباهوا بالصلاة علي		٤٥٢
تجهزوا لقبوركم		٣١٦

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
تجوع بالنهار وقم بالأسحار تر عجباً من الجبار	ذو النون المصري	٣٧٤
تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً		٢٧٥
تسحروا فإن الله يحب المتسحرين		٣٦١
تعرض على الموتى أعمالكم		٢٨٥
تعلموا العلم		١٢٦
تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين		١٤٧
ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد أحد		١٢٢
ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله		٤٤١
جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهاري	مطرف بن الشخير	٢٠٤
جهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر	علي بن أبي طالب	٤٠٣
حديث البطانة		٧٩
حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل علي		٤٤٤
حسنات الحرم الحسنة بسبعمائة حسنة		٤٥٣
حملة القرآن أولياء الله		١٢٧
خلف الصراط جسر عليه الأمانة		١٣٠
خمس صلوات في اليوم واللييلة		٣٥٢
خوفني جبريل من أهوال يوم القيامة		٥٠
خيار أمتي الملاء الأعلى في الدرجات		٤٣١
خير الخطائين التوابون		١٦١
الخمر جماع الإثم		٣٨٥
الخمر مفتاح كل شر		٣٨٦
دخل عيسى بن مريم مدينة خربة فنادى يا خراب الآخرين		٣٢٤، ٢٠١
أين أهلك؟		
درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار		١٠٢
ينفقها في سبيل الله		
الدعاء بين الصلاتين لا يرد		٤٦٢
الدنيا كلها بين يدي ملك الموت كالمائدة		٢٥٧
الذليل عند الله في النار		١١٥

الطرف	الفائل	رقم الفقرة
رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً	أبو سعيد الخدري	١٧
رأيت إبليس في المنام فقلت له	سهل بن عبد الله الصصري	٢٢
رب مستقبل يوماً لا يستكمله	ابن مسعود	٢٧٢
رحم الله من تصدق من فضل وأنفق من كفاف		٤٨
الزالون والزالات كثير		١١٢
الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن		١٢٩
الزنا يورث صاحبه ست خصال		٣٤٨
شهادة الزور من أعظم الكبائر		٩٩
صوموه [يوم عاشوراء]		٤٠٠
الصلاة على النبي أسحق للذنوب من الماء البارد للنار	أبو بكر الصديق	٤٧٥
الصلاة على نور على الصراط		٤٦٦
الصور قرن من نور		٣٢
الصيام باب العبادة		٣٦٠
الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة		٣٥٩
طيب النفس من النعيم		٣١٣
عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك	ملك الموت	٢٩٧
عجباً لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم		١٧١
عجباً لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب النعيم والجنان		١٧١
عد المرضى واشهد الجنائز		٢٧٣
عرضت علي الذنوب كلها		١٢٩
عفوا تعف نساؤكم		٣٤٧
في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم		٣٤
في قضاء الله تعالى خيراً إلّا قضاء النار		١٤٩
قال الشيطان لموسى : لا تخلون بامرأة غير ذي محرم		١٣
قال الله سمائي مملوءة بملائكتي		٣٠٧
قال الله من صلى عليه [النبي] صليت عليه		٤٦٩
قال الله يا ابن آدم اسكتك في جواربي فعميتني		٢٩
قال الله يا عبدي نظرة بنظرة ولو أردت لزدناك		٣٤٦

الطرف	القائل	رقم الفقرة
	قال الله يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة	١٦٩
	قام نوح خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلًا	٢٥٦
	من الموت	
	قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجدد	٢٦٣
	قوموا قيام من قد يثسوا من المعاودة حذرًا من	٢٩٥
	القاطف للنفس	
	القبر روضة من رياض الجنة	٣١٤
	كان إذا هبت الريح تغير لونه	٣٣
	كان [النبي] جالساً فقرأ هذه الآية: ﴿ان تعذبهم	٤٧٦
	فإنهم عبادك﴾	
	كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الموت	٢٩٦
	تقطر جسده ماء .	
	كان يتعوذ من البخل والجبن والهرم	١
	كان يدخل يده في القدح ويمسح بها وجهه	٢٥١
	كان [داود] ينام من الليل نصفه ويقوم ثلثه	٣٧٢
	كان محمد بن واسع إذا جن عليه الليل يبكي	٢٠٤
	كان يعدون من النعيم أن يتغذى الرجل ويتعشى	٣١٣
	كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه	٨٤
	كانوا يصلون كما تصلون ويصومون كما تصومون	٨٤
	كفى بالعبادة شغلاً	٢٨١
	كفى بالموت طامة	٣٣٤
	كفى بالموت واعظاً	٢٨١ ، ٣٠٩
	كفي عن أمتي	٦٣
	كل بني آدم خطاء	١٦١
	كل درهم ينفقه في طاعة الله فهو عند الله أثقل	٣٩٨
	من السموات والأرضين	
	كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت	٤٧٣
	الصلاة علي صعد الدعاء	

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
كل شراب أسكر فهو حرام		٣٨٥
كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله		٧٢
كل مال خالطه ربا فهو زاد صاحبه إلى النار		١١٥
كل مسكر حرام		٣٧٦
كل معروف صدقة		٤٠٣
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم		٨٣
كنت إذا كتبت اسم النبي صليت عليه فغفر لي		٤٥٦
كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور		٣٢
كيف زهده في الدنيا		٢٧١
الكتب كلها تحت العرش		١٨٤
لا اختلاف بينهم [أول من يدخلون الجنة] ولا تباغض		٢٢٩
لا بد لكل زائر [للقبر] أن يعود لوطنه من جنة أو نار	عمر بن عبد العزيز	٣١٣
لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد		٢٧٧
لا تجعلوني كقدح الراكب		٤٧٤
لا تخلون بامرأة غير ذي محرم فأكون ثالثكما [قالها الشيطان لموسى]		١٣
لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر		٣٦١
لا تضامون في رؤية ربكم تبارك وتعالى		٢٤٣
لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر إلى من عصيت		٣٧٣
لا فاقة بعد القرآن ولا غنى بعد النار		٣١٢
لا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس [الخمر]		٣٩٢
لا يعذب أحد في قبره إلا بإحدى ثلاث في الغيبة		٨
لا يرد الدعاء بين الصلاتين		٤٦٢
لا يعزهن إلا عزيز [النساء]		١١٥

الطرف	القاتل	رقم الفقرة
لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي	١٤٩	
قضاه الله عليه أو له خير له		
لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى السبعين	٢٦١	
لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها	٢٣٢	
لعن الخمر وشاربها	٣٩٣	
لقد أوصاني ربي ليلة أسرى بي بحفظ الجار	١٠٧	
لكل إنسان ميزان يوزن به	٧٨	
لكل شيء باب وباب العبادة الصيام	٣٦٠	
للجنة باب يقال له الريان	٣٥٧	
للجنة ثمانية أبواب	٣٥٦	
للموت ثلاثة آلاف سكرة	٢٥٧	
لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها تزيني	٢٢	
لما قدم المدينة صامه [عاشوراء]	٣٩٩	
لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الأنبياء	٢٥٣، ٢٥٢	
لما نزل تحريم الخمر قال أصحاب النبي انتهينا	٧٨٦	
لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره	٢٧٢	
لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما	٣٥٥	
لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة		
لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل	٢٥١	
السموات والأرض لما توا		
لو أن قطرة وضعت على جبال الدنيا لزال	٢٥١	
لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون	٢٥٥	
ما أكلتم سميناً		
لو كان الجوع يباع في السوق لكان المريد	٣٧٥	
محقوقاً أن لا يشتري غيره		
لو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنوا مني	١٩٧	
لو يعلم الناس ما لهم في شهر رمضان لتمنوا	٣٥٨	
أن تكون السنة كلها رمضان		

الطرف	القائل	رقم الفقرة
ليتنى ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني بما يجد	عبد الله بن عمرو	٢٦٣
ليردن على أقوام عند حوض ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علي		٤٥٤
ليس بغافل ولا ذاك. للموت من عدّ غداً من أجله	ابن مسعود	٢٧٢
ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة		٣٨٥
ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله		١٩٦
ليس صاحبكم هناك		٢٧١
ليس في الذنوب إلا عظيم، لأننا إنما نعصي بها	كعب الأحبار	٣٧٣
الرب العظيم		
ليوم القيامة مئة ألف هول		٥٦
ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً		٤٠٥
وجاره جائعاً		
ما آمن بي من مات شبعاناً وجاره طاوياً إلى جنبه		٤٠٥
ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهي في بطونها [القبور]	الحسين	٣٢٠
ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى!		٣٣١
ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح		٢٧٠
ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك في عمله		٢٧٠
ما جلس قوم مجلساً فتنفروا عن غير صلاة علي		٤٥٥
إلا تنفروا عن أنتن من جيفه حمار		
ما خلق الله أعجز ممن يسمع ذكر محمد ولا يصلي عليه		٤٥٢
ما رأيت مثل الجنة نام طالبها		٢١٢
ما علامة إيمانكم		٤٢٢
ما مكدر اللذات يا نبي الله؟		٢٦٩
ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه		٣٧٣
ما من أحد إلا ومعه شيطان		١٠
ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد إلا		٤٣٣
تصير روضة من رياض الجنة		

١٢٩		ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن
٣٨٨		ما من عبد أنفق درهماً في الخمر إلا محق الله من رزقه سبعين درهماً
١٠٣	معاذ بن جبل	ما من عبد من عباد الله أكرم ضعيفاً لوجه الله الكريم إلا نظر الله إليهم
١٠٣		ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك في قبره
١٩٩		ما من مؤمن يصبح صائماً إلا فتحت له الجنة
٣٧٧		ما من مجلس يصلى فيه على النبي إلا نمت له رائحة طيبة
٤٣٢		ما من ملك ولا نبي ولا صديق إلا وهو يقول يوم القيامة بحرمة محمد أن تنجني من عذابك
١٠٣	معاذ بن جبل	ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله ملكاً إلى ذلك المنزل
٢٤٩	عيسى عليه السلام	ما من مولود يولد إلا وفي سترته من تراب الأرض التي يموت فيها
٢٩٢	سلمان الفارسي	ما من يوم إلا وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجلوا
٤٠٤		ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش المال مال الله
٢٦٠		ما من يوم إلا وملكان يناديان يا أهل الدنيا ولدتكم للموت
٢٥٤	داود عليه السلام	ما يعبا الله بهذه الدودة
٣٥٠		مالي أراك أبي قيس طليحا
٢٦٢		مر عيسى بجمجمة فقدفها برجله
٣٧٧		مرحبا بالمطهر [رمضان]
٣٤٨		مررت ليلة أسري بي على أناس أمامهم موائد حسان
٢٣٢		مكتوب على باب الجنة إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها

الطرف	القائل	رقم الفقرة
من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات وكل الله به ملكاً		٢
من استغفر الله بنية صادقة غفر له		٤٥٠
من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات		٣٩٧
من اشتاق إلى رحمتي رحمه		٤٣٤
من أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما		٣٩٦
أفطر عنده جميع أمة محمد		
من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض		٣٩٧
من اكتحل بالإثم يوم عاشوراء لم ترمد عينه		٣٩٧
من أكثر الصلاة على نور الله قلبه		٤٦٣
من أكثر الفكرة في الموت هوّن الله عليه سكراته		٣٠٧
من أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله يوم القيامة		١٠٢
من أنفق في يوم عاشوراء درهماً أخلف الله		٣٩٨
له سبعمائة		
من بات سكراناً بات للشيطان عروساً	ابن عباس	٣٨٧
من ترك الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة		٤٦٦
من تقرب إلي غفرت ذنوبه		٤٣٤
من جعل جميع عبادته الصلاة على قضى الله له		٤٦٢
جميع حوائج الدنيا والآخرة		
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً	علي بن أبي طالب	١٦
من دخل المقابر وقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾		٣٣٨
عشر مرات وأهدى ثوابها للموتى غفر الله للموتى		
من ذرية إبليس ولد يسمى زكبتور	مجاهد	٢٤
من زنا بامرأة يهودية فتح الله عليه في		٣٤٧
قبره ثلاثمائة باب من جهنم		
من زنا بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة		٣٤٧
من سرق في رمضان لم يتقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً		٣٦٢
من سمي الله على الطعام فقد أدى شكره	إبراهيم النخعي	٣١٣
من شبع من الطعام عجز عن القيام	يحيى بن معاذ	٣٧٤

الطرف	القائل	رقم الفقرة
من شرب شربة من مسكر لم يتقبل الله له صلاة أربعين يوماً		٣٩٤
من شهد شهادة زور على ذمي علق بلسانه في الدرك الأسفل		٩٩
من صام ثلاثة أيام من كل شهر جوزه الله على الصراط أسرع من البرق .		١١٢
من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله		٣٥٥
من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه		٣٥٣
من صام رمضان في إنصات اقترب من الله		٣٥٥
من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقاً		٣٧٧
من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر	موسى عليه السلام	٣٩٧
من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة		٣٩٦
من صامه [شهر رمضان] وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه		٣٧٧
من صلى علي ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة		٤٥٧
من صلى علي ألف مرة لم يموت حتى يبشر بالجنة		٤٦٨
من صلى علي ألف مرة حرمه الله على النار		٤٥٧
من صلى علي صلاة تعظيماً لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً		٤٤٦
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرأ		٤٤٩
من صلى علي صلت عليه الملائكة		٤٥٠
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه		٤٥١

الطرف	القائل	رقم الفقرة
من صلى علي في يوم الجمعة مئة مرة غفر الله خطيئته		٤٣٥ ، ٤٦٢
من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة		٤٥٠
من صلى علي لم يلبج النار		٤٨٠
من صلى علي مئة مرة ترحمت النار عنه		٤٧١
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرأ		٤٧٢ ، ٤٥٧
من صلى علي مرة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتب عليه ذنباً ثلاثة أيام		٤٦٢
من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات		٤٧٩
من صلى علي من أمتي كتبت له عشر حسنات من حسنات الحرم		٤٥٣
من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة علي		٤٧١
من غفل عن ذكره [الموت] يوشك أن يأتيه فجأة		٣٠٧
من قال لا إله إلا الله رجح ميزانه		٤٥٠
من كان يوم من بالله واليوم الآخرة فليكرم ضيفه		١٠١
من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين		٤٠٨
من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة		٣٩١
من مشى في إفشاء عيب لمسلم كان أول خطوة يخطوها من النار		٣٤٦
من نظر إلى امرأة حراماً حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار		٣٤٥
من وجد خيراً فليحمد الله	ابن عباس	١٤٧
المتحابون في الله في الدنيا هم في الجنة		٢٤٤
على عمود من ياقوته حمراء		٤٠١
المعروف بقي سبعين نوعاً من البلاء		٣٦١
الملائكة تصلي على المتسحرين		٢٧٥
الموت جاءكم بالوحيه		٣١٣
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ		

الطرف	القائل	رقم الفقرة
النار نام هاربها		٢١٢
النساء ودائع الأحرار		١١٥
التعيم العافية	محمد بن علي بن الحنفية	٣١٣
هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبي		٤٤٢
هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر		٢٤٢
هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف [الموت]		٢٧٥
وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها		٤٦٢
والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي		٣٩٣
يوم القيامة فيقول الله للملائكة خذوه		
والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بإرزية من نار		٧
والذي بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم		٢٨
والذي نفس كعب بيده إن جهنم لتزفر زفرة		٧١
فتقطع السلاسل التي بيد الزبانية		
والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة		١١١
أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا .		
والذي نفسي بيده إن أعظم ثارة فيه كما		٣٢
بين السماء والأرض [الصور]		
وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلاة	موسى عليه السلام	٢٥٥
وسعوا فيه على عيالكم وأهلكم [عاشوراء]		٤٠٠
وصى عند موته بصلة الرحم		١١٤
وعزت لك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد [الجنة]		٢١٢
ولي الله في الجنة يلبس حلة ذات وجهين		٢٢٧
ويحك أما علمت أن البخل كفر		٤٠٦
الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير وقدم		٤٠٩، ٢٩٤
على الله بشر		
الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة		٢٩٢
يا أبا بكر لعلك يشق عليك		٤٣٦

الطرف	القائل	رقم الفقرة
يا أبا سعيد أما علمت أني لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة	إيليس	١٧
يا ابن عباس : ما أذل العاصين بين يدي الله	سعيد بن جبير	٣٣٢
يا ابن عباس : ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل		٣٣٢
يا ابن مريم : بادوا وسيعودوا!		٢٠١
يا ابن مريم بادوا فاجتهد ولا تفرط		٣٢٤
يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحشرات		٣١٨
يا أحبائي وكيف يضحك من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه	محمد بن واسع	١٩٧
يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوي ما يشغلني عن جميع عيوبك		٩٨
يا أسامة إياك وكل كبد جائعة		٤٠٥
يا أيها الناس الموت الموت جاءكم بالوخية		٢٧٥
يا باغي الخير هلم		٣٥٧
يا خراب الآخرين : أين أهلك وعمارك		٢٠١
يا داود إني أعبد الله سبحانه وأخافه		٢٥٤
يا رب النار أهون علي من حيائي منك		١٦٩
يا رب سل هذا الفتى لم منعني معروفه		٤٠٥
يا رب سل هذا لم بات طاعماً		٤٠٥
يا رب لا يسمع بها أحد إلا أدخلها [الجنة]		٢١٢
يا رب متى ألتقي مع الأحبة	سليمان عليه السلام	٢٩١
يا رب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك	آدم	٤٧٨
يا عائشة لا تتكلفي للضيف		١٠٢
يا عائشة لو قبل الله من العبد سجدة واحدة لأدخله الجنة		٨٤
يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك		٢٩٨
يا عبد الله ما أدخلك داري	سليمان	٢٩١
يا عبدي ما الذي زهدك في ورغبتك في غيري		١٦٧
يا عجباً للفروع ذهبت أصولها وللنجوم قد آن أفولها	ابن مسعود	٢٧٢

الطرف	القائل	رقم الفقرة
يا عدو الله خذ عمك فاحمله على ظهرك		٤٥
يا علي إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى		١٠٢
قدمن عليك		
يا كعب حدثنا عن الموت	عمر بن الخطاب	٢٥٢
يا كعب خوفنا	عمر بن الخطاب	٧١
يا ليتني وقت قتل الحسين بن علي مع هؤلاء	عمر بن الخطاب	٤٢٠
فكنت أفديه بنفسي		
يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها		٢٥
يا محمد الله يقرئك السلام		٤٧٦
يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق		٣١٠
يا محمد لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما		٥٠
ينسيك المغفرة		
يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فلم		٣٥٤
يغفر له فدخل النار		
يا ملك الموت ارفق بصاحبي		٣١٠
يا ملك الموت أكف عني		٢٩١
يا موسى كيف وجدت الموت		٢٥٥
يأتي النبي فينظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان		٨٢
يؤتى بشاب يوم القيامة باكياً حزيناً		٣٧١
يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له أد ما ضيعت		٩١
يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان		٣٧١
ياكلها الرياء والسمعة [الأعمال]		٨٤
ياكلون ويشربون ويتفكهون		٢٢٦
ياخذ بزمام النار ويقبض على خطامها		٦٣
يبعث أهل الجنة على صورة آدم		٢٢٨
يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء		١٢٩
يسطع نوره في الجنة فإذا هو نور ج وراء		٢٢٧
يقول الله أنا بريء ممن أنت بريء منه		٣٧٠

الطرف	القائل	رقم الفقرة
يقول الله أين جيرانى		٤٢٩
يقول الله سمائى مملؤة بملائكتى يسبحونى		٣٠٧
يقول الله يوم القيامة يا بني آدم انصتوا	ابن عباس	١٤٧
يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير		١١٢، ٨٧
يتزل من السماء في كل يوم اثنان وسبعون		٤٠٤
لعنة على مانعي الزكاة		

فهرس غريب الألفاظ

الأرجوان	- أرج -	شجر من الفصيلة العرنية له زهر شديد الحمرة حسن المنظر وليست له رائحة	٢١٤
أفل	- أفل -	أفل أفولاً: غاب، وللنجوم قد آن أفولها - أكم -	٢٧١
الآكام	- آل و -	جمع أكمة وهو التل إلى الجبال والآكام	١٦٨
الألوة		عود يتبخربه، من شجر الألنجوج، ووقود مجامرهم الألوه	٢٢٧
الإلوة		اليمين، يألو: يحلف، وما يألون إن جحدوا ديوني	٣٢٢
الألنجوج		شجر من الفصيلة المارزونية إذا أحرق عوده كانت له رائحة جميلة	٢١١
الآناء	- أنى -	ساعات الليل في جميع الآناء والأوقات - آب -	٤٢٧
آب		آب إليه: أوبأ وأوبة: رجع عن ذنبه وتاب حسن الأوبة	١٦٣
الأواب	- آه -	وصف للمبالغة في الرجوع والتوبة الصادق الأواب - آه -	٤٤٦
آه		آه أوها: قال آه فقال أواه	٢٥١

	- ب ت ل -	
١٤١	العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله	البتول
	- ب خ ت -	
٢٢٤	الإبل الخرسانية	البخت
	- ب ر ح -	
٤٣٥	برح بروحاً وبرحاً: زال، فارق لا أبارحك	برح
	- ب ر ذ ن -	
٢١٥	واحدة برذون وهي الخيل غير العربية	براذين
	- ب ر ز -	
٣٢٣	الفضاء الواسع المبرز: المكان الظاهر	البراز
	- ب ر ط -	
١٢٨	الرشوة	البرطيل
	- ب ر ه -	
	المدة من الزمان	البرهة
	- ب س ر -	
٢١١	لقاحها بسرها زمرد أخضر	بسرها
٣١٣	تمر النخل قبل أن يربط أطعمنا بساً	البسر
	- ب ط ح -	
	الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك	البطحاء
٢١١	الرمل والحصى الصغار بطحاؤها ياقوت	
٤٥٠	نزول البطحاء	الأبطحي
	- ب ط ر -	
	المستخف بالنعمة	البطر
	- ب ط ل -	
٣٣	بطل الشيء: ذهب ضياعاً. بطل في حديثه: هزل	بطل
	- ب ط ن -	
٨٥	بطن الرجل فهو مبطون: أي أصابه في بطنه	بطن
	- ب ل ق -	
٢٥٥	الخال من كل شيء	البلقع

	- ب اء -	
٢١٠	ينزلكم	ييوئكم
	- ت خ م -	
٣٣	معالم الأرض	تخوم
	- ت ر ح -	
٣٢٧	واحدها ترح وهو الحزن	أتراح
	- ت ل ف -	
	هلك وعطب والذي ذهبته نفسه	تلف
١٠٤	هدراً	تلفاً
	- ث ب ر -	
١٧٠ ، ٥	ثبوراً: هلك	ثبر
	- ث ر ا -	
١٧١	الأرض، التراب	الثرى
	- ث ك ل -	
	واحدها ثكل وهي المرأة التي فقدت ولدها أو	ثواكل
٢٩٢	الحبيب	
	- ث ل ب -	
٢٩٤	يثالب: ينغص ويعيب	ثلب
	- ث وى -	
٢٧٩	ثوى بالمكان ثوياً: أقام واستقر	ثوى
١٨٩	المنزل	المثوى
	- ج ب -	
١٣٥	البئر الواسعة جمعها أجباب وجباب	الجب
	- ج ب ل -	
٢٣٨	المخلوق	المجل
	- ج د -	
١١٣	الطير المجد: المسرع	المجد
	- ج ر د -	
٢٢٧	واحده أجرد وهو الذي خلا جسمه من الشعر	الجرد

٣٨٤	- ج ز ر - ما يصلح أن يذبح من الإبل	الجزور
٣٦٨	- ج ف ا - بعد وغلظ غمر جفاهم	جفا
٢٤٦	- ج ٢ - الكثير المجتمع من كل شيء	الجمم
٣٢٩ / ١١٩	- ج ن د - مكان مجرى النهر فيه حجارة تتعذر الملاحة بسببها	الجندل
١٥٦	- ج و ر - جار في حكمه : أي ظلم فهو جائر والجور : الظلم	جار
٨	- ح ب ر - حبره - حبوراً : السرور	حبره
٣٤٢	مسرور	محبور
٢٦	- ح ب ل - واحدة أحبولة وهي المصيدة	الحبائل
٢٧٣	- ح ت ف - مفردها حتف وهو الهلاك	الحتوف
١١٢	- ح ج ز - موضع شد الأزر من الوسط	الحجزة
٢٨٩	- ح ج ل - هو ستر يضرب للعروس في جوف البيت	الحجل
٢٥٢	- ح د ا - ساقها وحثها على السير بالحداء	حدا الإبل
٥	- ح ر ز - صان	حرز
	المكان المتبع يلجأ إليه	والحرز
٤١٥	- ح س ر - حسر عن الشيء : كشفه وحسر عن دراعه : كشفه	حسر

	- ح س ك -	
	نبات من الفصيلة الرطريبية له ثمرة	الحسك
٧٥	خشنة تتعلق بأصواف الغنم	
	- ح ش ر ج -	
٢٥٩	ردد نفسه في حلقة ، وأوشك أن يموت	حشرج
	- ح ل -	
٣٣٥	جمع حليمة وهي الزوجة	حلائل
	- ح ن ط -	
	هو كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى من مسك	الحنوط
٢٨٥	وذريرة وصندل	
	- ح و ب -	
	الإثم	الحوب
٣٣٦-٢٠٩	من يأثم الإنسان في عقوقه	الحوبة
	- ح ا م -	
٣٠٧	حام حول الشيء دار حول الشيء	حام
	- ح ا ن -	
١٨٢	الهلاك	الحين
	- خ ب ل -	
١٢٣	صديد أهل النار	الخبال
	- خ د ن -	
٣٢٥	واحدها خدن وهو الصديق	الأخدان
	- خ ز م -	
٣٣٧	الخزام والخزامي : نبات رائحته طيبة	الخزام
	- خ ض د -	
٢٨٨	المكسور الشوك	المخضود
	- خ ط ب -	
٦٨ / ٥١	مفردها خطب وهو الأمر الشديد يكثر في التخاطب	الخطوب
	- خ ل ف -	
١٠٤	خلف فلان أي أحمق	خلف

	- خ م د -	
خود	مفردها خامد وهم القوم قد ماتوا وصاروا بمنزلة	
٣٤	الرماد والحماد	
	- خ م ص -	
٤٣١ / ٣٤١	خص بطنه: أي ضمير وخلا	خص
	- خ ن ا -	
٤٦٧	أخنى بعضها على بعض: أتى بعضها على بعض	أخنى
	- د ح ر -	
	دفع وأبعد	دحر
٣٠١	مبعدة مدفوعة	مدحورة
	- درس -	
١٦٧	ذهب أثره	درس
	- د ك -	
٥٠	دكه دكاً: هدمه حتى سواه بالأرض	دكه
	- د ل -	
	دلت المرأة على زوجها: أي أظهرت الجراءة عليه	دلت
٢٤٧	في تكسر وملاحة	
	- د ن ف -	
٢٥٩	دنف الرجل: اشتد مرضه	دنف
	- د ه م -	
	سودان	مدهمتان
	- ذ خ ر -	
	ذخر الشيء: ادخره	ذخر
١٠٧	هو المدخور	المدخور
	- ذ ر ا -	
٢٥	خلق	ذراً
	- ذ ر -	
٥٥	صغار النحل	الذر
	- ر ج ل -	
٢٧١	رجل الشعر: سواه وزينه	رجل

	- رح ل -	رحل
٢٤٦	سار ومضى مفردها الرحالة وهي السرج	الرحائل
	- ردى -	
	الهلاك	الردى
٣٢٧ / ٦ / ٥	المهلكات	المرديات
	- رزب -	
٢٧٣ / ٥٢ / ٧	المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة	الإرزبة
	- رصد -	
٢١	رصده رصداً: قعد له على الطريق يرقبه	رصد
	- رطب -	
٣٩٠	ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير ثمراً	الرطب
	- رغب -	
٥٢	حرص على الشيء وطمع فيه	رغب
	- رفد -	
١٦٩	العطاء	الرفد
	- رف رف -	
٢٤٤	وهو جمع رفرقة وهي الوسادة والفرس المرتفع	الرفرف
	- رق أ -	
٣١٨	رقاً الدمع: سكن وجف وانقطع	رقاً
	- رك م -	
٢٠٤	تراكم الشيء: اجتمع بعضه إلى بعض	تراكم
	- ركوة -	
١٧٥	إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء	ركوة
	- رمس -	
١٣٠ / ١٧	القبر وجمعها رموس وأرماس	الرمس
	- رمض -	
	الأرض التي حمت من شدة وقع الشمس	الرمضاء
	- زعج -	
٣٣٧	زعجه زعجاً: قلعه من مكانه	زعجه

٢٢٦	- ز غ ب - صغار الريش	الزغب
١٧٤	- ز ل - السقطة والخطيئة والذلل هو الخطأ	الزلة
٤٣٠ / ١١٧	- ز م ر - الفوج والجماعة	الزمرة
٢٢٠	- ز م ل - تلفف وتغطي	تزمّل
٤٠٥	- ز م ن - مرض مرضاً يدوم زماناً طويلاً	زمن
٤٣١	- ز م هـ ر - شدة البرد	الزمهير
٤١٩	- ز ن د - العود الأعلى الذي تقدح به النار	الزند
١٧٤	- ز ا غ - الميل عن الحق	الزيغ
١٧٤	- ز و ي - طوى الشيء وجمعه	زوى
٤٧٤	- س ب ل - أرخاه وأرسله	أسبل الشيء
٤١٩	- س ب ي - أي أسرت حرمه	سبيت حرمه
٣٤١	- س ج م - سال قليلاً أو كثيراً أي سال كثيراً	سجم الدمع دمعه ذو سجام
٦٧	- س ر ب ل - القميمص ، أو كل ما يلبس	السريال
١٣٣	- س ر د - بناء تحت الأرض يلجأ إليه من الصيف	السرداب

	- س ر م د -	
٣٧٢	الدائم الذي لا ينقطع	سرمد العز
	- س ف ح -	
٢٠٨	صبه	سفع الدمع
	- س ف د -	
٢٥٣	عود من الحديد ينظم فيه اللحم ليشوى	السفود
	- س ف ر -	
٢١٥	وضح وانكشف	سفر
	- س ل و -	
٢٥٧	أي نسيه وطابت نفسه	سلا عنه
	- س م ج -	
١٩١	قبح	سمج
	- س ه د -	
	أرق	شهد
	الأرق	والتشهاد
	- س ه م -	
٢٠٤	الضمر وتغير اللون	السهام
	- س ا ح -	
٢٣٢	ساح الماء ويسبح وسيحاناً جرى على وجه الأرض	ساح
	- ش أن -	
١٦٠	الحال والأمر وجمعه شئون	الشأن
	- ش ج ن -	
٢٠٨	الحزن	الشجن
	- ال ش ج ي -	
٢٩٨	شجا الحديث فلان: أي أطربه	شجا
	- ش خ ص -	
٣٢	شخص ببصره: أي فتح عينيه ولم يطرف بها متاملاً	شخص
	- ش ك ل -	
٢٤٧	المختلط سواده بحمرة	الشكل

	- ش ك ا -	
٤٢٥	كوة في الحائط غير النافذة يوضع فيها مصباح	المشكاة
	- ش مل -	
١٨٤	واحدھا شمال وهو الخلق	الشماثل
	- ش ه ب -	
١٢٧	الأشهب : الذي حال لونه أي تغير	الأشهب
	- ش ال -	
٢٩٢	كل ما ارتفع	شائل
	- ص ب ا -	
٤٣٣	الريح	الصبا
	- ص ح ب -	
١٩٤	صحب فلاناً صحبة : رافقه	صحب
	- ص ر م -	
٣٢٣	صرم الحبل : جزه	صرم
	- ص ع ق -	
٣٤	صعق الرجل : غشي عليه ، وهلك	صعق
	- ص ل د -	
٤١٩	صلد الرجل : قسا قلبه	صلد
	- ص ل ي -	
٣٩٣	أصلاه عذابه : أي أورده العذاب	صلى
	- ص م -	
٣٠٤	صخرة صماء : أي مسدودة	صماء
	- ص ا ر -	
٣٢	شيء كالقرن يتفخ فيه	الصور
	- ض ح ل -	
١٦٧	ضعف	اضمحل
	- ض ل -	
١١	الهلاك	الضلالة
	- ط ر -	
٥٤	الجماعة	الطر

	- طرف -	
٤٢٩	العين	الطرف
	- طارق -	
٢٥	الآتي ليلاً	الطارق
	- طلع -	
٣	ظهور	طوالع
	- طم -	
٣٧،٧٢	يوم الطامة : القيامة	الطامة
	- طود -	
١٦٧	واحد طود وهو الجبل العظيم	الأطواد
	- طور -	
١٥١	الجبل	الطور
	- طول -	
١٨٠	الإنعام	الطول
	- طوى -	
٣٥٠	طوى فلان بطنه : أي أجاع نفسه	طاوياً
	- ع بر -	
٢٠٤	واحد عبرة وهي الدمعة	العبرات
	- ع ب س -	
٦٨،٩	تجهم واشتد	عبس
	- ع ب ق -	
٤١٦،٢١٣	رائحة طيبة	عبق
	- ع ب ق ر -	
٢١٤	الديباج	العبقري
	- ع ت د -	
١٦١	المهياً والحاضر	العتيد
	- ع ث ر -	
٣٤٠،٢٧٢	الشدة	العتار
	- ع ج -	
٣٤٤	الغبار	العجاج

٢٢٠	- ع ج ر - الغليظ السمين	العجر
٢٣٦	- ع ج ز - مؤخر الشيء	العجز
٢٤٣	- ع ذ ل - سقطاته وما يلام عليه	عذلاته
٢٥	- ع ر ج - عرج الشيء : ارتفع وعلا والعروج هو الصعود	عرج
٥٧	- ع ر ص - مساحة الدار	العرصة
١٣١	- ع ر ف - الحاجزين الجنة والنار	الأعراف
٢٧٦	- ع ض د - عضادتا الباب : خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه	عضادتا
٦	- ع ض ل - داء عضال : لا طب له	عضال
٢٠٥	- ع ط ب - هلك وفسد	عطب
٢٩٨	- ع ق ص - عقص الشيء : قلعه	عقص
١٧	- ع ق ب - الآخرة	العقبى
٣٣	- ع ن دل - طائر صغير الجنة كثير الألحان	العندليب
٤٣٨	- ع ن - سير اللجام الذي تمسك به الدابة	العنان

	- عاز -	
٢٠٢	عوز الرجل : احتاج واختلت حالته	عوز
	- عال -	
٢٠٤	عول الرجل : استعان به	عول
	- عوى -	
١١٨	صاح الكلب صياحاً ليس بنباح	عوى
	- عى -	
٣٠٧	عجز عن الشيء	عى
	- غب -	
٣٣	عاقبة الأمر	الغب
	- غدر -	
١١٨	النهر الصغير	الغدير
	- غرم -	
٤١٣-٢٦٨ ٤٤٢	العذاب الدائم الملازم	الغرام
	- غسل -	
٦٠	ما يسيل من جلود أهل النار	الغسلين
	- غص -	
٣٠٩	ما يقف في الحلق فلا يكاد يسيغه	الغصة
	- غل -	
٢٠٨-٣٣٤	غل الرجل : خان في المنعم	غل
	- غمر -	
٣١٩-١١	واحدها غمرة وهي الضلالة	الغمرات
	- غمض -	
٤٧	الخفي	الغامض
	- غنج -	
٢٢٠	ملاحة العينين	الغنج
	- غهب -	
٢٠٥	الليل الشديد الظلمة	الغهب

	- غ ال -	
٢٩٢	واحدھا غائلة وهي الفساد والشر	غوائل
	- غ وى -	
٥	الإمعان في الضلال	الغبي
	- فر ص -	
	واحدھا فريضة وهي اللحمية بين الكتف والصدر	الفرائص
١٥٤	ترتعد عند الفرع	
	- فر ق -	
٢٢٠	مفردها فرق وهو الفاصل بين صفيين من الشعر	الفروق
	- ف زر -	
٣٨٤	فزر الشيء : شقه وفرقه	فزر
	- ف ض خ -	
٣٩	عصير العنب	الفضيخ
	- ف ك ه -	
٢٢٦	كان طيب النفس مزاحاً	فكه
	- ف ل ج -	
٢٣٦	بين أسنانها بعد	مفلجة
	- ف ن ن -	
٢١٨	الغصن المستقيم وجمعه أفنان	الفنن
	- ف ن ي -	
٢١٣	الساحة أو الدار	الفناء
	- ف ار -	
٥٩ - ٣٤	فار الماء : خرج من الأرض وجرى متدفقاً	فار
	- ف اق -	
٣٩٩ - ٢٢٠	الجيد من كل شيء	الفائق
	- ف اح -	
٢١٨	واد أفيح : أي متسع	أفيح
	- ق ب ر -	
٤١٨	أي دفنه	قبره

	- ق ب ط -	
٣٣٣	مفردها قبطية وهي ثياب من كتان بيض رفاق كانت تنسج في مصر .	قباطي
	- ق د -	
٢٣٠	القديد من اللحم : ما قطع طولاً وملح وجفف في الهواء والشمس .	القديد
	- ق ر ح -	
٣٣١	بدت به جروح	قرح
	- ق ر -	
٣١٣	البرد	القر
	- ق ص ب -	
٢٥٥	الجزار	القصاب
	- ق ص ر -	
	قصره في بيته : حبسه فيه	قصره
٢١٨	المقصورات في الخيام : الملازمات لها قصرهن فيها الحياء أو الوفاء أو العفاف بالرغبة	المقصورات
	- ق ض -	
٢٠٥	تقطع وانكسر والكوكب ذبل وأفل	انقض
	- ق ط ر -	
٤١٦-١٩٢	مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم	القطران
	- ق ه ر -	
٣٠٠	أمين الملك ووكيله الخاص	القهرمان
	- ك در -	
٥٩	كدر الماء : تغير لونه	كدر
	- ك ر ب -	
٣٤	المقربون إلى الله من الملائكة	الكروبيون
	- ك ع ب -	
٣٠٠-٢٠٥	الفتاة التي ظهر ثديها مفردها كاعب	الكواعب

	- كل ب -	
	مفردها كلاب وهي الحديدة التي ينشل بها الشيء	الكلاليب
٢٥٥	أو يعلق	
	- كل كل -	
٢٥٧	هو الصدر	الكلكال
	- كل -	
٦٣	ضعف	كل
	- ل أم -	
٤٠	التأم الشيء : أصلحه	التأم
	- ل ج ل ج -	
١٧٥	تردد في كلامه ولم يين	تلجلج
	- ل ح ظ -	
١٧٤	العيون	الألحاظ
	- ل غ ب -	
٢١١	التعب والإعياء	اللغوب
	- م ت ن -	
٦٧	الظهر	المتن
	- م ح ص -	
١٨٤	خلصه من عيوبه	محص الشيء
	- م خ ض -	
٣٣	أتى	تمخض
	- م در -	
٣٢١	الطين اللزج المتماسك	المدر
	- م ل ط -	
١٨٩	الطين الذي يطلى به الحائط	الملاط
	- م لا -	
٢٦٨ - ٤٣٨	الزمان الطويل	الملى
	- ن زع -	
١	أفسد ووسوس	الترزع

